

تاريخ التجارة في الشرق الأدنى

في العصور الوسطى

الجزء الرابع

تأليف

ف. هايد

W. Heyd

مراجعة وتقديم

د. عن الدين فودة
أستاذ كرسي المنظمات الدولية
بجامعة القاهرة

عربة عن الترجمة الفرنسية
أحمد رضا محمد رضا



دار النشر العربية العامة للكتاب

١٩٩٤

الجزء الرابع (من الترجمة العربية)

عاشرا - الكارتان الأخيران ظهور البرتغاليين في الهند ، وفتح العثمانيين مصر

الهمت فكرة الالتفاف حول أفريقيا بحرا للوصول الى الهند مشروع
الاخوة فيفالدي Vivaldi في جنوا ، فانطلقوا بجرأة لتنفيذ هذا المشروع
دون أن يكون لديهم أية فكرة عن الصعوبات الجسيمة التي سوف
تصادفهم . فقد لقوا حتفهم في المشروع ، ولكن فكرتهم بقيت حية من
بعضهم فام ينقضى مائتا عام تقريبا حتى انبعثت الفكرة من جديد ، وتحققت
بهمة شعب آخر ، كان موقع بلده المشرف على المحيط الأطلسي يؤمّله
لاتحراز هذه المهمة أكثر مما يؤمّله لذلك سكان سواحل البحر المتوسط :
انه شعب البرتغاليين . فقد صمم الأمير هنري اللامع على استكشاف ساحل
أفريقيا الغربية . ومن غير أن تقرّبه أية كلاله ، أرسل حملة اثر حملة
للاستكشاف . وبعثها توفي عام ١٤٦٠ لم يستطع أحد أن يتخطى الهند
الجنوبي من سينغامبيا الحالية Sínégambia (١) ، ولكنه استطاع أن
يلهي نفوس مواطنيه شغفا بالاستكشافات البعيدة المدى . ولم يكف
اكتشافهم ساحل الحاج وما فيه من كنوز سنة (١٤٨١) لاشباع شغفهم .

وفي عهد القونس الخامس (توفي عام ١٤٨١) ، امتدت الرحلات
حتى خط الاستواء . وفي عهد خليفته جون الثاني ، وصل بارثيليس ديلاز
Balthémy Diaz الى الطرف الجنوبي من القارة الأفريقية ، فانطلق

(١) اسم يطلق حاليا على إقليم السنغال وجامبيا الحاليين (اراجع) .

عليه الملك اسم الرجا المصالح Cap de Bonne-Espérance
 (ديسمبر ١٤٨٧) : ذلك لأن هذا الاكتشاف الذي لم يكن في حياة عب
 هنري اللاح أكثر من أمل مرجو في المستقبل البعيد (٢) ، قد تحول إلى
 حقيقة واقعية ملموسة . وبصعود الساحل الشرقي الأفريقي ، يصل المرء
 حتماً لا إلى بلاد اللس يوسنا (الحبشة) الواقعة جنوبي مصر فحسب ،
 ولكن أيضاً إلى الهند ، بله التوابل المتنازاة . ولعل هذا الاكتشاف الكبير
 كان يوحنا فـه أوله مستكشفين إلى هذين البلدين . فلم يكن معروفاً
 وقتئذ سوى طريق واحد لم يتجاوز الرواد الأوائل هو طريق أورشليم
 (القدس) . وبعد ما صب اليأس في نفوسهم من الوصول إلى غايتهم
 يسميهم جهنم اللغة العربية ، عادوا أنداجهم . وفي عام ١٤٨٧ تولى
 بيدرو دي كوفيلهم Pedro de Covilham ، والفونس دي بايلسا
 Alphonse de Paiva بتكليف من الملك مهمة لم تتحقق ، إذ اتخذوا طريق
 حصر ، يركوبها البحر من الطور إلى عدن . ومن هناك وصل كوفيلهم
 إلى ساحل ملبار ، وشاهد هناك مزارع القطن والزنجبيل الشاسعة ،
 وعلم أن كيش القرغل والقرقة لا يوجدان هناك إلا كسلع مستوردة تأتي
 من بلاد تائية . وواصل طريقه حتى زار الساحل الشرقي الأفريقي ،
 ومر بمغالة Sebile حيث جمع معلومات عن القسم الجنوبي من هذه
 القارة حتى مدغشقر . وفي تقرير أرسله إلى ملكه ، أعلن أنه بالبحار
 بمحاذاة الساحل الجنوبي الأفريقي ابتداء من شينبا ، تصل السفن
 البرتغالية إلى الساحل الشرقي ، وبصعود هذا الساحل صوب مغالة
 ومدغشقر ، يمكنها أن تصل بسهولة إلى المحيط الهندي وقاليقوت (٣) .
 ومن مغالة مضى إلى هرمز حتى يكمل معلوماته عن تجارة الشرق الأدنى
 وأخيراً ، وقد توفي رفيقه الفونس دي بايلا دون أن يحقق مهمته ، فإنه
 تكفل بتحقيقها بدلاً منه ، والتعجب لزيارة ملك الحبشة ، ولكنه وقع
 في أسر الممثل الأسود ، حتى لم يعد أبداً إلى وطنه (٤) .

وأكملت المعلومات التي تضمنتها رسائل كوفيلهم بصورة رائعة عن
 الاكتشاف الذي توصل إليه دياز . إلا أن مرضاً طويلاً ألامد أصاب ملك
 جون وأنهى بموته منه من متابعة هذا المشروع . وقدر لسانويل

(٢) ملحة في Amersa ذكرت في Feschel, Zeitalter der Entdeckungen
 أن هنري اللاح منذ قيامه برحلات استكشافية على طول الساحل الأفريقي كان يتطلع إلى
 اكتشاف الطريق إلى الهند .

Ramusio, I, 137.

(٣)

Fern. Alvares, Sans Barrois, I, 286 et ss. Barrois, I, 193
 et ss.

(٤)

و السعيد الحظ « Emmanuel le Fortuné » أن يسبق العمل الذي بدأه بداية مولقة ، ويستخلص منه كل فائدة ممكنة . وفي ٢٠ من مايو ١٤٩٨ بعد رحلة استغرقت أكثر من عشرة شهور ، ألقت ثلاث سفن برتغالية تحت قيادة فاسكو دي جاما Vasco de Gama مراسيها أمام قاليقوط . وهكذا تم اكتشاف الطريق البحري إلى الهند . فكان هذا الحدث بداية لانقلاب تام في تجارة الشرق الأدنى ، ومع ذلك لم يظهر له للحال نتائج ملموسة . فقد شعر تجار قاليقوط العرب أنه قد ظهر لهم ثمة منافس . إذا ترك له حرية العمل ، ففي وسعه أن ينتزع منهم احتكاره تجارة التوابل مع العرب ، ولكنهم كانوا يمتدحون على النفوذ القوي الذي يشعرون به هذا الزمن بعيد لدى عامل قاليقوط فادعوا لدى هذا العامل ضد فاسكو دي جاما باتهامات وجدوا لها ما يبررها ، خاصة لما اتصف به هذا الأخير من عنف وخشونة . وقصصوا القول ، أن فاسكو دي جاما قد عاد مستاء من علاقاته بالملك ، وبذل كل ما في طاقته من جهد للحصول على بضائع بآلات من التوابل ، وبعض الأحجار الثمينة والألؤلؤ ، عاد بها كمينات (٥) ، مما في هذه الأسواق الكثيرة من ثروات .

وهكذا كانت النتيجة المادية لهذه البعثة الأولى متواضعة . ومع أن علاقات فاسكو دي جاما بالملك كانت على ما يرام ، فإن سفنه كانت صغيرة الحجم ، فكان ذلك وسعاً كاثياً لمنعه من العودة بسهولة أكثر وفرة . والواقع أن هذه البعثة لم تكن سوى رحلة استكشافية ، ومن ثم يمكن القول بأنها من هذه الوجهة قد تكللت بنجاح تام (٦) . إذ كان منظر ميناء قاليقوط ، وحركة الملاحة به التي تبلغ أحياناً من خمسمائة إلى سبعمائة سفينة ، ومنظر أسواق المدينة وهي مكتظة بالآمن أنواع التوابل ، والعلطور والألؤلؤ ، والأحجار الكريمة ، خليقاً بأن يشير في نفوس أعضاء البعثة شعوراً عميقاً لا يسحق . وإذا كان قصر مدة إقامتهم بالمدينة ، وسوء

(٥) Ca Meuser ; le "gentilhomme" dans Ramonê, I, 120.

— ومع ذلك كان هناك ما يكفي من السلع لإعانتها لأعضاء البعثة ، وخصوصاً إلى فاسكو دي جاما أنه أجبر توزيع عشرة كيلوغرام من القطن ، لوزة أخوة شجرة فانيير حيا ، وقطران من كل حقل أنيقولا كويلو ، ونصف قنطار من القرايل لكل ملاح ويطار : لما « السياسة » والفرقة كانتا وحدهما في كميات قليلة جداً لا تسمح بتوزيعها .

(٦) في أخبار الأرخون البرتغاليين ، مثل باريس ، وجويس ، وكاستانيدا عن هذه البعثة وما أعقبها من مظاهرات ، لم يرد فيه له بعض الاعية عن حيث أساءت التجارية . وفي هذا الصدد ، تجد أم التعليلات ، فيما يختص بالبعثة الأولى هي :
— le Roteiro da Viagem que fez D. Vasco da Gama 1497.

وكذا في خطاب حربه بنت حمدا أول سفينة رجل فطرس مقيم في كندولة ، ووجهه إلى أخت مواطنيه (رامونيز)
(Ramão, I, 118, b-121, e

التجارة التي تقوم هناك لم يسمح لهم بدراسة المسائل التجارية دراسة حيدانية دقيقة ، فاتهم مع ذلك أحضروا معهم رجلا قادرا على أن يزودهم بالمعلومات التي تعوزهم في هذا الشأن : ذلك هو اليهودي جاسبار Gaspar الذي أتى به فاسكو دي جاما معه على متن سفينته . وقد سبق أن شرحنا بإيجاز مهنة هذا الرجل ، فقد كان على معرفة تامة بالبلد ، معرفة اكتسبها بفضل إقامته الطويلة بالشرق ، وأثابته له أن يقدم أصدق المعلومات عن شبه الجزيرة الهندية التي كانت منتجاتها مهمة لدنيا التجارة فقد كان يعلم ثمن عدد كبير من هذه المنتجات في مصادر إنتاجها ، وفي وسعه أن يحدد سعر التكلفة في سوق كاليكوط بالنسبة لمعظم هذه المواد . فضلا عن ذلك فقد كان يعرف تمام المعرفة سوق الإسكندرية ، حتى وسعه أن يقابل بين هذه الأسعار وبين الأسعار التي يدفعها التجار الغربيون ثمن هذه السلع . ويتبين من هذه المقابلة تلك الزيادة الهائلة على ثمن الثوابل المشتققة بسعر يخص للغاية في الهند ثم تباع بالتالي بعد أن تكون قد مرت بجمارك الجزيرة العربية ومصر . فقد علم على سبيل المثال أن قنطار الزنجبيل الذي يباع بمبلغ أحد عشر « كروزادو » crusados (وحدة نقد) في الإسكندرية لم يكن يساوي أكثر من أربعة في كاليكوط (٧) . ومن ثم استنتج بطبيعة الحال أن في استطاعته مع جراته أن يتنافس بالتجارة الغربيين ، عملاء سوق الإسكندرية . وبالإضافة إلى هذه المعلومات ، زود جاسبار البرتغاليين ببيانات قيمة عن السلع الأوروبية المطلوبة في الهند ، وتشكل بذلك أساسا لمبادلات تجارية .

ورأى عمانوئيل في نتائج بعثة فاسكو دي جاما هذه بداية تبشر بمستقبل باهر : أية ذلك الانقلاب التي أضاعها على القلب الذي كان يحمله حتى ذلك الحين (٨) :

— Senhor da conquista, navegação e commercio de Ethiopia, Arabia, Persia, e da India.

وما إن عادت السفينة الأولى إلى الهند (في ١٠ من يولية ١٤٩٩) —
(لم يعد فاسكو دي جاما نفسه إلا بعد ذلك) حتى أمر الملك بتجهيز بعثة

(٧) Rozbro, p. 126 et s. Un cruzado vaut 36 c.

Castanheda, Historia do descobrimento e conquista da India (٨)

....., p. 208 Portugueses, I, 26, Lisboa, 1832 ; Ramozio, I, 121 ;

— وخطاب من عمانوئيل في مرق البتشفية بتاريخ ١٧ أغسطس ١٥٠٠ في :

Sanut, Diar., III, 303.

جديدة للعام التالي . وبالفعل ، أُلِّقَ في ٩ مارس سنة ١٥٠٠ أسطول سيقى قوامه ثلاث عشرة سفينة بقيادة كابرال Cabral مزودة بمكينات من الأسلحة كافية لأن تتيح له عند الضرورة مقاتلة أعداء البرتغاليين في قاليقوط ، وكانت تحمل كذلك ذخيرا وفظفا ويضالغ أوروبية ليبادل بها توابل . وفي هذه المرة إذن عاهل قاليقوط بأنفسه توكيل تجارى يرتفق في المدينة . غير أن التجار المسلمين القادمين من مصر تألموا ضد الأجانب الذين وصفوهم بأنهم دخلاء ، فلم يستطع هؤلاء الأجانب أن يشتروا شيئا المرة ، وهذا الرعاع الذين استتبروا سرا بثقل الأجانب . وقرر كابرال أن ينتقم قصف بالمنايع الأسطول التجارى المصرى والمدينة . عندئذ وقع له أمر لم يكن في الحسبان : ذلك أن نزاعه الفسلح مع الزامورين Zamorin أكسبه مودة ملكى كتي Cochin وكسانور Cananore ، ومن ثم استطاع أن يتزود كما يشاء بالغفل من أحدهما ، وبالقرقة والزنجبيل عند الثاني ، وعادت سفنه الى بلدها بشحنة وافرة . وجدير بالذكر أن من بين الثلاث عشرة سفينة التي أقلعت معا من لشبونة ، وصل ست منها فقط الى الهند ، عادت أولاها الى الهند في ٢٤ من يونيو ١٥٠١ وعلى متنها ٣٠٠ قنطار من الغفل و ١٢٠ قنطارا من القرقة ، ومكينات أقل من أنواع أخرى من التوابل ، وذلك لحساب رجل فلورنسى اسمه پارباتوفوميو ، وجنوى مجهول الاسم ، وإيطالى اسمه بيرونيمو (٩) .

ومن الملاحظ أنه منذ البعثة الثانية التى أوفعها البرتغاليون الى الهند ، اهتم الأجانب بهذه البعثات . حقا لم يكن الفلورنسيون فى لشبونة يعتبرون من الأجانب ، فالسفن التى كانوا يرسلونها الى الغلال كانت تتوقف هناك ، وكثير من التجار الفلورنسيين قد شجعهم حسن

(٩) انظر رمانى :

Gêse, Franc. Affaitato (26 juin 1501) et de Domenico Pisani (27 Juillet 1501), dans Saunto, *Diari*, IV, 66 et ss. (l'Archiv. venet., XXII, 156 et ss.)

« هذه الرسالة لا تحمل سوى ثلاثة بالمضائق المشروطة بهذه السفينة . ولكن فى حوزتنا أيضا خطاب بتاريخ ٤ أغسطس ١٥٠١ كتب غالبا جيووانى كريفكو . نجد منه ملاحظات فى :

les diarii de Gêse, Priuli, *Archiv. Venet.* XXII, 1ère part. p. 169.

ويقدم كاتب الخطاب الأرقام التالية التى تبين مجموع السلع التى جلبها الأسطول : ٤٠٠٠ قنطار من الغفل ، ٤٠٠ قنطار من الزنجبيل ، ٦٠٠ قنطار من القرقة بالإضافة الى غلب الصنابل وصنع جارة . والمجموع ٤٠٠٠ قنطار من التوابل : وقد تبين هذه الأرقام كلها ، ولكن يلاحظ أن الكاتب لم يذكر سوى ربع من المطن الشراعية العاشا .

الاستقبال الذي صادفوه هناك فانتشروا بها مكاتب تجارية (١٠) . وفي عام ١٤٨٧ . كان من بين أبرز أعضاء هذه الجالية الذين دونت أسماءهم شخص يدعى بارتولوميو مارشيويني (١١) . وعندما تم تنظيم البعثة الثالثة ، جهز مارشيويني هذا سفينة عهد بقيادتها إلى أحد وكلائه ، ويدعى فرناندو فييتيني ، وهو فلورنسي مثله (١٢) . ويظهر اسمه أيضا ضمن مجهوزي البعثة الرابعة ، على الأقل بالنسبة إلى نصف شحنة إحدى السفن (١٣) .

ولم ينتظر عودة كابرال لتجهيز ثالثة ، وفي هذه المرة لم تتكون البعثة إلا من أربع سفن . وأطلق هذا الاسطول الصغير من لشبونة في ٥ من مارس ١٥٠١ بقيادة جودو دانونف Jodo da Nova . ولم يستقبله عامل القليوط بأحسن مما استقبل بعثة كابرال ، ولكنه أخطأ في ذلك ، إذ شعر لثاني مرة بتفوق البحرية العسكرية البرتغالية . وعلى العكس من ذلك أبدى ملكا الكوشين والكانانور ، كما فعل أول مرة حسن وفادتهما ، وتنافسا في عرض بضائعهما على البرتغاليين ليشتريها . ولسوء الحظ لم يكن هؤلاء قد تزودوا بنقود معدنية ، إذ لم يكن معهم سوى بضائع لا تجد بسهولة من يشتريها ، أو لا تجد لها بالرة سوقا بالهند ، ومن ثم لم يستطيعوا تكملة حمولتهم عند العودة ، واضطروا أن يتركوا هناك وكلاء مكلفين بالحصول على أكبر قدر مستطاع من بيع البضائع التي أتوا بها . ولم يعودوا معهم إلا بما قدره من ٩٥٠ إلى ١٠٥٠ قنطار من الكنفل . ومن ٤٥٠ إلى ٥٥٠ قنطار من القرفة ، أي ١٥٥٠ قنطار في المجموع من التوابل . تبلغ قيمتها القصوى ٤٠٠٠ دوكا (١٤) .

Camerioli, Relazioni commerciali di Fiorentini co Porto- (١٠)
quest. Arch. stor. Ital. app., III, 98 et s

Ranudo, I, 234, b. (١١)

بيوت مارشيويني نفسه القوم الذي أتاه في تجهيز هذه البعثة . وذلك في خطاب نشره سنوكر : (١٢)

Lettre de Giov. Franc. Affaitato à P. Pasqualigo, datée de Lisbonne le 20 Aout 1502, insérée dans Sarrail. Diar. V, 180 et s.

Sarrail, Diar., IV, 544 ; Cf. Correa, Lendas da India, I, (١٧)
I, 234 ; Gons Chronica do Rey Emanuel (Lish. 1619), fol. 48, b ;
Barron, Asia, I, 464, 472.

Gons Chronica do Rey Emanuel (Lish. 1619), fol. 48, b ; Barron,
.....Asia, I, 464, 472.

(١٤) مقصود من السفن التي جلبها هذا الاسطول ، وطبيعة حمولة الاسطول ،

نشرت في أربع رسائل بكتابات منكرة مصادري . هذه الفقرات حرجها .

Sarrail, Marchionni, datée de Lisbonne, le 20 sept. 1502.

(Sarrail, Diar., IV, 544 et ss.) ;

Lusenda Nordi, même date (Ibid., IV, 545-547) ;

Giov. Franc. Affaitato, datée de Lisbonne, le 26 sept. 1502 (Ibid., IV, 575-583) ;

Cesaro Barril, datée de Valence le 17 oct. 1502 (Ibid., IV, 583) .

عادت هذه البعثة إلى لشبونة في ١٢ من سبتمبر ١٥٠٢ ، ولكن الملك لم ينتظر حتى هذه الأونة لإرسال بعثة رابعة ، بل حرص على ألا يتزعزع الفرصة السانحة لفوته . وإذا ارتاح قسم من مجلس الملك من شدة المقاومة التي يبديها التجار العرب ضد السماح بدخول البرتغاليين في سوق الهند ، وبخاصة في قاليقوت ، فضلا عن الحوادث التي تصيب السفن التي تسفل الطريق ، والتضحيات الجسيمة في الأرواح والأموال التي تفرسها الحروب في بلاد نائية على بلد غدير كالبرتغال ، فاحتج هؤلاء على تجديد هذه المشروعات ، في حين ساند المشروع القسم الآخر من المجلس ، ورد على المتخوفين ردا قاطعا ، قائلا بأن البرتغاليين قد احتلوا بالفعل بضعة مواقع في الهند ، وأن التضحيات المالية عودتها المكاسب التي تحققت . هذا فضلا عن أن رؤوس الأموال للكرمة للانفاق على تسليح بعثة كابرال قد أتت بأرباح جسيمة (١٥) . ومن ثم أعلن الملك عزمه على مواصلة السبل الذي بدأه : فكان من رأيه أنه لا بد للبعثة القادمة أن تعلن عن عزمه على الاشتراك - طوعا أو كرها - في تجارة الهند ، فضلا عن إرادته في القضاء على الحركة التجارية بين ملبار ومصر ، وأن يكفل لبلاده احتكار تجارة منتجات الهند مع الغرب . وعهد بقيادة تلك البعثة لفاسكو داجاما . وكانت تعليمات أمير البحر تقتضي بأن يتركز جزء من أسطولهم عند مدخل البحر الأحمر حتى يمنع خروج السفن المصرية والعربية للشحن بالتجارة مع الهند ، كما يمنع دخول السفن الهندية بأصهرها (١٦) .

ومن جهة أخرى كان في نية الملك ، تجهيزه بعثة على هذا المستوى - أن تأتي بأرباح طائلة لخزائنه ، وللأفراد الذين أسهموا في الحصول عليها . وإذا لم تحرز محاولات استيراد السلع الأوروبية إلى الهند بعض النجاح لأن تجار البلد يفضلون الدلع قداما ، فإنه سر غاية السرور عندما أبنت بعض البيوت التجارية الإيطالية اهتماما بهذه المشروعات وخصصت لها مبالغ كبيرة (١٧) . ولقد ذكرنا قبل ، بين مجهزي هذا الأسطول فلورنسياسيا يدعى بارتولوميو مارشيووني Bartolomeo Marchouini وهناك أيضا إيطالي من كريمة Crémee ومقيم بلشميرة ، يدعى جيوفاني فرانك أفينباتو Giov. Franc. Affibato ، انتهز هذه الفرصة فأرسل إلى

Barros, Asia, II, 2-7.

(١٥)

(١٦) في ٢٨ من ديسمبر ١٥٠١ علمت البندقية بتوايا الله ، وذلك بطلب حريم شخص مجهول في البرتغال في ١٨ من أكتوبر - انظر : Samut, Dias, IV, 666.

(١٧) يمكن معرفة الشروط التي فرضها الله حتى يؤول أسهلها ، وذلك في : — Samut, Dias, IV, 666.

الهند تقودا ووكلاء (١٨) ، وعند مرور الأسطول بمضائق ، أخذ من هناك ذهباً مستطرباً من متاجم ذلك البلد ، وكانت هذه الإضافة من المغادر الثمينة مفيدة للعمليات التي قام بها الأسطول فيما بعد ، وسنرى ذلك عندما نتحدث عن نتائج هذه البعثة الرابعة .

وكان من شأن ماثيرة صانويل على تحقيق الهدف الذي اختطه لنفسه ، وظهور الأساطيل التي يتولى تجهيزها كل سنة بانتظام أن يمتد الشجاعة والثقة في نفوس صفار الأمراء الهنود الذين عقدوا الصلوات معه ، كما حملت في الوقت نفسه « زامورين » قاليقوت على التفكير في هذا الأمر . ومن جهة أخرى كان ما يحدث في الهند مصدراً لانزعاج سلطان مصر ، وجمهورية البندقية - فقد وصل إلى البندقية عن طريق القاهرة والإسكندرية أول نبأ عن ظهور البرتغاليين في قاليقوت ، ولكن هذه الأحداث عرّضت بصورة مشوهة ومبهمّة (أغسطس ١٤٩٩) (١٩) . وبعد ذلك وصلت إلى هناك من المصدر نفسه تفاصيل متنوعة عن تصرفات البرتغاليين في الهند ، غير أن المصدر كان مشكوكاً في صحته ، لأنه كان في صالح المصريين أن يدّوا من قيمة النجاح الذي أحرزته البرتغاليون ، هناك البندقية ، أو يتكتموا عليه ، ويبالغوا فيما يصيبهم من فشل (٢٠) . فكان على الجمهورية أن تبحث عن وسيلة أخرى تصل بها إلى الحقيقة . فتم مشروع حملة مشتركة ضد المشركين فتحت مجالاً لمفاوضات نشيطة بين الأمتين . فانتهزت البندقية هذه الفرصة للحصول عن طريق دومينيكو بيزانو سفيرها في بلاط إسبانيا والكلتف بصورة عرضية بالتفاوض مع ملك البرتغال على معلومات عما يقوله البرتغاليون في الهند . وفي ٢٣ من فبراير ١٥٠١ كتب السفير أنهم في انتظار عودة أسطول كابرال ، وإن الملك أظهر عند سماعه هذا النبأ مرووراً عظيماً إذ قد تم أخيراً اكتشاف أحسن طريق للوصول إلى بلاد التوابل ، وأعلن حراسة عن إلمه في الاستفادة من ذلك (٢١) . وبعد بضعة شهور (في ٢٤ من يونيو ١٥٠١) شهد السفير بنفسه فرجة عمانويل عندما دخلت المياه أول سفينة من أسطول كابرال ، وعليها شحنة كاملة من السلع ،

(١٨) كان في البرتغال في تلك الأونة تجار أشياء من كريمونا ، يملكون رأس مال يناهز ٨٠ موكا (Sanut, Diari, III, 1343) وقد وصل الأخيرة أجناتو إلى هناك من طريق كاليقوت .

(١٩) Priuli, Diarii, dans l'Archiv. Venet., XXII, Mre part, p. 163.

(٢٠) Sanut, Diarii, IV, 98, 169, 453 et c. ; V, 628, VI, 249; VII,

106, 162, 541, 712 etc.; Priuli, p. 170, 171 et c.

(٢١) Sanuto, Diarii, III, 1397.

خاضع السفير بلا شك أن يقدم له تهايه ، وكلفة ذلك بأن يحمل هذا
 الدنيا السعيد إلى رئاسة الجمهورية (البندقية) ، وأهداف قائلا ان معنى
 السدقية لم تعد بحاجة إلى الذهاب إلى مصر طلبا لتزاول ، وأنه قد
 أن الأوان لأن لا تجد هذه السفن أية توافل في مصر ، وما عليها إلا أن
 تاتي إلى البرتغال لتحصل عليها ، وسوف يلقي التجار البائدة هناك كل
 معاملة طيبة ويشعرون كأنهم في بلدهم . وقد انضم إلى ييراني عالم ،
 هو جيوفاني كريتيكو من كامرينو Giovanni Cristico, de Camerino (٢٢) :
 إذ لما كان السفير يتنقل بين بلاط امبانيا وبلاط البرتغال ، كان على
 كريتيكو (وهو أمستلا سابقا لخدمة البرومانية بجامعة بادوا) أن يحل محله
 في بلاط البرتغال كلما تلبى عنه السفير . وعلى هذا النحو نقلت رئاسة
 الجمهورية من حائز الشخصيتين طوال صيف عام ١٥٠١ التقارير
 الصريحة عن تحركات كابرال ومشروعات الملك للمستقبل (٢٣) . وفي
 شهر سبتمبر انتقل كريتيكو إلى اسبانيا ليكتب تقريرا مفصلا عن طريق
 فالينوت البحري ، ولتسوء الحظ لم يحصل هذا التقرير (٢٤) ، ولابد أنه
 كان مرفقا به سرائط ، وهذا أمر بالغ الأهمية ، لأن نشر السرائط عن
 طريق الهند البحري كان محظورا بأمر عمانويل ، بل ويتمرس بأمرها
 لقوية الاعدام .

وفي هذه الأثناء قرع عزم حكومة الجمهورية أن يمثلها في جديد في
 بلاط البرتغال مندوب خاص (orator) ، وعهد بهذه المهمة لبييترو
 باسكواليجو Pietro Pasqualigo ، وكان تعيينه في ١٢ من ابريل ،
 ومسلحت إليه التعليمات في ٨ من يونيو ، ومع ذلك لم يصل إلى بلاط
 عمانويل إلا في أواخر الصيف . وعندما استقبل في البلاط (في ٢٠ من
 أغسطس) وجه خطابا إلى الملك (٢٥) . وقد استقبله عمانويل بحفاوة
 خاصة ، وبعد قليل ، وفي مناسبة تسميته ابنه الأول (في ٧ من نوفمبر)
 اختاره اسبينا لثولود (٢٦) . وكان في لشبونة وقتئذ بعثات مودنة

(٢٢) سجلات أسعد اللغة البرتغالية بجامعة بادوا

Sancti, Diaz, III, 756, 766, 782.

(٢٣) بمضمون وضع كريتيكو بجامعة بادوا . انظر Sancti III, 684, 728.

Sancti II, 756, 782.

لما خطابك لك قبل الإشارة إليها

(٢٤) هذه التعليمات لم تظهر إلا في خطابين لتجيو تيريلزاس إلى لوزن

Domèn, Mallpiero أهدما عن غرناطة Grenade والخاص من الأندلس
 Zarla di M. Polo, 303 et s.

Fulbi, dans l'Archiv. Venet., II, 83 et 3 , Sancti, Diaz, IV, (٢٥)
 20, 84.

Coen, l.c fol. 48 , Moreau, p. 43, (٢٦)

من قبل ملكي كاننور وكوشى . ولم تمنح شروط التكريم التي حظي بها بامسكواليجو والبنادقة المحيطين به من العيب في ذلك لدى البعوث الهنود ، واقتناعهم بأن البرتغال ليست الا بلدا فقيرا لا يستطيع جمع للوارد الضرورية لمزاولة التجارة مع الهند دون معونة مالية من البنادقة ، وقالوا لهم ان البنادقة كانت ولم تزل دهم كل شيء أقوى دولة في العالم المسيحي ، وإن يمتدح منها أي كائن سيادتها في تجارة التوابل ، وسوف تواصل استيادها عن طريق مصر وسوريا (٢٧) . أما بامسكواليجو . فانه القنع بأن ذلك شديد الحساس لمشروعاته الخاصة بالهند ، ويشركه حماسه عدم مستشاريه والأمة البرتغالية كلها ، وأنه يتنهد الى قدم اللقطة التي يخلق فيها طريق الهند في وجه السلطان ، قباني السادة الى البرتغال لشراء التوابل عندها (٢٨) . وفي تقرير بتاريخ يناير عام ١٥٠٢ عن بعثة فاسكو دا جاما الثانية أبلغ أن هذه الحملة موجهة ضد السلطان وحده (٢٩) . وبعد بضعة شهور عائد البرتغال (٣٠) ليشرح منسب ممثل الجمهورية في بلاط اسبانيا ، ولكنه لم يعمل ، بطريق الرسالة متابعة ما يدير بين البرتغال والهند .

وهكذا أحدث ما اكتشف طريق الهند البحري في البنادقة انفعالا قويا ، كقصص الرعد في سماء صافية . ذلك لأن كل ما يصيب تجارة الشرق الأدنى من خرد يرعرع مائتلي أسس قوتها وقوتها . فالواقع كان المهم هو حيالة السوق التي يتردد بها الغرب بالتوابل ، فهل تبقى هذه السوق في حوزة البنادقة ، أو تنتقل الى لشبونة ؟ فإن أتبع الوقت للبرتغاليين لتنظيم مواصلاتهم البحرية مع الهند تنظيما قويا ، كان لزاما على البنادقة أن تتخلى عن دورها في هذا المصراع : ذلك أن فترة مناقبتهم على غرله التوابل من البلاد المنتجة لها مباشرة يضمن لهم سيقا كبيرا . هناك كان تمس قطاعو الفلفل يتراوح بين دوكاين ونصف دوكا ، وثلاثة دوكلات ونصف دوكا . وفي البنداقية كانت نفس الكمية من الفلفل ثمان بدوكا واحد ، بل وأقل ، وفيما بعد أصبحت الكمية نفسها تباع بثلاثة الى خمسة دوكلات ونصف . وبالمسبة لسائر أنواع التوابل ، كانت أثمان

Barros, II, 25-27

(٢٧)

Sanut Dias, IV, 230 et s. , Harriense, Ico Carte Real (Madrid)

(٢٨)

de voy et de doc. p servir à l'his. de la géogr., III

(1735), p. 309 et s. j

Sanut Dias, IV, 236.

(٢٩)

Fulfa, I, 124, p. 123. ١٤ أبريل ١٥٠٢

(٣٠)

وله رأى مجلس الشيوخ أن المهمة التي يتولاها بالبرتغال ، مكلفة أكثر منها خفيفة .

الثمراء متعائلة (٣٦) ولم يكن على البرتغاليين إلا أن يشحوا هذه الأصناف على سفنهم ويقلعوا بها إلى بلدهم ، فلا يصادفون في طريقهم جمركا واحدا ، أما بالنسبة للبيادقة فالأمر يختلف ككل الاختلاف ، فهم لا يشترون بالتوابل من مصدريها الأصلي ، بل كان المصريون هم الذين يتمتعون بهذه الحرية ، ومع ذلك لم يكونوا في الكثير من الأحيان يشترونها من قابلووط نفسها ، ولا يستلمونها من اليهود إلا في عدن أو جدة ، ومنذ دخول والتوابل في البحر الأحمر ، عند عدن ، حتى خروجها من الإسكندرية كان يندفع عنها هرازا رسوم جمركية ، كما رأينا من قبل ، وهي الاسكندرية نفسها ، كانت الابتزازات والاحتلاسات التي يرتكبها موظفو الجمرك تزيد أيضا إلى رفع أسعارها ، وفي هذه الظروف لم يكن في وضع البيادقة أن يكافحوا ، ولكن لم يكن في وسعهم أيضا قبول هذا السعر الذي يشترطهم . فمهم من كان يحتو له أن يتصور أن الخسائر التي تسببها للبرتغاليين كثيرة منهم الغارقة تزيد على مكاسبهم ، وإن ملك البرتغال لم يلبث أن يكف عن إيلاء اهتمامه هذه ، وثمة آخرون يتصورون أن البحارة للكلمين بالتبنيام بهذه الرحلات البحرية كانت فرصة هلاكهم أكبر من فرصة عودتهم سالمين ، ومن ثم اعتقدوا أن الملك لم يجد بعد ذلك بحارة يجنبهم في هذه المهمة ، وآخرون حملوا اعتمادهم على السلطان بأمل أنه لم يدمر وسعا للحفاظ على تجارتهم مع الهند ، وهي مصدر ثروته ، صلا فقط أقلية ، يذكر من قبلها تاجر محلي يدعى جيرولامو بيردي *Girolamo Perdi* (٣٧) أدرك منذ البداية خطورة الموقف ، ويجب أيضا الاعتراف بالسل وكلاء الجبهرورية ومراسيلها القسيس بالبرتغال . هؤلاء لم يشجوا غاية صورة ، أولئك الذين يتوهمون بأن البعثات البرتغالية إلى الهند سوى نتهى عما قريب (٣٨) ، إذ كانت البرتغال تملك من الموارد أكثر مما قد يحيط على المال ؛ فساهم الذهب الإفريقية ترودها بالمعدن النفيس الذي يطلقه الهنود ، وشمعة كل سفينة عاتمة تسد بوفرة نفقات تجهيزها . ومن ناحية أخرى كان البحارة البرتغاليون يرددون مع كل رحلة معرفة لطريقهم ، وأبدي تلك قوة ارادة وعزيمة ومثابرة من وجهات ثلاث .

(٣٦) لدينا الآن انشوخة في للبعثات الثانية والثالثة والرابعة ، في

Santos, Disc., IV, 101, 147 . V 121, 128.

(٣٧) رويتنا مذكرته بكل المعلومات التي سبق ذكرها ، على وجه الخصوص ، انظر

مخرج خاص من ١٥٩ وما يليها .

(٣٨) يستلبي من هؤلاء فينتشرو كويري *Vincenzo Quirini* : وفي ١ من

أكتوبر ١٦٠٦ ، علم حوته عن بعثته في اسبانيا ، أبهى في انشراح مجلس الكورخ دايه و - الحملات البرتغالية أن تملك أن تملك لانتها لاندو إلى خسائر جسيمة في السكان

Santos, Disc., VI 44.

فهو أولا لم يسر وسما لباء السفن وتجهيزها ، وأدى هذا الى خروج الكثير من المماتن النشبة من البلد ، كما اقتضى تفضيحات عديدة بالأبواب ، وإنتاجه بعض السمكوك والتردد ، ولكنه تغلب عليها (٣٤) . ثانياً ، بدل كل ما في وسعه لبيع تصدير توابل الهند الى الاسكندرية ، ولم تلبث أسواق الاسكندرية وبيروت أن تأثرت بذلك . ونظالم في وثائق ذلك العصر أنه قبل اللحظة التي بدأت فيها إجراءات الملك في هذا الموضوع تنتج أثرها كان في الاسكندرية كميات هائلة من التوابل ، حتى أنه في عام ١٤٩٨ ، على سبيل المثال لم تكن مسفن السديقة تسلك من المال ما يكفي لشراء كل ما هو معروض للبيع منها (٣٥) . وما أن بدأ كابرال يشتري كميات هائلة من المخلل من مصدرها الأصلي حتى شعرت أسواق مصر وسوريا بنقص في هذه السلعة . وفي عام ١٥٠٢ لم تجب سفن بيروت الى السديقة سوى أربع بالات من المخلل (٣٦) ، ولم تعد سمى الاسكندرية الا القليل منها ، وقررت على ذلك ارتفاع كبير في سعرها . ففي خمسة شهور (١٥٠١ - ١٥٠٢) ارتفع شحمة المخلل من ٧٥ الى ١٠٠ دوكا في مدينة البندقية (٣٧) . كذلك ارتفعت بهذه النسبة ألمان سائر أنواع التوابل . بل واضطرت سمى السديقة في بعض الأحيان أن تعود من الاسكندرية أو من بيروت وليس بها طرد صغير من التوابل . حقا كانت هذه حالة نادرة ، بل كانت هناك من حين الى آخر ، في بعض السنين الاستثنائية كميات وافرة من التوابل الواردة بطريق البحر الأحمر . رغم صروب الرقابة التي تفرضها البحرية البرتغالية . ولكن بوجه عام ، كانت سفن السديقة تصادر مصر وسوريا بنصف حمولتها (٣٨) . فسادا كان يحدث وقتئذ ، كانت عمليات الشراء تتم بشروط مجسفة ، ولما كان التجار يسعون الى الحصول في البندقية على السلع بأسمعار صغرى ، فإن الألمان ، عملاءهم الأساسيين جعلوا يتصورون مشروعاتهم الى الحد الضروري للغاية ، أو يهودون الى بلادهم دون أن يتقاعدوا شيئا . وعلى أية حال ، فإنهم اذا كانوا ولم يزالوا ياشغون كميات كبيرة من التوابل ، فإنهم اعتسوا على شراء المخلل ، إذ كانت هذه المادة شديدة الندرة ومرتفعة الثمن بالنسبة اليهم (٣٩) . وخير كثير من التجار الألمان سوق السديقة ، وترددوا على الأسواق التي يجدون فيها ثمن أقل التوابل التي يستوردونها ليرتفعوا .

Samut, *Déscr.*, XI, ٧٥8 et s.

(٣٧)

Samut, *Déscr.*, I, 1022.

(٣٨)

Ibid. IV, 222 , Priuli, *loc. cit.* p. 188.

(٣٩)

Priuli, p. 184, 188.

(٣٨)

Samut et Priuli.

(٣٧)

Priuli, p. 188, 187, 174, 182, 181, 203.

(٣٦)

وتعود الآن إلى صابونيل والمكشروعات التي كان يواصل تحقيقها .
 ولم يمدد بكتيحه العمل على وصول التوابل إلى لثيبيولة في سبيل يرتعالية .
 بل ظل كل ما في طاقته لكي يفتح لها أسواقا في سائر البلاد الأوروبية .
 وسرى فيما بعد كيف لجأ في سبيل الوصول إلى غايته إلى وسيتين . أن
 يرسل السفن البرتغالية في كل الاتجاهات من جهة ، ويدعو الأمم
 الأوروبية إلى الحضور والتزود بمؤناتهم في لثيبيولة من جهة أخرى .

ولم تكن دراسة جمهورية البندقية في حاجة إلى مواجهة الأمر الواقع
 حتى تترك حظيرة الموقف ، وهي لم اتخذت إجراءاتها تبعا لذلك . وهي
 أولئك شريف عام ١٥٠٢ أوفلت بينديتو مانتو في بعثة لدى سلطان
 مصر (٤٠) ، وكان هذا المصوب قد أثبت كفاءته كقنصل بمصر في عام
 ١٤٩٦ إلى عام ١٥٠٠ . وكانت مهمته الحقيقية سرية ، إذ كان عليه أن
 يوضح لسلطان شينا قسريا تلك الأساطير التي تتهدد رجاء بلاده بسبب
 مكشروعات البرتغاليين . فضلا عن ذلك فقد صدر مرسوم بتاريخ ٥ ديسمبر
 من السنة نفسها (٤١) ألحق بمجلس العشرة لجنة مكلفة بفراسة واقتراح
 الإجراءات الكفيلة بتدارك وقوع الكارثة . وكان أول عمل أدته هذه
 اللجنة تمرير رسالة إلى مانتو الذي كان موجودا وقتئذ بالقاهرة
 (١٤ ديسمبر) (٤٢) . وما هو ملخص الرسالة فهي تبدأ بإحاطته
 عما سحر أبناء البرتغال ، وهي أبناء مريجة ، ثم توضح لسلطان أن
 بحارة التوابل طالما قد أتت لبلده ولجرائته حتى ذلك الحين بمبالغ طائلة ،
 فإذا اتخذت هذه الأموال طريقها إلى البرتغال ، فإن ذلك سوف يكون
 كارثة على مصر ، وأن ملك البرتغال قد سبق أن دعا الإنجليز وشعوب
 مسيحية أخرى إلى الحجاء إلى بلده للحصول على ما يلزمها من التوابل ،
 وأكد لها أنها سوف تجد في بلده كل ما هي في حاجة إليه ، وأن عدد
 كبيرا من السفن تنقب على أصمة الرحيل استجابة لهذه الدعوة ، بل أن

(٤٠) بمضمون المظلل لتتمة بمضمون ككامل ، انظر
 — Samul. Diar., de I, 279 à III, 475.
 Samul., IV, 246, 247) وقد عين في منصب سفير في ٢ من أغسطس ١٥٠٢
 ولكنه لم يستلم مهامه في ٢١ من أكتوبر التالي
 (Fulda Archiv Vostok, II, 134 et s.)
 رفايل لسلطان في ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ من أبريل ، ١٧ من يوليو ١٥٠٢

وعاد إلى البندقية في خلال شهر سبتمبر ١٥٠٢
 (Samul., V, 49 not., Samul., V 81)
 Fulda. I.e. v. 209 et s. ; Gubernia, Storia dei viaggiatori (٤١)
 Italiani, p. 232 et s. , "Zona di Chiogetti" , Samul., Diar., V, 187,
 237, XI, 135.
 Fulda I.e., p. 185 et s. , Gubernia, p. 264-265. (٤٢)

البلدقة أنفسهم سوف يضطرون في النهاية إلى مساندة الحركة العنيفة ، رغم أنه يؤلمهم أن يقطعوا صلات قديمة ترجع إلى قرون ماضية . ومع ذلك كانت هناك وسيلة لدرء هذا الخطر ، إذ لو أمكن التصرف بطريقة ما بحيث يجد البرتغاليون كل الأبواب المؤدية إلى الهند مغلقة في وجوههم لاضطرت منهم للعودة خالية الوفاة ! كان تكرر هذا العمل مراراً فحسب ، لكن من المؤكد أنهم لن يعودوا إلى هناك مرة ثالثة ، وللوصل إلى صله النتيجة يجب المبادرة بسفر ميموئي من مصر إلى الهند ، مهمتهم أن يباشدوا باسم سلطان مصر الأمراء الوطنيين هناك أن يقطعوا كل علاقة لهم بالبرتغاليين ، ويقتنعوهم بأنه ليس في مصلحتهم أن يفسدوا هؤلاء المصالح على المصريين والعرب ، لأن البرتغاليين لا يشترون شيئاً خلاف التوابل ، في حين أن المصريين يأخذون المنتجات المصنوعة في البلد (٤٢) ، وحله التجارة تتيح مبادلات أكثر أهمية بكثير من تجارة التوابل . وهكذا بالفعل وسيلة في وضع السلطان أن يستعملها لمح البعثيين من الحصول على أرباح من تجارة التوابل ، وبالتالي إجبارهم على التخلي عنها . ذلك أن التوابل التي يشتريها البلدقة في الإسكندرية تباع لهم بسعر مبالغ فيه ، فيكفي إذن أن تباع لهم بسعر معقول حتى يتسنى لهم أن يائسوا البرتغاليين ، ولا يجوز أن يغيب عن البال أن هؤلاء يشترون التوابل في الهند بثلثي نفس ، ولا يبرون في الطريق بأي جررك .

وعد سائوتو مهمته بكل دقة ، غير أن السلطان قصوه الموري رد عليه بأنه ليس في استطاعته أن يفعل شيئاً في الوقت الحاضر . وهكذا خاب القصد من البعثة ، على الأقل فيما يختص بموضوع تجارة الهند (٤٤) . ومع ذلك أمر السلطان بساء هيكل أربع سفن في القاهرة ، ثم نقل قطعة قطعة إلى الطور . وكان غرضه من ذلك أن يرسلها بطريق البحر إلى الهند لتكون ماذج لسفن حربية ، وتشكل العناصر الأولى لأسطول يخصم لمحاربة البرتغاليين (٤٥) . ومن جهة أخرى كلف رابعاً فرنسيسكانيا إسبانيا بشي مورس " Misura " وهو حارس دير جبل

Max Laetie, *Traité*, p. 302 ; Masani, p. 23 , Sennio, *Diar*. (٤٢)

Sennio, *Diar*, V, 93, 107. (٤٤)

(٤٥) ذكرت هذه الواقعة في خطاب حرد في ٢١ من نوفمبر ١٥٠٢ لوديفيكو كابلار . قسمل الدفنية في ميمو : حسن آباء القاهرة

— Sennio, *Diar*, V, 1000 , Max Laetie, *Traité*, p. 307.

صهيون Most Sion يست المقدس (٤٦) مهمة يهدف من وراءها إلى نتائج عديدة . والراجح أنه لو كان على علم أفضل بأسواق القرب لكف يده عن هذه المهمة . واستهل مورس بالتهاب إلى الهندية ، وسد سياسة الجمهورية رسالة محررة بصيغرات دقيقة للغاية ، أبدى فيها السلطان أنه يرغب ورغبة حارة في استمرار الحركة التجارية بين مصر والهندية ، ويرجو سياسة الجمهورية أن تساعد جهود مورس ، بأن تعطيه خطابات توصية لختلف الدول القريبة . وقد وعشت الرئاسة بجمع مستغلة أن تسلك هذا المسلك : فهي أولا حريصة على أن تتجنب الظهور بمظهر المعرض على المهمة المكلف بها مورس ، ثم أن مساندة الساعي التي يبدؤها المبعوث المصري قد تأتي بنتائج مضادة للنتائج للتوصية بها ، وأجرا فإن إسبانيا والبرتغال دولتان صديقتان ، والرئاسة لا تريد مواجهتهما (٤٧) . وتبعا لخط السير المقرر لمورس كان عليه بعد انتهاء مهمته في الهندية أن يتجه إلى روما (وهذا ما فعله في ربيع عام ١٥٠٤) ، ويرفع إلى أعتاب الحبر الأكبر (البابا) شكوى رسمية ضد إسبانيا والبرتغال ، صرحا أن الاضطرابات التي ترتبها إحداهما في غرناطة ضد أسرة السلطان في الدين ، والإضرار التي سببتها الثانية مباشرة لشخص السلطان تيسة للبعثات التي ترسلها إلى الهند ، سوق تنهي بإرهاق السلطان ، وقد تحمله على الانتقام ، لما يتميز الأماكن المقدسة التي يقرها العالم للمسيحي (قبر السيد المسيح ، دير جبل صهيون ، الخ) ، ولما يطرده المسيحيين القديسين في ولاياته (٤٨) . وقد يبدو أنه بناء على الطلب الرسمي الذي قدمه مورس ، ست حول الثاني Paul II عاونويل أن يضع حدا لبعثاته إلى الهند (٤٩) ، ولكنه رفض أن يحرر ردا على خطاب السلطان

(٤٦) مده من السنة التي تميلها عليه المصادر . أما السيد مارشالين دانتيفيل

— M. Marcelino da Oliveira (Storia delle relazioni franco-
arabiche, VI, 369).

لأنه يحاول أن يثبت أنه كان حارس دور سانت كاترين في جبل سيناء ، ولكن براهينه في هذا المعنى ليست كافية .

(٤٧) نبذة الهندية حكما والمهمة المعروفة بها لورس ومخططات ديوت من الاسكندرية

Sanct. Hist., IV, 251 , V, 102.

Ibid., V, 247 et s.

Ibid. 246, 252 et s., 253.

— وكانت القديسة مهلا ندرات صبية
أعترف من ربه . مجلس القديسة الذي أقرنا في جلوسه ، ونجدد بالكنة بتاريخ
١٧ أبريل في .
I Arch. Venet., II, 302 et s. ; cf. Sanct. Hist.,
VI, 11 , Pichet, p. 175 , Romanin, III, 230 et s., 240.

(٤٨) خطاب السلطان لبابا بتاريخ ٢٧ سبتمبر (١٥٠٢) . يوجد واكمل في

Chronica do Rey Emmanuel, Fol. 12.

Pinelli, p. 178.

(٤٩)

فمن أن يعرف رأى الأميرين التهميين (٥٠) . ومن روما ذهب موزس في عام ١٥٠٥ لزيارة بلاطى اسبانيا والبرتغال ، ولكنه لم يحرر هناك أى سجاح . وحرر عماتويل خطابا الى البابا توسل فيه اليه ألا ياتخذ تهديدات السلطان مآخذ البعد ، لأن السلطان يحصل على إيرادات كبيرة من حجاج الأماكن المقدسة ، فلا يمكنه أن يسمحا بفرض ، وإضاف قريبا يخضع هو ، أنه لم يتأثر بهذه التهديدات ، حتى أنه في هذه اللحظة كان يمد مفعروعا بنفسه مكة بالقنايل ، لأن أساطيله من القوة بحيث تستطيع أن تثقق لها بسهولة طريقا الى هناك (٥١) .

ومى حين كان مبعوث السلطان يواصل رحلته دون لجاج ، كان مجلس المشورة في البندقية يتعجب لإيجاد مبعوث الى القاهرة ، واستمر لهذه المهمة في انشيسسكو تلتى Francesco Teldi (٢٤ مايو ١٥٠٤) (٥٢) . واليكم في بضعة مطور النقاط الرئيسية في التلميحات المسئلة اليه . عمل المبعوث أن يحيط السلطان علما بأن البرتغاليين يواصلون ارسال أساطيل تجارية الى الهند ، ولا تستطيع البندقية أن تمنع شيك منهم من ذلك ، ويحصلون على التوابل بسعر بحس بالمسبة الى السعر الذى تصل به الى دمشق والألكسندرية ، ويتيح لهم هذا الفرق أن يبيعوها بربح كبير في اسطنبول وفرتسا والفلاندر وإيطاليا ، وباختصار في كل مكان . وفي البندقية ، تكون من التجار طائفة كبيرة ترغب في الاستجابة لدعوة ملك البرتغال ، والدعاب طلبا للتوابل حيث يتمتعون بالاعفاء من الرسوم الجمركية (٥٣) . ومع ذلك لا تريد رئاسة الجمهورية أن تقطع صلاتها القديمة بمصر ، وتأمل دائما أن يصبح السلطان في إعادة اختيار التجارة المبحرى القديم الى ما كان عليه من قبل . ولكي تحصل على هذه النتيجة فوضعت بدتباع سبيل مختلفة . فيجب أولا أن يستورد السلطان أكبر قدر ممكن من التوابل ، ويعرض هذه الكميات الكبيرة في السوق يمكن منافسة البرتغاليين بسجاح في هذه المضمار . ويجبى لسلطان ثانيا أن يهود في اقرب وقت مستطاع أعصاب ديبلوماسيين الى كتي وكناور ليقدموا لمؤكدهين البلديى لمصح دالا يظهروا مودلتهم وسداقتهم

(٥٠) Ant. Giustolanti (v. see Diapacci, éd. Villari, III, 283) ,

- انظر أيضا الرسالة البابوية الى عمانويل بتاريخ ٢١ أغسطس ١٥٠٤ ، والمذكورة في le Corpo dipl. portugues, éd. Rebello da Silva, T. I, L. 1882, p. 43.

(٥١) رسالة عمانويل الى البابا بتاريخ ١٧ يولية ١٥٠٥ في Coes, I.c., loc. 78 et s. , le Corpo dipl., I, 43 et ss.

(٥٢) Rumpin, Storia di Venezia, IV, 638 et ss. ; Mass Lefria, Troisième, p. 239 et ss.

(٥٣) Vor Malpiero, p. 381.

لبرتغاليي ، ويقنعهم بأن هؤلاء صيوف حطروا قد يصيرون من يوم
 لأخر سادة البلاد ، ويشرون بمصالحهم . ومن المستحسن أيضا إبعاد
 مبعوثي إلى ملوك قاليقوت وكيناي لتشجيعهم على مقلوبة البرتغاليين .
 وقد أحس السلطان صغما بإرساله بفتح سعر ، ولكن من الميذ أن يرسل
 مريدا من السمن بألفيتها . وإذا أصيب تبنى مرضى عنه من إيجار مهنته
 فقد عين بدلا منه برناردينو جيوا Bernardino Giova ، ولكن مهمته
 انحلت كسابقته . ولم يكن ثمة شيء يمكن أن يقنع السلطان بضرورة
 التصرف (٥٤) . وفي صيف عام ١٥٠٥ سافر مبعوث آخر إلى القاهرة ،
 هو القير ميخوئيلينو Alvise Segondino ، ولم يكن لمهنته الأساسية
 صلة بوضوعها هذا ، ولكنها تعلم أنه كان عليه ، بصعقة تبعية أن يطلع
 السلطان آخر أخبار تقدم البرتغاليين في الهند تقفعا خطيرا ، وأن يعرف
 ما إذا كان في الامكان للاعتماد عليه ليتخذ إجراءات قاطعة في هذا
 الصدد (٥٥) .

ولمنا لتسائل عن الباحث لهذا الإصرار من جانب البندقية . أفلم
 يكن في وسعها أن تطلع صلاتها بصر ، وترسل سفيرها إلى البرتغال
 لتأخذ منها الترابيل ، أو تنظم بالاتفاق مع البرتغاليين رحلات ما إلى الهند ؟
 أو الإجابة عن عذري السؤالين سهلة . فأولا ، كان الطريق البحري الذي
 اكتشف حديثا طويلا بالسنة للسفن البرتغالية ، ومن ثم كان أطول
 بالسنة للسفن البندقية (٥٦) . وثانيا ، كان عماويل قد دعا البندقية
 بالتفصل للمجيء إلى البرتغال ، ولكنه لم يدعهم البتة أن يشتركوا مع
 بحارته في رحلات إلى الهند ، فذلك خطوة قد يمنحها بصغة فردية لبعض
 البيوت التجارية الإيطالية أو الألمانية ، ولكن لا يمكن أن يسحبها بالجملة
 لمولة تجارية كبرى . لقد عرض عليهم أن يتروكوا بحاجتهم في الترابيل
 في لشبونة بدلا من الذهاب لطلبها من الاسكندرية أو بيروت ، ولا شيء
 غير ذلك (٥٧) . فمعنى ذلك أنهم بعد أن كانوا المؤردين إلى أوروبا كلها ،
 أصبحوا كسائر الأمم تابعي تجاريا للبرتغال . وعلى ذلك فإن ليسا

Archiv. Venet., II, 184.

(٥٤)

(٥٥) علاقات بتاريخ ١٢ أغسطس ١٥٠٥ (Archiv. Venet., II, p. 212 et seq.)

ولمحة إلى علاقات ميخوئيلينو لم تد تتلاقى بالقطعة المقصورة في القاهرة

الأميرة ،

(٥٦) ثمة مدينة أخرى على البحر الأبيض المتوسط ، وهي راجورة كانت حتى آخر
 لحظة تستورد ثوابها من مصر ، بسبب قربها منها . وقد حظيت باستيار من قنصوه النوروي

في عام ١٤١٠ — Lucart, *Historia degli annali di Basua*, p. 120.

Prügl, p. 177 et s.

(٥٧)

عرس عليهم هو في الحقيقة اذلال لهم ، ونعمهم من ثم أن قبولهم هذا العرض أمر شديد الوطأة عليهم . على أن هذا لم يكن هو الباءت الوحيد عند البادئة . ذلك أن البحرية السنكية كانت قد فقدت بعضا من قدرتها القديمة ، وكان تمركزها في البحر المتوسط ضرورة لا محيص عنها ، لاحتمال اندلاع حرب بينها وبين العدو الأكبر ، الترك ، فكان من المحذور عليها أن تقوم برحلات بعيدة . وأخيرا ، لو كفت السعي السنكية من النماب إلى مصر طلبا للتوايل ، فسوف يرى السلطان في ذلك اهانة له ، ولم تكن الوكالات التجارية التي أنشأها السادة في مصر وسوريا تقتصر في نشاطها على التوايل وحدها ، ومن ثم فإن اعتقاد رضا السلطان يعني استعالة الأبقاء على هذه الوكالات . أما قبرص فقد أصبحت مجرد محطة لا قيمة لها ، ولابد أن يؤدي كل ذلك إلى إهيار سلطة السنكية في القسم الشرقي من البحر المتوسط (٥٨) .

ولقد دلى البرتغال ، قعى ٥ من أكتوبر ١٥٠٤ وصل إلى لشبونة بحية أنه بعض الأعمال بها بنقى يدعى ليوناردو مسارى Leonardo Massey ، والواقع أنه كان ملكا من قبل حكومته برالية اصحر السنكى البرتغالية إلى الهند ، وأن يحيطها علما بذلك (٥٩) . وكان عمانوين على علم بمشواره إذ ألمأ بذلك فلورنسى يدعى بفيتر توتلو ، وغداة وصوله استدعاه الملك لمقابله ، وسأله عن بوابه ، ثم ألقى به من السجن (٦٠) . ومع ذلك ، وبعد عدة استجوابات ماثلة ، أطلق سراحه . ومن ذلك الحين حتى نهاية عام ١٥٠٦ ، أمكنه أن يبقى بلشبونة دون أن يرعبه أحد ، ويجمع نتيجة ملاحظاته في مذكرة طويلة دون فيها التاريخ الكامل لتلك البعثات منذ الرحلة الأولى التي قام بها فاسكو داجاما ، وأوفق بها وصفا لوضع البرتغال السياسى والاقتصادى . وتدل مطالعة هذه المذكرة على أن كانتها لم تلمأ تلمأ بالأحداث ، وقدر أن يرسل مسارى ، كان المعروف في السنكية (٦١) أن فاسكو داجاما قد عاد بجناح إلى لشبونة في أوائل سبتمبر ١٥٠٣ ، وأحضر معه في هذه الرحلة الثانية

(٥٨) Foscarini, *Dalla letteratura Veneziana*, pff 441 et ss.

(٥٩) جده هذه التلميحات بتاريخ ٢ يرباية فر Archiv. Venet., II, 205-206. (٦٠) (Ibid. II, 200 et ss.)

أحد من « حنية نل كاسير ، بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٥٠٤ . وللتفاهة من نظيرة بتاريخ ١٦ من أبريل ١٥٠٤ ويحتوى ل 2 no 10 A Archiv Stor Ital. app. 2 على ملخص للاحداث ومنهجاته : ومن هذه الوثيقة استمدت البيانات التي ذكرت بعد ذلك .

(٦١) ذلك أعطى حكومة لبلنكية بهذا الاجراء التمسكى «شطابة» ٢٠ نوفمبر

Savoi, *Diari*, VI, 118.

Mas Latrie, *Traité*, p. 261.

(٦١)

شحنة ثمينة ، بها ما لا يقل عن خمسة آلاف طن من اللؤلؤ ، وبعد وصول أمير البحر البرتغالي إلى الهند وجد نفسه في موقف من أسوأ المواقف . ذلك أن ملكي كانور وكشي كانا حاصعين لمؤثرات صانديه من قاليغوط ، وربما من مصر ، ومن ثم استقبلاه بتردد ، أو لم يكن يبداء سريع ، ومع ذلك سيجع فاسكو داجاما في أن يستمده لثقتما ، ويصيده تنظيم الوكالات التجارية المنشأة في اقلتييهما على أسس أكثر متانة ، وأن يلتقي درسا قاسيا على الرامودين Zamorin ، وتوج عملياته بالقبض على سفينة قادمة من البحر الأحمر تحمل شحنة نفيسة ، مما ألقى الرعب في نفوس التجار المسلمين ، المصريين واليهود ، وكما سبق لنا القول ، حرص البرتغاليون في هذه المرة على أن يتروذوا بنقود أكثر مما كان معهم في المرة الأولى ، كما زودتهم السفينة التي استولوا عليها بموارد أخرى ، إذ بلغت قيمة شحنتها من ذهب ومواد ثمينة ٢٤ ٠٠ ٠ دوكا ، واستمدحوا أيضا أن يشتروا مواد من أسواق كشي وكانور . بشرى يقل بمقدار ٢٠٪ عن التمس الذي دفعوه في رحلتهم الأولى ، وعلى هذا النحو كان من السهل عليهم أن يحصلوا لسلمتهم على شحنات كاملة ، كما سبق عليهم أن يشحوا كل ما يحصلون عليه من سلع في سبيلهم ، فاضطروا أن يتركوا بعض منها في خدمة وكلائهم ، وأحضروا في المجموع من ثلاثين ألفا إلى خمسة وثلاثين ألف قطار من التوابل ، وكان القطار يتراوح بين ١٥٠ ، ١٦٨ رطلا يستقي (٦٢) ، وكانت المنتجات التي تشتمل عليها هذه القناطر هي في الغالب منسوجة من قرفة ، وزنجبيل ، وجوز الطيب ، وأجيرا ، ونكميات تستحق الذكر أحجار ثمينة ، ولآلء . غاية . وقدر التمس الاجمال بمليون دوكا ، ولم تتجاوز نفقات تجهيز السفينة مائتي ألف دوكا ، وكان القمم الأكبر من الأرباح من نصيب الملك بطبيعة الحال ، أما نصيب التجار المتفعين بالمشروع فكان أقل نسبيا ، إذ كان عليهم أن يدفعوا ضريبة قدرها قطار من كل أربعة قناطر ، كما كان وكلاء الملك يستلمون عند الشراء بحق الأفضلية ، ومع ذلك حقق بيت الفينانو Affinitato بدفعة أولى قدرها ٢٠٠٠ دوكا رجحا قدره ٥٠٠٠ دوكا ، وبعد تلك الآونة انخفض سعر اللؤلؤ في البرتغال ، فهدأ سعر القطار من ٤٠ دوكا إلى ٢٠ دوكا ، وهذا سعر طيب لأنه لم يكن يتكلف محليا أكثر من ٢ إلى ٣ دوكات ، وعلى أنه لم يكن أي تاجر ليجهز على بيع بضاعته بأقل من هذا السعر ، لأن الملك حظر ذلك ، وحرص عزيمة مائلة على كل من يخالف ، وترب على نجاح هذه البعثة شعور كبير بالأمان عند التجار المحليين بنشوبه ، إذ تأكد لهم أن في وسع البرتغال عندئذ أن تنويع بالتوابل غرب أوروبا كلها وخزنها من شرقها ، وأن يتفاديا

التي كانت تحكم هذه التجارة سوف تنجرّد من هذا الامتياز لصالح البرتغال . وهناك تجار من بلاد مختلفة قدموا للبرتغال طلباتهم في هذا الخصوص (٦٢) .

وفي اللحظة التي عاد بها الأسطول بذلك للحصول التمتع ، ودخل ليليا ، كان أسطول آخر قد أُلحِق بالعمل في شهر أبريل ١٥٠٣ تحت قيادة الثنائي البوكريك Albuquerque . إذ كان بالقسم الذي يتولى قيادته فرانسوا دا البوكريك أربع سفن مجهزة بملفات اشترك فيها عدد من التجار ، من أهمهم التاجر الفلورنسي الكبير جيولامو سيسيرينجيني Giovanni da Scialoja واستقل جيوفاني دا ايببول Giovanni da Empoli (٦٣) إحدى هذه السفن بصمته وكيلًا خاصًا ليست جوالتيوني وفريسكو بالدي Qualterotti et Frascobaldi الذي كان مقره الرئيسي في بروج ، ولم يكن له في لشبونة سوى فرع واحد . وعندما وصل فرانسوا دا البوكريك إلى الهند بلغت أبناء سيئة : ذلك أن فاسكو دا جاما ، عندما أُلحِق العودة ، فصل من أسطوله مجموعة من السفن كلفها بمراقبة السفن التجارية العربية . وبينما كانت هذه المجموعة تقوم برحلة بين عدن وقاليقوت ، انتهر ملك هذه المدينة فرصة ابتعاد البحرية البرتغالية فطرد ملك كتي ، وجرده من سيطرته ، وهدم الوكالة التجارية البرتغالية المستقرة بأراضيه . ومن ثم أعاد البوكريك تنظيم الوكالة ، وشيد قلعة لحمايتها ، وشجع الملك ، وأحد بنائه من رامورين قاليقوتا Zamorin de Calicut . وإذا لم يعد للرامورين متاع من التوابل ، فإنه وافق أخيرًا على عقد معاهدة صلح (٢٧ من ديسمبر ١٥٠٣) ، نصبت هذه المعاهدة لصالح البرتغاليين على تعويض قدره ١٥ بهار bahars (١٥٠٠ كمنطار) من الفلفل (٦٥) ، والتصريح بالقائمة توكيل تجاري حصص في إقليم الزامورين ، والتزام الأخير (٦٦)

(٦٢) في حوزة ليليا ، يفسر من هذه الوثيقة مجموعة من التقارير المكتوبة من وجهة نظر تجارية .

Senat., Diar., V, 129 et s., 130 et s., V, 341-342 , V, 133 et s. ; Rom. 1828 ; S. senat., Diar., V, 133, 199 , V, 318 et s., V, 1994 et s., Ms. senat., Lc., p. 17 et s. , Priball, Lc., p. 170 et s., 173

Vita di Giov. da Empoli, dans l'Archiv. stor. ital. append. (٦٣)
T. III, p. 25 et s. , Ramusio, I, 145-147

(٦٤) ينظر أيجانتو لي « اليهود » الذي يسافر ثلاثة قنصلين برتغالية . وفي خطاب أيجانتو لرامورين ، ترى أنه يشرع البهار والفلفل بمسألة ١ : (Senat., IV, 347)

(٦٥) استندت هذه المعاهدة حرفيًا في رسالة البوكريك إلى ذلك

M. Grief, Journal de Luc. Rem , V aussi Grynepus, p. 98.

بالفلاح قصداً يستمر يومياً ، وإعادة حلك كشي إلى مرسته بعد أن عامي
من هجمات متواعدة شنها الزاموري في الفترة بين اليعتئين البرتغاليين ،
ولم ينجح بجاته إلا بفضل جماعة من البرتغاليين بقيادة دوارتي باشيكو
Duarte Pacheco ، وأخير معركة بحرية أفرق فيها الأسطول البرتغالي
على مرأى من سواحل الهند أسطولاً تجارياً قلتما من جدته ٠ وفي شبون
عيد الفلاح الحربية سمحت للبرتغاليين فرصة لشحن ٢٤٠٠٠ قنطار من
التوابل في موانئ كياتور وكشي ، (كايان ، كولم) ، وكومورين ٠
وفي هذه المسرة قبل الوطنيون ، ساندوا لميقاتهم بنس مجر سمدته
المصادقات ، المنتجدة الأوروبية التي لضرهم وكيل الملك (٧٠) .

وفي كل مرة اجتمع فيها البرتغاليون عن الهند عائدين إلى وطنهم
استعداداً لخصومتهم تتوقعهم ، وتعرض أسدقأزهم لصروب الاصطهاد ، ومطلب
أعمال وكالاتهم ، حتى لقد صار من انهام المروضة على كل بعثة جديدة
أن تعمل ، بتكاليف جديدة على دعم النفوذ البرتغالي في هذه البواضي ٠
وانصحت الأمور والأحوال من ذلك بفضل حجرة مسعى عديدة ، واستلمت
مراعاة التوقي والحدود ٠ وفي عام ٥٠٥ غرم مياويل على أن يقيم في
الهند بصيغة دائمة أسطولاً . وممثلاً لشعب البرتغال بدرجة نائب الملك ٠
وكان أول من عين في هذا المنصب هو فرانشيسكو داليدا Francisco
d'Almeida الذي سافر في ٢٥ من مارس ١٥٠٥ إلى الهند مستصحباً
سفنًا عديدة ، وعتاداً كافياً لتسليح المصون الكثيرة التي شينها . فآدب
بالتال جمعات جليلة لتسلطة البرتغالية (٧١) ٠ وتولى الأسطول الحربي
هذه المرة أيضاً حراسة أسطول تجاري صغير يضم سبعين مجهزة
لحساب ذلك ، وسبعة ثلاثة يملكها « الفارسي » (الشيفاليه) البرتغالي
فرناندو دابوروا Fernando da Noronha ، وثلاث سبع أخرى جهرها
جماعة من التجار الأجانب ، من بينهم بعض الألمان الذين كانوا أهم المستعمر
في الجماعة ٠ وقد أحطاً السيد جويرداتس M. de Gbernatis حين نسيب
إلى هؤلاء الألمان صفة الهولنديين (٧٢) ٠ وفي ٢ من أغسطس ١٥٠٣
كتب كارلو نيجري Corrado Negri ، وهو مواطن حروي مقيم في لشبونة
إلى أخيه جيروم Jérôme يقول في سياق حديثه عن العديد من الأجانب

Majani, p. 10, 39 et s. ; Priuli, p. 129 et s.

(٧٠)

(٧١) غرقت اثنيان نجاح أنهدا في الهند عن طريق السفن التي عثدت عنها في شهر
مايو وبنها ١٥٦ ٠ وقد حملت أربع من هذه السفن شحنة ثمرها ٢٤ قنطار من
التوابل ، وعثدت أربع سفن أخرى بشحنة توابل ثمرها ١٤٠٠ قنطار . Samul, Diar
V2, 363 et s. 373, 383 et s. ; Priuli, p. 109 et s., 301 et s.

Storia dei viaggiatori Holland p. 15.

(٧٢)

الذين اجتهدهم الى تلك المدينة تعارة التواطئ ان بعض أعضاء الشركة الألمانية الكبيرة قد وعوا بأن يشتروا بكمية مكتبا تجاريا ، وأهم حصلوا منه على شروط ملائمة للغاية (٧٢) . وكان مدير هذه الشركة الألمانية الكبيرة اثنان من مواطني أوجسبيرج ، هما انطون ويلسر Anton Welser وكونراد فوهلين Conrad Voeelin . وأخرى للمفاوضات بهذا الشأن مع الملك شخصي يدعى سيمون سيتر Simon Seitz مدعوا عن الشركة ، وعن تجار أوجسبيرج كلهم ، وتجار مدن ألمانية أخرى ، ومع الامتياز بتاريخ ١٢ من يناير ١٥٠٢ ، وهي حورسا ، ان لم يكن النص الأصلي ، عمل الأقل الترجمة الألمانية للامتياز (٧٤) . لا تقرا في الامتياز ان للألمان الحرية في بناء السفن ، ولكن لا يحود لهم ان يقوموا برحلات الى الهند على حسابهم الخاص ، وبالعكس يرخص لهم انلك ضمنا بأن يجرؤا على البرتغال مشترقاتهم للتوابل ، وشجر البقم ، ومستجات أخرى من الهند ومن البحر التي اكتشفت حديثا . فالواقع ان هذا خامسا (من الامتياز) ينص على أنه اذا اشترى الألمان التوابل المستطرة من البعثة التي يقودها فاسكو دا جاما أو التي تديرها البعثة التي كان يجرى الاستعدادات لها في تلك الآونة بإرشاد الأنثوني البوكيرك ، أو شطب البقم للشحون في السفن التي يملكها فرناندو داتوروها (٧٥) ، فإن رسم التصدير يكون بنسبة ٥٪ لأعضاء الشركة ، ١٠٪ لغيرهم . أما بخصوص التوابل التي يحصلون عليها من مصائد أخرى . فانهم يشتمون بالإعفاء من الآونة الحاضرة . فضلا عن ذلك ، ففي المستقبل ، ومنذ أن يتم تصريف الشحبات التي أحضرها البعثات المذكورة بعاليه ، ويكون الامتياز المتنوع لتوروتها قد صار ملغيا (١٥٠٥) ، فانهم يصفون بصفة عامة من الائتزام بتقديم التوابل البعده للتصدير للحمر ، الا ان هذه التبادلات لم تكن كافية للشركة الألمانية .

لقد تكلمنا قلا عن تاجرين ألمانيين أرادوا في عام ١٥٠٤ أن يرسلوا الى الهند وكلاء عهدهم في صفى أسطول لويو سوايزر ، فلم يبدلوا عن تنفيذ رغبتهم هذه الا بناء على رفض الملك التصريح بسفر تجار على سفنه . ولكنهما كانا أسعد سخطا في بعثة عام ١٥٠٥ (٧٦) . فبسه على رحاء

Senut, *Diary*, V, 319.

(٧٢)

Job. Phil. Coed, *Beime*, 1771, in 4 p. 8-10.

(٧٤)

(٧٥) ضمن لمعه اختار شطب البقم من قبرا حولا (في البرازيل) في مقال دفع

مؤلف . فيوكا سترويا جيلري Massari في ٢١

(٧٦) وثيق مائلول على المعادة في شهر أغسطس ١٥٠٤

Berns Jagobuech, p. 8.

إسطنبول فيلس Anton Welser ، طلب بونجر Peutingger المشهور ،
 (من أوجسبرج) من الامبراطور ماكسيمليان أن يروده برسالة الى الهند .
 وبالنظر الى أن مواطنيه كانوا أول الألمان الذين ارتحلوا الى الهند ، فانه
 توسط لدى بلاط البرتغال لكي يعطيهم خطابات توصية للأمرام
 اليهود (٧٧) - وعلى ذلك فقد جمعوا رأس مال قدره ٦٦٠٠٠ دوكا
 استخدموه في تجهيز ثلاث سفن كبيرة أطلقوا عليها أسماء ثلاثة من
 القديسين القديس جروم ، والقديس رفايل ، والقديس ليونارد .
 وكان أكبر مبلغ في رأس المال هو الذي أسهمت به بيوت تجارية من
 أوجسبرج . وتصدر بيت فيلسر وبيت وفهلس سائر البيوت بحصة قدرها
 ٢٠٠٠٠ دوكا ، وكان لهما في تلك الآونة وكيل في لشبونة يدعى لوكاس
 ريم Lucas Rem (٧٨) ، ثم جاءت بعدهما شركات فوجر Fugger
 وهوشستر Hoeschter ، وجوسبروت Gossembrot وبينما يجهز
 Ismbol وهيرشبول Herschvogel من نورمبرج وثمة بيوت
 أخرى (٧٩) . وثمة حرم من التكاليف ضاعفا لبحار فلورنسيين
 دجنونيون (٨٠) ، يذكر من بين الفلورنسيين بنوع خاص شخص يدعى
 بارتولو Bartolo . ولا شك أنه بدولوميو مارشيووني Bartolommeo
 Marchionni (٨١) ، إلا أنه يمكن القول أيضا أن السفى الثلاث
 التي جهرلها تلك الجمعية كانت سعا المانية . وكان على ظهر السفى
 من ليونارد الوكيل الرئيسى للتجسس الألمان ، بشارارد سبرجر
 Althaus Sprenger من فيل ، واستقل السفينة من رفايل
 متصوب توكيل هانز ماير Hans Mayr . وراى الأسطول هوانى
 كامور وكسى ، وشحن بهما نوابل ولآلء ومسوحات قطبية ، وعاد
 الى لشبونة حيث وصلتها السفينتان من جروم وسان رفايلس في
 ٢٢ من مايو ١٥٠٦ (٨٢) ، ووصلت السفينة سان ليونارد فى ١٥ من
 نوفمبر . واحتجز الملك من مجهزى السفى ربع البضائع ، بالاصابة الى

Lettres de Welser à Peutingger, du 11 déc. 1504 de Pou- (٧٧)
 tingier à Blas Hölzl du Jaug 1508 , Journal de Rem, op. cit.,
 p. 104, 111.

Voy. son Journal, p. 8. (٧٨)

(٧٩) يند سبرجر Springer القائبة المقضى من هذه البيوت التجارية في

جزله Marten - وثلاث السفى الإيطالية ١٥٢٨ من مبلغ ٢٦ دوكا - ولقباليون
 ٢٩١٠٠ دوكا -

Camerus, l.c., p. 1738. (٨٠)

Masari, p. 28. (٨١)

Journal de Rem, p. 8 , le suppl. IV de ce Journal, p. 187 . (٨٢)
 Seneta, Diaz, VI, 238.

وسمى قناره ٢٠/١ - وعلى أثر ذلك رفع هؤلاء عند الملك قضية استمرت ثلاث سنوات ، دافع فيها عنهم لوكاس ريم ، ومع ذلك عيسى في ومبسا أن تقول ما إذا كانت مطالباتهم قد انصب على ارتفاع سعر حبوب الصرية (٨٢) ، أو على الأقل رفض إعطائهم تصاريحهم من الفسحة التي حصلوا عليها بالاستيلاء على مدينتي كاتو Quilon ومبسا Mombasa وأخيرا بيعت التجهيزات في أمستردام ، وبعد تصفية الحسابات كلها ، تبين أنه تبقى مع ذلك ربح صافى قدره ١٥/١ تبعاً لحساب ريم ، و ١٧٥/١ تبعاً لحساب جيساروس Gassarus (٨٤) .

وحرص عديرون على أن تقوم كل سنة بعثة إلى الهند ، وطبقاً لهذه الرغبة أقطع أسطول مختلط في ربيع عام ١٥٠٦ ، وكانت السفن البحرية تحت قيادة العويس البوكيرك ، والتجارية تحت قيادة تريستان دا كونها Tristan da Cunha ، ومن بينهما سفن جهرها أفراد من الوطنيين ومن الأجانب ، كما حدث في الرحلة السابقة ، وكانت بعض البعثات الفلورنسية والجنوية (٨٥) من بين المتبعين بالرحلة ، وكوون ممثل بيت فينسر ، وهو لوكاس ريم شركة مع يرتضال يدعى رى مندر Ra Mendez وتكبد ريم بعض الخسائر ، وأراد أن يحمل تريستان داكونها مسئوليتها ، والواقع أن هذا الأخير قد استغل سلطته في أن تقوم السفن التجارية برحلات استكشافية لم تكن بالرة في حطة جهرها (٨٦) ، على أن نتيجة هذه الحملة كانت الأرباح إضافة حصة كبيرة على كميات التوابل التي تكسدت في مخازن لشبونة (٨٧) .

وهي تلك الآفة ، قدرت كميات التوابل التي تصل سنوياً إلى لشبونة بما يبلغ مجموعه ٣٥٠٠٠ طنطار ، يشكل المثلث وسد أكثر من ثلثي هذه الكمية (٨٨) ، ولم يكن في وسع المبتدئ أن يحصل على شيء من هذه التوابل إلا مما يسمى Maison de la Mina ، وعلى هي

(٨٢) هذه السفينة قد وجدت حياً للفريرد السارية سنة ١٥٠٢ على كل تقاطع
الذين يشاركون في البعثات ، وانكلي اللبنا ذلك بالفترة التي لريدا « مزارع »
Mastard، صفحة ٢٦ ، وما ذكره الفيلتر في : Samul, Diar, VI, ٩٥.

(٨٤) Ram, p. ٥ , Gassarus, p. ٥4٥ , le suppl. au Journal de Ram, l.c.

(٨٥) Messari, p. 21 , les A11 della Soc lig, V, 30٤.

(٨٦) Journal, p. 8.

(٨٧) لمصرحت إحدى سفن البعثات ٧٠٠٠ طنطار من التوابل لحساب بارتولوميو
مارشوتي ، وهو تاجر ليريسي Vartolomeu, p. 173 b.

(٨٨) Messari, p. 21, 23.

التسمية التي أطلقت على مجموعة من المخازن الضخمة التي تودع فيها الحكومة منتجات مناجم الذهب الأفريقية (ومن ثم كانت هذه التسمية) ، ومنتجات الهند ، مهما كان صاحبها . وكان ثمة معقش من قبل الملك يتولى عملية البيع . وكان ذلك هو الذي يحدد الثمن وقد وُضِعَ هذا النظام عام ١٥٠٤ . وقيل ذلك كان للتجار الذين يملكون تصصيا في المنتجات أحرارا في أن يكون لهم مخازنهم ، وأن يبيعوا مباشرة وبالثمن الذي يريغونه ، وكان هذا الأمر يتيح اختلافات كبيرة في الأسعار ، كما يؤدي إلى نقص في كمية البضاعة . ومن ثم أُلغِيَ عدد كبير من تجار الفلاتمر ، وألغيت بلاد أخرى ، من الذين اشتروا كميات كبيرة من التوابل في السنين الأولى بأسعار مرتفعة . أما غيرهم من التجار الذين أصبحوا أكثر حرصا ، فإنهم قتلوا من مشتريائهم . وإذا أراد الملك أن يبيع بالتجارة نهضة جديدة فإنه اتخذ الإجراءات التي أشرى إليها من قبل ، وبمجرد سماحها فيها ابتداء . ثم أنه لم يقع بانتظار حصول العمالة إلى لشبونة . عند البداية انطلقت السفن البرتغالية حاملة التوابل إلى إنجلترا وفرنسا . وفي عام ١٥٠٤ صنعت حصى من هذه السفن دور التيسر حتى لندن تحيل ٣٨٠ طنا من الفلفل (٨٩) . غير أن هذا للتقال ليس هو أقدم الأمثلة في هذا الموضوع . ففي عام ١٥٠٦ ، علم في البداية ، في طريق خطابات من بروج ، ومن أنفير (أنتورب) - مقاطعة في شمال بلجيكا) أنه قد وصل إلى الأراضي المنخفضة سفينتان برتغاليتان من نوع « الكرافيل » (مركب سريع بثلاث أو أربع صواري - القرحم) وبهما شحنة من التوابل المستوردة من فالتيكوت (٩٠) : وذكر في هذه الخطابات أن العمل صغير ، وأنضر بوعا ، ولكنه جيد الصنف ، أما القرفة فإنها خضرة بعض الشيء . ويبدو أن هذه السفن (الكرافيل) قد رست في ميناء أنفير حيث توجد منذ عام ١٤٩٠ قنصلية برتغالية (٩١) . وكان وصول هذه المنتجات الثمينة المرسل من أمة كانت الصلات بها مدينة للمهد بمثابة حط بمعبد لسوق أنفير التي طالت محل محل سوق بروج ، وما رعاؤها صوا محسوسا . وقد اشترى القسم الأكبر من

(٨٩) Serpi, Etar, V, 904, Rawden Brown, Calendar of State-papers, Venetian I, p. 303.

(٩٠) Privile, p. 164.

(٩١) كانت محطة كرايفال قد وصلت لتوها عائدا من رحلتها لنيابرة . وفي الوثيقة وثائق الثاني أن ملك البرتغال أن يقره أن يقل في أسواق اللاتير جردا من التوابل التي أتت بها هذا الأسطول ، بأسعار أقل من الأسعار التي يعرضها بها لتجار البشنة ومن ثم إعطاء البشنة للذين أتوا أنفسهم كثيرا من تحت يات التوابل المستوردة في السفن ليخرة إلى اللاتير في شهر أغسطس ١٥٠٦ (Ibid., p. 161)

(٩٢) Merxide en Torf, Geschiedenis van Antwerpen, III, 329.

الشمس حتى بيتا فوجر ، وهو مستقر من أوجسبرج ، وتسم النباتات
بصفة عامة في أفقر ناجر . من ثمار المدينة يسمى بيكولاسي دشرجيم ،
وكان هو أول من صدها إلى تجار الماء . وظل هؤلاء في البداية أن
النباتات مغشوشة لأن البنية كانت حتى ذلك الحين هي التي تتحكم
هذه المواد (٩٢) ، ولعلهم أيضا قد اعتادوا أن يأخذوا حذرهم من البرتغاليين
الذين صدهوا ذات مرة إلى أنيلاند فعلا من غينيا من صنف أقل جودة
في لفلل ألهم (٩٣) . وبخصوص الرجبيل ، وجد أمالي أفير رجبيل
البرتغاليين أقل جودة من رجبيل إيلاندا (٩٤) . وتفسير هذا ميسور ،
عجائزات قاليكوط التي تنتج أحسن صنف كانت ممتدة دون البرتغاليين ،
فكانوا يحصلون على هذه المادة أساسا من كنانور حيث تنمو في ظروف
أقل ملائمة (٩٥) .

ورغم الكميات الهائلة من التوابل التي تصل إلى لشبونة ، لم يكن
البرتغاليون حتى ذلك الحين هم الوحيدين المسيطرون على سوق الهند .
حقا ، كان ملوك كنانور ، وكئي ، وكولم يصرفون لصالحهم ،
ويحتجون لهم ثرواتهم وأقاليمهم ، ومع قاعدة المبيعات التي تشكلها
التوكيلات المحصة التي رخص لهم بأشائها ، ولحطة القوة التي بدأت
لخدمة أسطولهم على جزيرة أنتيديا *sachodiva* ، صبنوا مستقلا
الوصول إلى قسم كبير من سواحل ميار ، وكارا *Chara* ، والبطيخة
أيضا أن المفضل كان يزرع على نطاق واسع على طول هذه الشواطئ ،
والعمل الذي يزرع بالداخل ينقل بالطرق المائية حتى للواتي ، ويجلبه
الوطنيون إلى هناك من حطب جانور لأن البرتغاليين يذهبون فيه ثمنا أزيد
مما يدفعه العرب . غير أن هذا لم يكن هو كل ما ينتجه البلد إذ كان
للحرب في مملكة نارمينا *Narsinga* ، في باتيكالا *Batiscala*
مستودع يملئ ٣٠٠٠ قنطار لفلل في السنة (٩٦) . وبسلاف الغنفل ،
لم تكن هذه البقاع تنتج غير الرجبيل والقرفة ، ولكن بكميات قليلة

(٩٢) *Ibid.*, p. 331 et s. ; 330 ; *Lodov. Gulicardinali, Descriptione di*
India 1 parsu bandi (Aversa, 1807), p. 34.

Massari, p. 306.

(٩٣)

Rawdon Brown *loc. cit.* p. 301, 307.

(٩٤)

Vino, Guidal, p. 9 ; *Massari*, p. 30, 32.

(٩٥)

— نلاحظ عن ذلك ، أنه لعدد البرتغاليين أن التوابل التي يستوردونها هؤلاء الآخرون
من مختلف ديارهم على وجه العموم ، أما لأن الرطوبة أصابها خلال رحلتها الطويلة ،
أو لأنها تلتصق من طول يأتها بمسارن لشبونة . وقد أصغر الملبسان الكوربان لثبتي
من ، وبالنظر لثبوت عند استعمال الغنفل الذي يستورده البرتغاليون .

Quirina, *loc. cit.* p. 9 ; *Massari*, p. 32.

(٩٦)

وأصناف قليلة الجودة . ومن جهة أخرى كانت المراسم الثلاثة المفتوحة لتجارة البرتغاليين تنزود حاكما بمنتجات الهند الصينية . إلا أن المركز الذي تشته إليه أولا هذه المنتجات ، ومنه توزع على العالم كله ، وهو السوق الكبير ، سوى ملقا ، كان ولم يزل كله في أيدي المسلمين .

وهكذا تابع البرتغاليون في الهند هدفين في وقت واحد ، يتجهيان إلى غاية واحدة . توسيع مجال تجارتهم بفتح أسواق جديدة أولا ، والقبض على تجارة العرب بدمج حريتهم التجارية نانيا . ولم يعد أحد يحصى السفن العربية التي انجذرت عليها أساطيلهم في أعالي البحار ، أو على مرأى من السواحل ، وأغرقتها أو أحرقتها بعد أن همت أو همرت شبحتها ، وقتلت ركبها وبخاؤها . فلم يعد المسلمون يبحرون على المخاطر بالتردد على أنحاء سواحل هبار ، وكنارا ، وقرورا خطط سيرهم بعد عودتهم من ملقا . فبدلا من الرسو في ميناء كاليكوط ومنه يطلون وجوههم النهائية ، إما في عند أو إلى حرم ، تجسروا من ذلك الحي كل القناع للصوص بين رأس كمورن كاليكوط . وجعلوا يلقون مراسيمهم إما عند الطرف الجنوبي من جزيرة ميلان ، أو عند جزر ملديب (١٦٦) ، وكان هذا التعاقب بعيدا عن الطريق المباشر ، ولكن كانت غرضتهم في ذلك أكبر لثلاث من الكمائن التي ينصبها لهم أعداؤهم القساة . والحديث الهندى فسيح الأرصاء فلا يتسنى قطع الطريق على السفن المبحرة به قطعا تاما إلا بإقامة أسطول كبير في هذه المياه بصفة دائمة . وأدركه معاويل أن في ومنه أن يحظى هذا العرض تقريبا بإقامة المقاتلات عند مدخل البحر الأحمر ومخرجه ، ومن أجل هذا أصدر امره إلى تريمستان دا كونا أن يحتل جزيرة سقطرى Sokotrah حيث يتوقف المسلمون ليرودوا بالآلة . وتم الاستيلاء على الجزيرة في عام ١٥٠٦ ، ثم شيد البرتغاليون بها للحال حصن سان ميغيل S. Miguel . ومن هذا المركز الحصين سيطروا على طريق مصر - الهند ، ومبصار في عقولهم قطع الاتصال بين البلدين .

وحتى ذلك الحي تحمل السلطان دوز أن يحتج تلك الحرب التي شنها البرتغاليون ضد رعاياه في المحيط الهندى . كما تحمل الملوك السليبي الذي اتخذوا المستوطنون البتادقة القبيحون في أناليه (٩٧) . وأخيرا ، في عام ١٥٠٥ قر عزمه على حمل السلاح (٩٨) . وشيئا فشيئا

Barroo, Asia, II, 432 et s.

(٩٦)

Sauzet, Diar, V, 798 ; VI, 86, 180.

(٩٧)

Ibid. VI, 240, 246, 288, 311, VII, 55, 326 Proul p. 37 et r

(٩٨)

تجمع أسطول من حسيين سفينة شراعية في ميناء حدة بقيادة حسي المشرّف Hussein Almouchett . وفي أواخر عام ١٥٠٧ كان الأسطول على أمية العمل في المحيط . وبعد أن لحق الأسطول في طريقه بأسطول شاه كهرات ، أو بالأحرى حاكم ديو ملك إياس ، نجح نائبه حسي في مفاجأة دليدا Almeida الشاه ، وأمر به حرية مسابقة (يناير ١٥٠٨) . وقد تطلبت هذه الهزيمة انتقاماً رهيباً ، اضطلع به اليدا الكبير . نائب الملك Pt. Almeida : في ٣ من فبراير ١٥٠٩ شن على الأسطول المصري ، على عرض البحر من مدينة « ديو » معركة كبيرة قضت عليه . ولم تثبت حدة قنصوه القوي بسبب هذه الكارثة ، بل ضاعف من جهوده في التوسع . ثم إن خلفاء من الأمراء الهنود لم يتركوا له فرصة للراحة . وفي صيف عام ١٥١٠ صار له في البحر الأحمر أسطول جديد على أمية الابحار . ومع ذلك لم يخرج هذا الأسطول في البحر الأحمر في عهد السلطان المملوكي ، ولم يمتد مجال للتفكير في إرسال حدة إلى الهند (٩٩) .

وهنا يبرز سؤال لا بد لنا أن نجد له حلاً . هل تماوت جمهورية البندقية تعاوناً مادياً في تسليمات السلطان ، وهل روده ، كما رعم البعض بذلك ، والمفهمين ، وأخشاب السماء ، والجارين لتسليمها ؟ (١٠٠) وفي عام ١٥٠٤ تلقى ملك البرتغال من فلورنسا بلاغاً ضد رئاسة البندقية . يتهمها بأنها أرسلت إلى مصر سفينتين محملتين بمخالفات للسلطان ليستخدماه ضد البرتغاليين (١٠١) . وفي عام ١٥٠٩ وجه عمانويل من جديد احتجاجاً ضد إرساليات المدافع هذه (١٠٢) . غير أن هذا البلاغ الوافد من فلورنسا كان قد أرسل في خثرة لم يكن قنصوه القوي يفكر في شن حرب على البرتغاليين ، ومن ثم لم يكن الاتهام قائماً على أساس صحيح . إنما بخصوص احتجاج الملك فقد أرسل « إيان » « حطب كبرى » Logus de Coimbra أي في وقت لم تكن جمهورية البندقية تملك من القوات ما تدافع بها عن نفسها ضد أعداء القوياء ، ومن ثم لا تقوى على مواجهة أي عدو آخر . وفي عام ١٥١٠ أعاد لوي حليان Louis Hélian سفير لويس الثاني عشر ملك فرنسا مرة أخرى نفس الاتهام ضد البندقية ، وذلك في خطاب ألقاه في « ديبوت » (مجلس الإمبراطورية الرومانية المقدسة) والسينون . وفي ذلك الحين ردد الاتهام مراراً كثيراً .

Ibid. VIII, 80 , IX, 37 , X, 40 et s., 110 et s. , XI, 78 et s. (٩٩)

108, 208 XII, 478 et s. , Priuli p. 210

M. Padua, l'Archiv. Venet., II, 138-152 , XXXII, p. 24-25 (١٠٠)

Mansuri dans l'Arch. stor. Ital., app. 3, p. 38. (١٠١)

Priuli, p. 204. (١٠٢)

من الكتاب ، ولا كانوا يقولون ما كتبه بعضهم في هذا الخصوص فلا جلوى
 من أن يشغل أنفسهم بما كتبوه ، بل الأولى بنا أن نرجع إلى المصادر ،
 ومن عام ١٥١١ اغتال السلطان عدداً من البحار المبادلة بالأسكندرية ،
 واحتجزهم بالقاهرة - ولا حاولوا بمختلف الوسائل أن يستردوا حريتهم ،
 فإمام الموطون المصريون بأن السلطان يريد الحصول على مدافع وسفن
 حربية ، ومجاليص (وكان في حاجة إليها لمحاربة البرتغاليين) ، وألح لهم
 كبير الترجمة تفرى بردي Tangibendi بأن رئاسة الجمهورية
 (المدنية) وعدته بهذه المهمات إيمان بصفته في المدنية ، أي في عام
 ١٥٠٧ (١٠٢) ، وفي حورتنا المناظر الرسمية الخاصة بهذه البعثة ،
 ويبدو أنها مستوفاة ، إلا أننا لا نرى فيها أية إشارة إلى تلك المساعدة
 المالية ، إما في صورة طلب مقدم من السلطان ، أو في شكل وعد من
 جانب رئاسة الجمهورية ، حقا ، فقد تكون الوثائق الرسمية قد لزمنا
 أصبحت بشأن نقطة لها مثل هذه الأهمية ، ولا نستنتج من ذلك أن
 كبير الترجمة قد أكد واقعة من تسج حياته ، فحينما تعالج مسائل من
 هذا النوع يمكنه بوجه عام بالتفاوض شعاعاً بشأنها ، ومن المحتمل
 كثيراً أن يكون السلطان قد قدم لرئاسة الجمهورية أكثر من مرة طلبات
 من هذا النوع ، وأن هذا كان من الأمور التي تفاوض بشأنها بوجه خاص
 المبعوث المصري في عام ١٥٠٧ . ولعلنا نلاحظ أن تفرى بردي الذي يذكره
 المبادلة لم يؤكد أنه تلقى منهم ردّاً إيجابياً إلا ليطهروهم بسوء البنية ، ولم
 يكن ما قاله يمتد إلى الحقيقة بصفة ، حقا فقد سمعت رئاسة الجمهورية
 مراراً لكي يستخدم السلطان نفوذه على الأمراء اليهود لاقضاء البرتغاليين ،
 وأن يروى الجمهورية بدعم فعال ، بأن يضع أساطيل تحت تصرفها ،
 ولكنها كانت حريصة على الحرص إلا تعرض نفسها للشبهات بالتواطؤ
 علناً مع السلطان ، ألم بر ذلك من قبل حين أتى مورس من قبل السلطان
 مطالباً بوضع حد للبعثات التي ينظمها عماديل ، ورفض تصريفاته ،
 وكتابه ؟ - سوف نتحدث بعد قليل عن بعثة كلف بها عام ١٥١١
 دومينيكو تريفيراني Domenico Trevisani وكان على اللجنة الكلمة
 بتفويض التعليمات الخاصة بالبعثة أن تعرض طلباً جديداً من السلطان
 للحصول على جنود للمدنية ، وسفن حربية ، وقذائف ، إلخ ، فمادام
 كان جوابها ؟ لو قدمت الجمهورية للسلطان هذه المساعدة المادية فإنها لم
 تحصل على نتيجة سوى أن تعرض نفسها للشبهات في عين السالم
 المسيحي ، وتتعزل ، ومن ثم فقد نصحت السلطان بأن يوجه طلبه إلى
 الأسطرنطينية ، وإن كان بمثابة إتيان خشية للنساء فعليه أن يطلبه من خليج

أياس Lajazzo (١٠٤) • ولم يكن السلطان في حاجة إلى هذه المنسوجة ، ففي عام ١٥٠٧ تم في عام ١٥١٠ طلب من تركيا مدافع وحشيش للبناء ، وتباطبة للسفن ، وجنودا للمدافعية ، وتكرم السلطان العثماني بإحدى هذه الأشياء (١٠٥) • وفي صيف عام ١٥١٠ أرسل يطلب أحشاشا من حلب أياس (١٠٦) •

كانت هذه الرحلة الأخيرة فرصة لبراع جديد بين مصر والقوى التجارية العربية • فتمت أسطول الفرمان وودس طارد سفنا مصرية ، وفاجأها على مسافة غير بعيدة من الإسكندرية ، وبعد معركة استمرت بضع ساعات استول عليها ، وعلى أحشاش موشوعة على الشاطئ ، انتظر شبحها (أغسطس ١٥١٠) (١٠٧) • وثارت ثائرة السلطان ، وفي تمعنه للانتقام سبب جنم غضبه على كل الغربيين القريبين من أرضيه • وبعم إشوع حاس أنه قبض على اتصال الفطالبيين في الإسكندرية ، وعلى الكثيرين من مواطنيه ، وحسبهم في القاهرة ، وأغلق معازيم بالشمع الأحمر : وكان المبرر لهذه الاعتقالات أن الاتصال القطالوني يمثل في الوقت نفسه العربيين ، وهؤلاء هم مواطنو الرئيس الأعلى لودس إيمري دامبور Emery d'Amboise ، أما البداة فانه عاجهم بدوى أن أربع سفن مصرية لليندية اشتركت في معركة الإسكندرية إلى حاص أسطول فرسان رودس ، واستقبلت بحفاوة في جزيرة قبرص •

وفي سوريا ، لمي المستوطنون البنادقة نفس المصير الذي لقيه مواطنوهم في الإسكندرية (١٠٨) • وثمة طرف خاص أسهم في رفع سدة الغضب التي استبد بالسلطان ضدهم : فهناك خطابات موقع عليها من أمير حلب ، بين عدد من الرماكل ، كشفت عن وجود اتفاق سرى بين أهل الفرس ، اسماعيل الصفوي وبين جمهورية البندقية ، وس تم كتب في ذلك تقريره • والتمناط السلطان ، خاصة من جرأة البعض في استخدام طريق سوريا ، وهي من الولايات التابعة له لزور رسائل خاصة

Archiv. Venet., II, 104-102 ; Sanct., Diar., XIII, 262 ; Priuli, (١٠١) p. 328.

Sanct., Diar., X, 237 ; XI 78, 234, 289, 221, 704, 728. (١٠٢) 232, 229 ; XII, 154 ; Priuli, p. 210, 211 et s., 214 et s., 218.

Sanct., Diar., X, 422, 428 ; XI, 96, 64, 76, 109, 478. (١٠٣)

Priuli (p. 212 et s.) ; Sanct., Diar., XI, 570 et s. ; cf. ibid. (١٠٤) 429, 445.

Sanct., Diar., XI, 646 et s., 648 et s., 651, 625 et s. ; XII, 121. (١٠٥) 141, 182 et s., 186 et s., 207 et s., 210 et s. ; Priuli, p. 220 et s. ; Mon. slav. merid., XIV, 98, 278.

تستهدف وضع اتفاق بين الدولتين الفرس مع مكافحة مباداة العدائين ،
 وسحب جام فضه بنوع خاص على بيشرو زيانو قنصل البندقية في دمشق
 الذي كان على علم بتبادل وجهات النظر هذه ولم ينظر بها القاهرة على
 الاقل (١٠٩) . وفي ٦ من يناير ١٥١١ وصل الى القاهرة بيشرو ديسر .
 ومعه ستة من تجار دمشق وأربعة من طرابلس ، وثلاثة من حلب حيث
 انبسطوا في مسجد القاهرة الى توماسو كونتاريني قنصل البندقية في
 الاسكندرية وسائر تجار الاسكندرية الذين كانوا موجودين بها منذ ١٢
 من أكتوبر ١٥١٠ . وجرى استجواب ديسر بدقة ، وعنفه السلطان بشدة ،
 وكاد يأمر بضربه بالعصا : وأسمهم ما كان يبيده من احتشاش التناق ،
 وسنوك مترفع في زيادة موقفه سواء مما أدى الى ابقاء أشخاص آخرين
 في السجن معه ، رغم ضعف الشبهات التي حامت حولهم (١١٠) .

وفي تلك الآونة كانت إحدى البنادقة مخلولة بسبب تورط البنادقة
 في حرب مشنومة ضد « حلب كبرى » ، وعانى دعايلها بقسوة من تلك
 الحال الربكة . وكان لها في بلاد القاهرة أعداء لم يترددوا في التشجيع
 بانها عوشكة على الانهيار ، وفي يكون لديها بعد قليل مال يكفي لتجهيز
 سفن تجارية ترسلها الى الشرق الأدنى . ولم يكن ثغرى برقى ، كبير
 التراجمة عند السفانية القديم هو الوسيط الذي يردد هذا القول ، فنة
 شخص آخر ذو نفوذ كان يلعب على التوترب نفسه . ذلك هو قبايل دي بريتر
 Philippe de Bréteuil (١١١) ممثل القطالوبيين ، والبابولييين ،
 والفرسيين . وقد ألقى به في السجن ، ولكنه لم يمكث به طويلا ، إذ
 استخدمه السلاطين الرشوة واستخدمها أيضا ليمتد الحظوة لدى
 السلطان ، وظل من ذلك الحين يصور له أن الأمور سوف تكون كلها على
 ما يرام ، بالنسبة له ولبلده إن هو صرف النظر عن البنادقة الذين انبطت
 أحوالهم ، وكفل للفرنسيين بدلا منهم للكتابة الأولى في أسواق مصر
 وسوريا . وبالاهل ، وعد السلطان في خطاب وجهه للويس الثاني عشر
 ملك فرنسا (في ١٦ من نوفمبر ١٥١٠) بأن يكفل للفرنسيين الأفضلية

(١٠٩) يلاحظ في هذه الوثائق أن المباداة كلها من جانب اسمايل ، وأن الجمهورية

لم تكن موقفة إيجابيا . انظر في ذلك : Berchet, *La repubblica di Venezia* -
 e la Farsa (1885), p. 86 et s.

- وبمجموع الاتهامات الوجهة ضد زوتير . انظر :

Bonati, *Diar.*, XI, 470, 489, 645, 855, 877 et s., 848 et s.,

691, 695, 825 et s., 887 et ss. , XII, 183-87, 207-215, 234-4

(١١١) Company, II, 307, 309; Peter Martyr ab Angeliu, *Legatio* ,
 belyiolica, p. 389 , Marcantonio da Civerza, *Storia delle mine*, franc-
 cest., VI, 388 et ss. , Thuanus, *Voyag. d'outremer*

على البنادقة ، وعلى سائر العربية بوجه عام (١١٢) . ولكي يطمئ برينر نفسه مريندا من الأهمية . ألجأ إلى في وسعه أن يحصل من الملك على معونة مادية لتسليح الأسطول الذي جسده السلطان لمحاربة البرتغاليين ، وتباهي بأن له نفوذا على الرئيس الأعلى لروندس بحيث يستطيع أن يضمن حق إعادة السفن المصرية التي استولى عليها مواعيلوه في حليج اريس وأنشأ إعلان عن ثيا جديد يتعلق به السلطان : ذلك هو وصول صغير من قبل ملك فرنسا (١١٣) . وكان الثيا صحيحا : فقد وصل السفير ، واسمه أندريه لو روي - André Le Roy - إلى القاهرة في ٢٥ من مارس ١٥١٢ . ولكن لم يكن له أولبرينر من النفوذ ما يكفي لتغلب على مسألة رأى الرئيس الأعلى لروندس ، فلم يرد السفن التي وقعت في الأسر . ولم تأت مهمة لو روي اجمالا بنتائج تذكر ، كما أنها لم تكن ، كما سبق الوعد بذلك نقطة انقلاب في الموقف التجاري (١١٤) .

ولم يكن البنادقة مستعدين إطلاقا لأن يتركوا منافسيهم يحلون محلهم ، واكتنوا ذلك بأن عرضوا فوجا أساطيل تجارية جديدة ، كالت مدة فترة طويلة حترصة في البحر للتجارة لمر ، في كادييا وقبرص انتظارا لنقطة التي تتبع لهم فيها حدوث الحرب افتتح موازي الاسكندرية أو بيروت . وأسفر هذا الاستعراض عن نتيجة مزدوجة : فقد أبان للسلطان بوضوح حيوية الجمهورية ، ثم أتاح له كسبا مباشرا . وأعجبت الفكرة السلطان حتى أنه قرر إعادة فتح موازيه للسفن البندقية . وذلك قبل البت في المنازعات بصورة نهائية (١١٥) . وكان في هذا الأمر كسب للثقافة ، ولكي كان لزاما عليها أيضا حل المسائل المعلقة . ومن أجل ذلك لم يكن هناك مناص من إعادة سفارة ، وكان في ذلك مريندا : برضاء كبرياء السلطان ، واستجابة لرغبة طلالا إيداعا التجار البنادقة ، كما أن هذا أحسن رد فعل للمؤامرات الفرنسية . وفي ١٧ من نوفمبر ١٥١١ عين لهذه المهمة واحد من أكبر الأعيان المرموقين في مجلس الشيوخ ، وهو دومينكو تريفييراني Domenico Trevisani . وسرر بعض التعليمات

(١١٢) هذا الخطاب مندرج في Samut, Diar., XII, 624 et ss.

(١١٣) يقسمون مؤامرات روبرت بريتز - انتر Samut, Diar., XI, 828, 829 , XII, 163 et s., 210 et s., 213, 236, 207 ; Prüll, p. 220 et s., 232 et s.

— وبلا . في عام ١٥٠٥ حين دخل الفيل Adria للمصا مصر ، قبل له أن يبرأ هذا هو اسم البندقية — Samut., Diar., VI, 207

Saint-Priest, Mémoires sur l'ambassade de France en Turquie (Paris, 1879), p. 345-352 . Prüll, p. 232 et s., Samut., Diar., XII, 208.

Samut., Diar., XII, 88, 97 et s., 163, 212, 245, 287, 271 et s., (١٥١) 390, 309 et s., 340 et s., 411, 429, 471, 497, 603 ; XIII, 248, 295 et et s., 204 etc.

المسلمة اليه « مجلس العشرة » وحرر بعضها الآخر مجلس البريجادى Pregadi بتاريخ ٣٠ ، ٣١ من ديسمبر (١١٦) . وغادر السفير البندقية في ٢٢ من يناير ١٥١٢ فوصل القاهرة في ٩ من مايو (١١٧) ، وهو دبلوماسى محتك ، وكفل له البذخ الذى ظهر به فى هذه المناسبة ، والهدايا النفيسة التى حملها للسلطان ، وأكثر من ذلك طبيعته التى جمعت بين قوة الارادة والمرونة ، كفل له كل ذلك منذ البداية كل فرص النجاح .

وعند وصوله كان كونتاريني قنصل الاسكندرية ، وزينو قنصل دمشق لم يزالا محتجزين فى سجون القاهرة ، ومعهم عدد من التجار . وكان لابد أولا من اطلاق سراحهم ، ولم يكن هذا بالأمر الهين ، لأن مرأى زينو وحده كان كافيا لاثارة غضب السلطان من جديد . ولما كان تريفيزانى يتصرف طبقا للتعليمات التى تلقاها ، فانه بدأ بمعالجة مسألة الرسائل التى تبودلت بين البندقية واسماعيل الصفوى ، فتحدث عنها بصراحة كما لو كانت أمرا لا غبار عليه ، ونجح فى أن يقنع قنصوه الفورى ، فى هذا الخصوص بأن الجمهورية لم تفكر لحظة فى تدبير مؤامرة ضد مصر . ورغم كل شئ، أصر السلطان على اتهام زينو بالخيانة العظمى لأنه عقد لقاءات سرية فى اقليم سوريا مع عميل لملك اجنبى ، وكان يريد أن تدين رئاسة الجمهورية المجرم وتحكم عليه بعقوبة الاعدام ، أو على الأقل بالسجن مدى الحياة ، أو النفى . واستأذنه تريفيزانى فى ارسال زينو الى البندقية ، ووعد بأنه عندما يصل الى هناك سوف يجرى تحقيق صارم فى سلوكه ، فان ثبت اجرامه فسوف يحكم عليه بعقوبة رادعة . وفى ختام المقابلة ، وضع بنفسه السلسلة فى عنق المتهم ، وخرج به على هذا النحو من القاعة . وعندما عاد ليستأذن بالانصراف من السلطان ، أذن له السلطان أن يأخذ زينو بصفته عبدا له ، يتصرف فى امره كما يشاء . وهكذا أنقذ الرجل التمس ، وعاد الى دمشق ، وفيما بعد الى البندقية حيث لم يزعجه أحد بطبيعة الحال فى موضوع المؤامرات التى دبرها مع

Sanuto, Diar., XIII, 359, 362, 364 ; Priuli p. 245 et s., Mas (١١٦)
Latrie, Traités, p. 271-273 ; l'Archiv., Venet., II, 190-192 ; les suppléments au Voyage d'outremer de Thénau, p. 237-248.
Diarli de Sanuto ; Viaggio di D. Trevisani, ambasciatore venet (١١٧)
algran Sultano del Cairo nell' anno 1512, descritto da Zacc. Pagani, éd. N. Barozzi, Venez. 1975, ; Sanut, Diar., XV, 193-208 ; Sanuto, XN, 573 ; XV, 17-20, 174 et s., 255-257, 264, 266 ; Priuli, p. 243 et s., 245 et s. ; Mercant, Michieli, dans l'Archiv. Venet., XXII, p. XVII et s.

القياد اسماعيل - أما باقي المسجونين فقد أطلق سراحهم بلا قيد ولا شرط (١١٨) *

لنستقل الآن إلى قسم آخر من تعليمات تريفيزاني * إذ كان عليه أن يعمل على حسم القضية بتمثيل الأمة الفرنسية ، وكثير التراجحة تفرى يردى ، وتكديب التسلطات التي روجوها ، والتأكيد على أن البندقية قادرة على التصدي لأعدائها ، ودعوة السلطان لأن يتمسك بتحالته مع الجمهورية ، وأن يبقى أسفه لأنه استمع في الأوقات الأخيرة لتعليمات القسيرة الصادرة من أعداء البندقية ، ويصرح بأن الجمهورية تستطيع أن تستورد القليل من شيونة بسعر أرخص ، ومع ذلك فقد تصرعت لصالح البليدين بأن واصلت إرسال سفنها إلى مصر حيث تشجى بها القنصل ، وتعطيا في مقابل ذلك ذهباً وقضياً وتعامداً وقصديراً ووصافاً وأصوافاً وسراير ودينا وعاكة ، الخ ، يضاف إلى ذلك رغبة رؤساء الجمهورية في أن تبقى مواد الاتفاقة للبرقة مع تفرى يردى عام ١٥٠٧ مادية للقول بالنسبة إلى البليدين ، وأخيراً مراعاة الرغبات التي أبداهام فصلال الاسكندرية ودمشق لصالح رعتها في كل شيء - كان هذا بإيجاز المهمة للخدمة الحوالب التي كلف بها السفير البندقي - وتخصت النقطة الأخيرة دراسة التفاصيل المتعلقة بالمعاملات المتبعة في الأسواق ، والرسوم الجبركية والبحرية ، وكانت هذه النقطة موضوعاً لمتناقشات جرت مع موظفيه ، وخاصة وكيله التجاري ، في غير حضور السلطان * ولدى حورتها الحاضر الرسمية للجلسات (١١٩) ، نطالع فيها التصفيات والاتهامات المتبادلة بين المتفاوضين ، وكذا الوعود تصحيح غروب الصنف أو الدالها ، والعودة إلى غرف أفضل * وليس في إمكاننا أن نتعرض لتفاصيل الوقائع التي ذكرها المستوطنون البنادقة في الاسكندرية ، وطرابلس ، ودمشق * وحلب ، ولكنا نعرف أحوالهم * ألم يعتبروا أنفسهم راضين بالوعد بعدم ضربهم بالعمى في المستقبل دون صدور أمر خاص بذلك من السلطان ؟ وهما بالأكثر ما أبداه المصريون من شكوى ، إذ يتبين منها بصورة أكثر وضوحاً حالة الإهيار التي آلت إليها التجارة في الشرق الأدنى

وأول شكوى صدرت من المتفاوضين المصريين تتعلق بقلّة السعر التجارية البندقية التي تتردد على موانئ مصر وموريا * وكان تريفيزاني

* *Viaggio di D. Trevisani*, p. 29-32, 48 , *Thénaud, Voyage*, (١١٨)
introd., p. 1000.

(١١٩) ليس لدينا أي شيء ، مع الأسف سوى نص غير كامل وغير دقيق - في
Marin, VII, 286-321

يتوقع هذا الاعتراض ، ذلك لأنه قبل وصوله كان السلطان قد حاجب
 القناصل الذين احتفلوا بأمره ، فقال لهم : « أيها البنادقة ، انكم لا تعلمون
 شيئا في سبيل رضاء بلقي ، فليماضي كان يترسل يرسل سبع سفن
 إلى الإسكندرية ، وحسنا إلى بيروت ، وكلها ملأى بالبضائع ، وكانت
 مختاركم معلومة ، والآن لم تعودوا تضرعون شيئا » (١٢٠) أما مع
 تريغرياس ، فالكلام كان أكثر صراحة ووضوحا . قيل له : فليماضي
 اعتدنا أن نرى خمس سفن تدخل ميناء الإسكندرية مسجوعة ، بخلاف
 سفينتين أو ثلاث سمن لتكفل بالاتصالات التجارية مع سواحل البربر
 (شمال إفريقيا) ، والآن لا تصل السفن إلا مرة كل سنتين ، ونقص
 عددها من سبع أو ثمانين سفن إلى ثلاث ، ولم تعد السفن التجارية تظهر
 على الإطلاق . وحيما مضى كانت السفن تصل بانتظام في فترة « المدة »
 (فترة بقاء السفن التجارية النورية في الميناء) مصحوبة
 بسفينة « تحرين » ، وطوال السنة كانت السفن التجارية تتصل فرادي
 في الميناء ، والآن أصبح من النادر أكثر فأكثر ظهور هذه السفن . وترتب
 على ذلك أن قلت كثيرا أهمية القواد الطلوية في مصر . هناك ذلك ، كان
 يستورد دينا مضي من ثلاثة إلى أربعة آلاف قطار من صفائح الحاس ،
 ومن ثلاثة إلى أربعة آلاف طن من الزيت ، فقلعت هذه الكميات إلى
 ما متوسطه خمسمائة إلى ثمانمائة قطار من الحاس وألعب وخمسمائة
 طن من الزيت . وحيما مضى كانت السفن ، عندما تغادر الميناء تترك
 في مخارن البلد بضائع قيمتها ٣٠٠ ٠٠٠ دوكا ، وتعود في أيدي التجار
 تساوي هذه القيمة على الأقل ، وكان هذا يعني حركة البيع والشراء
 طوال السنة ، والآن لا تكاد السفن تترك ورامعا بضائع قيمتها ٨٠ ٠٠٠
 دوكا ، وتعود قيمتها ٢٠ ٠٠٠ دوكا . وحيما مضى ، يبقى دائما في
 البلد بعد رحيل السفن حوالي خمسة عشر تاجرا . من تجار الهندية
 الرئيسيين الذين يباشرون بأنفسهم شئون تجارتهم . أما الآن ، فلا يظهر
 دأبله من أول السنة إلى آخرها سوى ثلاثة أو أربعة من الوكلاء الذين
 لا يملكون تقريبا أية موارد .

ولسوء الحظ كانت هذه المعلومات صحيحة ، ولم يكن في وسع
 تريغرياس أن يكرها ، ولكنه يقول انه انما كانت الأمور سيئة إلى هذا
 الحد ، فإن الخطأ في ذلك يرجع بحصة إلى ظروف عارضة ، إذ كانت
 الحرب المشغولة حصد « جانب كبير » من التي استنفدت موارد كان
 يمكن تخصيصها عن طيب خاطر لتجارة الشرق الأدنى . وكانت بمثابة
 الأسبان إلى سواحل شمال إفريقيا (بلاد البربر) هي التي أدت إلى انقطاع

رحلات السفن التجارية بصفة مؤقتة . ولكن كان هناك أيضا سبب آخر
لهبوط الحركة التجارية ، وهو سبب مستديم ، فرض نفسه بصورة
ولا يمكن التفكير في إزالته ، وقد حبره البنادقة من قبل في عام ١٥٠٢ .
ففي ذلك الآونة كانوا لم يزالوا يرسلون إلى الإسكندرية خمس سفن ،
ولم يجنوا بها من البضائع ما يكفي لشحن سبعينين وعصف سبعة ،
أو ثلاث سمن . لأن التوافق كانت شحيحة هناك (١٢١) . وتكرر الأمر
عنه ، وبصورة أتم في عام ١٥١٢ ، وأصبحت التوافق أشد قسوة ،
ومنها أكثر ارتفاعاً حتى أنه في عام ١٥٠٣ ، وعلى سبيل المثال في ٦ هي
أكتوبر طلب في اجتماع لمجلس شيوخ البندقية تجار مرطونون بأعمال
تجارية مع اسكندرية إرسال مركب شرعي بربع ليحطب عن سفن أسحرت
في مصر ، إذ كانوا يريدون استرداد نفوذهم لأنهم لا يريدون شراء توابل
شالية النقص يبيعونها بعد ذلك بخسارة نظراً لوفرة التوابل في أسواق
البرتغال (١٢٢) . وكان هناك فضيلا عن ذلك أمر آخر خلاف قدرة
التوابل وغالبا يبعد تجار البندقية عن السوق المصرية ذلك أن نظاما
تسميها كان يسود السوق المصرية . وقد احتج تربييراسي بوج شماس
على العملة التعممية المتبعة في التجارة ، وذلك بحظر تصدير الأسماع من
وقت لآخر تمعا لحالة السوق ، وفرض أسعار ثابتة طويلا السنة ، أما
حسب الأسعار التي لم الوضون إليها في الموسم *Moda* السابق ، أو
حسب الأسعار المرتقة في الموسم التالي .

وأخيرا ، نوقش السعر الذي ينبغي على الجمهورية دفعه على المائتين
والعشرة أطنان من القطن التي تلزمها المتاعمدات شرابها مسجونا من
السلطان . ولد صرح السلطان بأنه لن يبيع هذه الكمية بالسعر المتفق عليه
في قبل ، وهو ٨٠ دوكا ، فإن الجمهورية اعطت على لسان تربييراسي أنها
بهذه الشروط تكف عن الشراء ، وعرضت أن تدفع للسلطان عن الموسم .
وعلى مدى ثلاث سنوات متوالية مبلغا قدره ١٥٠٠ لثرفي *scudi*
وسد تربييراسي إلى البندقية في ٢٣ من أكتوبر ١٥١٢ تاركا في
مصر مواطنيه بعد رد اعتبارهم في طار السلطان . ولم يرض السلطان
الذي تفاوض معه إلا بضع سنوات . وإلى أن جاءت نتيجة لم يقع أي حادث
يسمى علاقته بالجمهورية . فمسلما نجد في هذه الفترة سوى واحدة واحدة
ذات أهمية ففي عام ١٥١٤ أبطلت رئاسة الجمهورية السلطان قرارا .

Sensu, *Diar.* IV, 288, 289.

(١٢١)

Ibid., V, 123, 140.

(١٢٢)

— في هذه السنة ، ١٥٠٣ ، أحضر عدد من التجار من مصر مواد *الاسكندرية* التي
كانوا قد شربوها فيها . انظر *Reed*, p. 262 et 2.

انتهجته ، لتيسير تجارة الفلفل ، وعرضت عليه القراء كنموذج يتبع .
 هذا القرار المؤرخ في ٢ مايو ، يعطى من جميع الضرائب البلدية أولئك
 التجار الذين يستوردون فلفلًا من مصر وسوريا . على أنه لم يسر وقت
 طويل حتى تبين أن هذا الاجراء لم يأت بالنجاح المنشود (١٢٢) .

ولا توني قصوه المورى كان عصر الماليك قد أوشك على الانتهاء .
 ففي حريف عام ١٥١٦ استولى سليم الأول سلطان آل عثمان على دمشق ،
 وفي أوائل شهر يناير عام ١٥١٧ دخل القاهرة دخول الفاتحين ، وضم
 مصر وسوريا إلى إمبراطورته المترامية الأطراف . وبأدبرت البيروقراطية بإعداد
 مبعوثين يطلعون في الساحل الجديد أن يقر امتيازاتها القديمة في حين
 البلديين ووجد السفيران بارتولووميو كونتاريني Bartolomeo Contarini
 والديزموتشيجو Alvise Mocenigo السلطان في القاهرة . وصرحت
 الجمهورية بأنها على استعداد لأن تعترف بأنها مدينة لسلطان
 آل عثمان بجزيرة قدرها ٨٠٠٠ دوكا كانت تدفعها حتى ذلك
 الحين لسلطان الماليك من جزيرة قبرص ، وكانت الجزيرة تسدد
 دائما عنها ، ولكن سليم طلب أن يكون السداد بعد ذلك بالذهب ،
 وفي القسطنطينية ، كما طالب قضايا في ذلك بدفع الحصة القسطنطينية
 الأصلية . وبعد تسوية هذه المسائل ، كان على السفيرين أيضا أن
 يدعيا بلانكا كلابيا ضد الجمهورية . فعندما سقط آخر سلطان صليبي ،
 كان في ميده الإسكندرية بضع سفن للبيونية ، فإحدى البعض أن هذه
 السفن أحضرت له إغاثة مالية لمساعدته في المقاومة ، وقد ثبت أنها أحضرت
 نقودا بالفعل ، ولكنها لم تكن سوى المبلغ اللازم لسداد ثمن كمية الفلفل
 الاجبارية التي نصت عليها الاتفاقيات . وإذا لم يعد هناك ما يبيع من
 التبعيض على الامتيازات القديمة ، فقد تم ذلك في ٨ من مستمر
 ١٥١٧ (١٢٤) ، وسلمت الوثيقة لنيكولو براجادينو Niccolò Bragadino
 قنصل البيونية بالاسكندرية . وبعد التمام هذه الاجراءات
 الشكلية سافر موتشيجو إلى القسطنطينية مع الامتيازات التي
 في حين أقام كونتاريني إلى قبرص ليجمع النعمة الأولى من الجيرة .
 وفي هذه المرة وافق السلطان على أن ياتخذ سدادا لهذه النعمة

Cod. Berol. Ital., in 4, no 5, p. 52 et s. , Étude de M. Thoma (١٢٢)
 sur l'édition allemande de mon Histoire du commerce du Levant
 (Münich, 1880), p. 12 et s.

Romanin, V, 373. التاريخ مكتوب في (١٢٢)

عبد وسكرا (١٢٥) . وهكذا ففي ظل النظام الجديد ، كما في ظل النظام القديم - بقيت مصر وسوريا مفتوحتين للتجارة الحرة ، ولم يتغير شيء في مقدار القنصل ، فقط في منتصف القرن السادس عشر انتقلت قنصلية الإسكندرية إلى القاهرة ، وتولى قنصلية الإسكندرية نائبه للقنصل ، وكان الحادث الوحيد لهذا الإجراء هو الإغتيال السريع الذي أصاب هذه السوق . وفي عام ١٥١٥ كان لابد من الإهتمام بالإجراءات الواجبة في الحالة التي يجد فيها قنصل الإسكندرية نفسه وقد استحال عليه أن يجمع الأتلي عشر تاجرا اللازمين لتشكيل مجلسه الكبير . وزاد الشعور بالخطر الذي يترتب على انقضاء سنتين بين رحلات السفن التي تنقل التوابل (١٢٦) .

وبالإجمال ، لم تكسب تجارة مصر أو تجارة سوريا شيئا من تغير النظام الحاكم فيها ، وبعد أن أجبر سليم الأول أغني تجار القاهرة على التوجه بحرا إلى القسطنطينية ، أصدر مرسوما يقضي بأن يتجه حريز فارس الذي كان يمر عدة بسوريا ، يتجه بعد ذلك إلى عاصمته (١٢٧) . وأمر خليفته سليمان الأول بخورده بتركيز تجار التوابل بالقسطنطينية (١٢٨) . والواقع أن ذلك لم يغير من الواقع شيئا كثيرا : ألم تصبح مصر وسوريا مجرد القليتين بسيطين يلتقيان معاملة سيئة لصالح العاصمة التركية . ولو أنها خضعت لحكومة أفضل من الحكومة التركية ، وهي بالتأكيد أسوأ حكومة يمكن أن توجد من وجهة النظر التجارية . لا كان هناك شيء يمكن أن يقاوم حكم الواقع : فالحكومة الأكثر اهتماما بمصالح التجار في هذين البلدين لا بد أن تعجز عن أن تعيد إليهما الرخاء المفقود . وازداد تنحور التجارة بالنسبة لزيادة سيطرة البورتاليين في الهند .

وبخلاف ذلك تماما ، المظهر الذي يتجلى لنا إذا اتجهنا بإحصائنا صوب المملكة الاستعمارية الجديدة التي أسسها في الهند الهولنديون والبريطانيون ، أد شهد في هذه الباحة قللنا مطردا . وأصبحت جوا Goa التي تم الاستيلاء عليها عام ١٥١٠ عاصمة لهذه المستعمرة حيث كان الثالث العام العظيم الذي يشاهد العرب ، ويمش على وفائق تام مع الأمراء الوطنيين يتولى مقاليد الحكم باسم ملك البرتغال . وعلى طول ساحل الهند

M. Alberi, *Discorsi e Relazioni degli ambasciatori Veneti*, (١٢٦)
Se série, vol. III, p. 51 et ss.

Cod. Ital. Berol., in 4, no 3, p. 60, 76, b. 22, b. 109, b et c. (١٢٧)

Contarini, *Relazioni*, dans Alberi, I c., p. 22. (١٢٧)

Pietro Zan, *Relazioni*, ibid., p. 122 (relation écrite en 1530). (١٢٨)

الغربي توقفت كل مقاومة . حتى هانز برونز ، قائل القوط نفسه ، وقد أزعجه
 سافس عدد القيسري في دياره ، فإنه الآن للبرتغاليين ، بجلايا لذلك ، أن
 يسبقوا حصنا في اقلية ، ويستولوا به توكيلاجاديا (١٥١٢) . وجه دور
 الهند الصينية - وقد أدرك عماويل مند وقت مبكر ضرورة احتلال مند حي
 يسيطر تماما على تجارة الهند . وبمساه على آخره قام ديجو لوبيز
 دي سيكويرا Diego Lopez de Sequiera برحلة استكشافية في
 تلك البقاع بأسطول قوامه أربع سفن ، فلم يعاين لدى سلطان ملقا المسلم
 الا بكل عبادة وخشوع . ولم يسمح ذلك عماويل من أن يعيد الكرة .
 ان كان يأمل في توثيق علاقاته بهذا الأمير بوسائل سلمية (١٢٩) . وفي
 شهر مارس ١٥١٠ ، أفلح أسطول لاس ، صغير كالقوارب حجبها الى ملقا ،
 وعلى ظهر إحدى السفن جيوفاني دابول Giovanni da Bepoli
 وكيل البيت التجاري الفلورنسي جوالتروبي Guatierotti
 من « بروج » ، وكادت هذه هي المرة الثانية التي يسافر فيها الى
 الهند (١٣٠) وثمة وكيل تجاري فلورنسي آخر ، ليوناردو باردري
 Leonardo Nardi (١٣١) سافر معه على السفينة نفسها . وانبغ
 هذا الأسطول في شهر يونيو سفينا ليريان . وعلى متنها فلورنسي
 ثالث لم يدون اسمه لسوء الحظ على رأس تقرير الرحلة الذي تركه (١٣٢) .
 وحين وصلت هذه السفن كلها الى الهندسة احتجها الكويك يدلت على
 سلطنة المملوك . ولعلها كانت مفسدة له في شرو جوا الذي كان يند وقتئذ
 العنة له . ولشروعات أخرى كان يتدبرها ، وكان يعتقد أيضا أنه اذا أريد
 ارسال أسطول الى ملقا ، فلا بد أن يكون قويا حتى يلقى درسا قاسيا على
 ملك ملقا ، والا انتهت رحلته بعشس مؤكدة . وكان في عزمه الانتقام
 تسجو لوبيز دي سيكويرا ، ولهذا نظم حملة احتفل لنفسه بقيادتها . وفي
 عام ١٥١١ استولى على ملقا ، ثم انهزم في أن يضمن للمدينة ملكية وطنية
 حاذئة واتخذ مجموعة من النماير الحلامة البارعة . وفي الوقت نفسه ،
 وحس يكمل للتجارة الأمن الضروري لنجاح عملياتها ، سمس لنفسه صداقة
 الدول المجاورة ومثالها ، دون أن يعمل في هذا السبيل الدول الجديدة ،
 فبعد أن وضع يده على المدينة ، بحث يستدع ملوك ساسا وييجو Pégom

(١٢٩) Barros, Asia, III, 518.
 Vita di Giov da Bepoli, dans l'Archiv stor Ital, append.
 III, 28 et s. , Lettera di Giov da Bepoli. ibid. p. 28 et 29.
 Vita di Giov da Bepoli, p. 28.
 (١٣٠) خطاب محرق في لاهورة في ٢١ يونيو ١٥١٢ ، في :
 Gubernatis, Storia dei viaggiatori italiani, p. 373-380.

وواصل سفنا تجاريه الى جزر باندا **Banda** وجزر ملوكا ، وكان حلقا
تعتبر آتشد أوسع سوق في منطقة الهند ، بل وفي العالم بأسره (١٣٣) .
وإذا كان هذا الفتح قد أصاب باليأس وانحطاب تجار سواحل كهرات
وكروماتدل بعد أن انتزع منهم أسر قاعدة لميلانياتهم (١٣٤) ، فانه ثوبل
بحساس من تجار لسبونة ، وقد جعل هذا الفتح لشباط البحرية الوطنية
هدفا جديدا بأن وضع تحت تصرفها منتجات الهند الصينية بشروط أفضل
من حيث الكمية والسعر من شروط أسواق الهند حيث لا تصل المنتجات
نفسها الا عن طريق وسيط أو وسيطين (١٣٥) ، وقام جيوفاني دا ايمبولي
بحملته في أعقاب البوكريك ، وعاد بخمسة آلاف دوكا من ملك (١٣٦) ، ولم
يكد ينزل من سفينه في كوشى حتى أصدر اليه القائد العام أمرا بالعودة
الى ملك ليمود منها بثلاث سفن كان قد تركها هناك ، ويؤتف في الطريق
عند سومطرة بقصد توثيق علاقات تجارية مع ملك باسم **Poem**
وأبحر ايمبولي مهتة المزدوجة بجماع وإذا أصبح حر التصرف فإنه اشترى
توابل لحساب بيت جوالثيروني وشحنها على ثلاث سفن في مياه كتي ،
واستعصمها حتى لتسبونة حيث حقق منها ربحا كبيرا (وذلك في ٢٢ من
أغسطس ١٥١٤) . ولكن الملك لم يترك له من الوقت ما يكفي لتسوية
حساباته مع رؤسائه ، وبميه وكلا له بسومطرة ، فسال الى الهند - في
١٥ من أبريل ١٥١٥ بصحبة اثنين أشهرين من الفلورنسين (١٣٧) .
ورافق وصوايه الى سومطرة ظروف غير ملائمة ، ومن ثم التفتب أقامه
بها ، ورحل الى الصيل حيث مبعثه إليها بعثة برتغالية . وهناك حضرته

Gubernatis, loc. p. 377, 382, 393.

(١٣٣)

Idem, dans Rapporto, I, 328, b , Barboza ibid., p. 317
et

(١٣٤)

(١٣٥) في ٧ مايو ١٥١٢ عادت سفينة الى لسبونة تامة من ملوكا ، تحمل ٩٠٠
قنطارا من جوز الطيب ، ٤٤٧ قنطارا من التيمساسة ، الخ . انظر في ذلك الخطاب
أصدر من ملوكا :

Valdehoy par Franc. Goulet-Larduel, dans ses Opere inédite, VI,
(1664) 213 et ss.

Anonymous dans Gubernatis, p. 379.

(١٣٦)

Archiv. stor. Ital., 4 série, VI (1886), p. 176-178.

(١٣٧)

الثنية ، قبل الأول ، توصفت حدا لحياته الضطرية (١٥١٧) (١٣٨) - وكان أحد مواطنيه ، ويضعي بييترو ستروازي Pietro Strozzى قد اشترك معه في فتح ملقا (١٣٩) ، وعند عودته من هذه الجبهة رار ساحل كرمادل ، واشترى كما يذل من بالياكات Patacate (بوليكات Poulkat) ماسة زائلة الجبال (١٤٠) ، وهي هذه الأثناء يادر الفلورنسيون للتييون بنشونة بالاستفادة من فتح ملقا ، فأرسل إليها أحدهم ، وأسمه جيولامو سيريجي Girolamo Serigi أربع سفن، هذت أحداها في ربيع عام ١٥١٣ وبها شحنة لطي يبعها كل مصاريف البعثة ، وترك ريعا قدره ٦٠ ألف في ٧٠ في المائة (١٤١) ، ولعل التجار البرتغاليين من مدينهم ، وعلى رأسهم الملك لم يملوا تجارة تنجح لهم مثل هذه الفرص للريجة .

ولكننا لم نفرغ بعد من فتوحات اليوكريك : فالسنوات التي استعرضناها لبيزت بكسب لا يقل روعة عن مسائر الكامب . ففي عام ١٥٠٧ فرس اليوكريك جزيرة على ملك هرم ، وهي عام ١٥١٥ جرده تماما من سيطرته . واعتبارا من تلك اللحظة تول البرتغاليون حكم الجزيرة وهم مستفرون في قلعته ، واستولوا بذلك على مقاتيح الخليج الفارسي . وحتى ذلك الحين كان جزء من منتجات الهند يمر عبر الخليج الفارسي ليصل إلى الأقاليم التي يروها لورا الهندية والغرات ، ثم يصعد من هناك حتى يصل إلى سوريا حيث يأتي الفرييون ، ومنه إلى البادية يسوع حاص للحصول على هذه المنتجات في دمشق ، أو بيروت ، أو حلب ، أو طرابلس ، وهذه الحركة التجارية التي كان يباشرها المسلمون وحدهم، أصبحت للرجال يفرود ببيع ، وكانت جهود البرتغاليون كلها تنزع إلى جعل لشبونة هي المستودع الوحيد للتوادل لترويد الغرب كله بها ، فكان من مصلحتهم شحن مضمهم بمنتجات وسط آسيا الواردة إلى هرم على القوافل الفارسية ، وكذلك منتجات مصالكة التلؤلؤ في الخليج الفارسي ،

(١٣٨) في نسخة الرحلة الأخيرة ، كتب من كل في ١٥ نوفمبر ١٥١٥ خطابا موجها إلى لشبونة
Archiv. stor. Ital., append., III, 88 et 89.
- ويدد التل جري له حديث مع اليوكريك حيث وجدته على فراش الموت (Barros, Anál., 179, 491)

- ويضمومور، رحلته إلى مومطرة والمدين ، انظر

- in fin de sa Vie, et Barros, V, 177, 214 et v. , Cornall, p. 283.

Gubernatis, p. 278. Ibid., p. 361 et v. (١٣٩)

Cornall dans Romanis, I, 179, b, 180, a, 118, b. (١٤٠)

Quicciardini, Opere inedite, VI, 228. (١٤١)

واحتكار تجارة البخور العربية والفارسية التي تصدر من هرمز إلى الهند ، ولم ينتظر البوكريك بسوح هذه الفرصة ليأمر بأن تتجه قوارض البخور كلها إلى جزا ، وهي المرسى الوحيد المخصص به اعتبارا من ذلك الحين (١٤٢) .

لما في البحر الأحمر ، فكان نجاح البرتغاليين فيه أكل من نجاحهم في الخليج الفارسي . وقد اخترق البوكريك بأسطوله البحر الأحمر لأول مرة حتى جزيرة كمران Kaman (شمال الهندية - الترجمة) ، ولكن غدت صيدت حيلته (١٥١٣) . وأقدم حليفه لوبو سواريز Lopo Soares حتى جدة ، إلا أنه لم يسطر بغير تسخير الأسطول الذي جمعه في هذا الميناء ، إلى سلاطين الماليك ، لأن هذا الأسطول تشتت عندما بلغه نيا سلفو السلطان . ولم يوفق في الاستيلاء على عدن (١٥١٨) . واستمرت السفن التجارية الإسلامية تروح وتغدو بحرية في البحر الأحمر ، فلم يكن هناك قلعة أو طرادات برتغالية تمنعها من ذلك . ولكنها إذا خرجت تجوب المحيط الهندي ، قضى عليها بالهلاك ، ولا يتقدم من هذا الصبح المحموم لبحرهما إلى الموانئ الهندية ، وبالأخص حين جعل البرتغاليون يطلقون في هذه الاصطاع أساطيل بصغة مستديرة .

وأخيرا ، صار البرتغاليون سادة الأقاليم كلها . وإذا نجح بعض القراصنة المجمعات في المرور من وقت لآخر ببضائع عبر الطرق القديمة . فإن ذلك كان من الندرة بحيث لا يكفي للـ « مخازن الاسكتدرية » أو يبروت بالبضائع ، أو تدويي السفن الهندية التي لا تزل تتردد على هذه الأسواق . وبدأت البلاد التي كانت حتى ذلك الحين تزود بمحتاجها من التوابل من الهندية ، بدأت تشكو من نقص هذه السلع . ففي عامي ١٥١٢ ، ١٥١٣ على سبيل المثال أرسل تجار التجزئة في الهندية عرضا إلى الامبراطور ماكسيميليان يشرحون له أنه لا سبيل لهم للحصول على ما يكفيهم من الفلفل ، ويتوسلون إليه ألا يفتق ولاياته في وجه التجار الأجانب الذين يهرسون تصدير الفلفل من أنفج ، وقرالكلورت ، وتورميرج ، الخ إلى الأقاليم التي يرونها نهر الدانوب (١٤٣) . وهكذا لم تعد « فيينا » تتردد من الهندية القريبة منها ، وحضت من ثم تطلب

Barros, Asia, IV, 225.

(١٤٢)

Archiv für Kunde Österreichischer Geschichtsquellen, XIV (١٤٣)

(1888), p. 272 et s.

حاجتها من القفل من بعيد ، من تشبوة (١٤٤) ا وإيطاليا نفسها كل أمرها
 إلى هذه الحال . ففي جازل معاوضتها مع السلطان في عام ١٥١٢ قال
 تريفيزاي ذات يوم عبارة لها دلالتها . قال إن القنود لم تكن أبدا تائدة
 بإيطاليا كما هي الآن ، فالحروب التي لا تلتئم قد استعادت جزءا منها .
 كما اتفق البحر ، الباقى في البرتغال سندا تشب الفلفل (١٤٥) - وأخيرا ،
 اضطر البنادقة أنفسهم إلى مجازاة التيار والاتحاد إلى سوق تشبوة .
 وفي عام ١٥١٢ كانت سفينة عائده من الهند يسبحه توابل من كتش
 وكامور ، وحشب البهم ومواد أخرى من أمريكا الجنوبية . وممرت
 بلشبوة ، ثم وإصليت مسيرتها دون توقف إلى البندقية (١٤٦) ، وبيشو
 أن شخصها هذه كانت تخص تجارا من البندقية . ولما شخصه بندقى
 يدعى جياكومو تالباسرا Giacomo Tagliaperta فكر في مشروع ما
 وهو أن يذهب إلى الهند بأسطول يرتال ، وعرض للمشروع على عمانويل
 وطلب منه الإذن بتنفيذه . ولكن الملك رفض النظر في المشروع ، وطلب
 الملك أن رفض الملك كان قائما على رأى مبشر أراه البنادقة ، لأنه في الوقت
 نفسه أبرم عقدا مهما مع ريب إيفيتاني Affaitati من كريمو
 Crémone . وعلى ذلك عاد تالباسرا إلى البندقية بنفسه حيث (صراير
 ١٥١٨) (١٤٧) . ثم إنه إذا كان ثمة رأى مبسر لدى الملك فإن ذلك
 يخص جمهورية البندقية بوجه عام . والبندقية ، كما يقول بعض المؤرخين
 البرتغاليين (١٤٨) بدلت مساعي عديدة لدى الملك لتبازل لها في مقابل
 ثمن محدد من مجموع الدوابل التي تستوردها أساطيله من الهند إلى
 لشبونة . وفي عام ١٥٢١ ، ولأخرة مرة ، كلف الساندرو بزارو
 Alessandro Bizaro قائد السفن للرسلة من البندقية إلى الغلابد بأن
 يحدد هذا العرض . ولكن عمانويل أمر على الرضى ، وتولى بعد قليل .
 مقتضى مرسوم ساريح ٢ من يناير ١٥٢٢ صلب جلسته بوجنا الثالث

(١٤٩) كان الوساطة كريستوفر كولومبوس لجأت اليهم في هذا الوقت . ثم غالبا جدر
 الحملة من ليرميرج . وكان محبت مير شاول Hierochael فرع في لشبوة . وكان
 برسل وكلاء إلى الهند . انظر خطاب جورج برك ليرسل من كلى بتاريخ أول يناير
 ١٥٢٢ في Ghilany, Geschichte Martin Behaim, p. 129 et ss .
 .. وبعض تاريخ القراين التي برانها الآن في لشبوة . انظر

Carrel, op. cit., p. 11-15. (١٥٠)
 Mirois, VII: 397.
 Governalia, Storia dei viaggiatori italiani, p. 389. (١٥١)

Seneta, Diarii, XXV, 184 (indl). (١٥٢)
 Das Chronica do Rey Emmanuel, fol. 358 et a. , Ovarim, (١٥٣)
 De rebus Emmanuelis, p. 288.

على الاختيارات التي كان يستمع بها السيادة في مقبولة ، ولكنه لم يضمن
 المرسوم أية إشارة إلى التنازل عن احتكار التوابل (١٤٩) . وكانت
 مصلحة البرتغاليين تلمح بأن تكون لقبولة مركزا لتجارة التوابل لكل
 الأمم العربية ، وتكثفت جهودهم في هذا السبيل بنجاح خاص .

وهكذا كان من شأن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح أن يرفع
 شهرة رعايا الأمم المطلة على البحر المتوسط وذلك بانقضاء على تجارة الشرق
 الأدنى التي كانت تحتكرها هذه الأمم . ولعبت هذه التجارة كان لابد من
 اللجوء إلى الوسيلة الوحيدة المتأخرة على تحقيق هذه التجارة ، وهي شق
 قناة السويس - ففي عام ١٥٠٠ لم يكن الذين يفكرون في هذا العلاج
 البطلان في السندقية قليلي ، مع التعليمات بحرية لفرانسيسكو تيندي
 في عام ١٥٠٤ وصفت رئاسة الجمهورية لفترة تولى بهذا المشروع ،
 ولكنها شططتها بعد أن ناقشتها بمداية (١٥٠) ، شوقا من أن يرى السلطان
 في المشروع اقتراحا عشويا بالإنانية . وكان لأتراك هم أول من نأج
 هذا المشروع . ففي عام ١٥٢٩ اشغل عشرون ألف عامل في ترميم قناة
 كانت تربط في قديم الزمان البحر الأحمر بالبحر (١٥١) . وقد نحصرا
 الحاضر أن يشهد هذا العمل العظيم وقد تحقق بانتهاء قناة بحرية بين
 البحر الأحمر والبحر الأبيض .

Martin, II, 122 et ss.

M. Fuin, dans l'Archiv. Venet., II, 122 et s.

Benacino, p. 81, 108 , l'Itinerario di P. Zeno Archiv. Venet., XCII, p. 112.

(١٤٧)

(١٤٨)

(١٤٩)

ملحقات

أولاً : المواد المتبادلة بين الشرق والغرب

ثانياً : عملاء تجارة الشرق الأدنى

الملحق رقم ١

المواد المتباعدة بين الشرق والغرب

أولا : النحاس (الرقيق)

رأينا كيف أن سلاطين المماليك الذين حكموا مصر من أواخر القرن الثالث عشر لم يجدوا موارد كافية لتجديد الجيوش من بين الأعمال الوطنية الذي لا يصلحون لجهة الحرب ، فكانوا يلجأون لمصادر آخر . ذلك هو شراء العبيد من البلاد الشمالية * ومن جهة أخرى ، وللا دور الحريم في قصورهم وقصور الشخصيات الكبيرة في بلادهم كان لابد من وقت لآخر من احتضان الإناث من الإناث (١) * لذلك كانوا يوفدوا عملاء لهم بحث عن عميد من الجنس ، من كل الإمكة التي يمكن الحصول عليهم فيها ، حتى في البلاد المسيحية ، مثل أرمينيا الصغرى (٢) * إذ لم يكن لداولة هؤلاء العبيد أهمية تذكر ، فإن كانوا مسيحيين جعلهم ساداتهم الجسد يربطون من دينهم * ومع ذلك كان العملاء المصريون يفتشون زيارة البلاد التي يسودها الإسلام * كذلك كان هناك تجار ينتمون إلى بلاد إسلامية يجلبون إلى مصر جماعات من العبيد يربطونهم بها : من ذلك بنو خاص

(١) وبه ذكر هؤلاء كثيرا في الوثائق باسم « مملوك » أي عبيد .

(٢) Hiet des sultans mamloques, تاريخ المماليك ، المجلد II, 1 to 207

أن مساهي كلاً ، وأصحابا الوثنيين بأسيا الصغرى التي كانت خاصته
 للسلاجقة ، كانوا يصعدون إلى مصر فثاماً وقتيات (من الأرمن) (٦)
 وعندما سقطت أنطيوخيا ، وجاليليا في أيدي المشايين أصبحت حائل
 المدينتان قسطنطيني انطلق ليمسح اليونانية والمسيحية التي وردت مئات المند
 إلى دمياط والإسكندرية (٧) . غير أن البلاد الخلفة على البحر الأسود كانت
 هي التي بلغ فيها هذا النوع من التجارة أقصى درجات الرخاء . إذ كان هو
 سيادة سلاطين المالكين بمصر ، وانتشار الإسلام في مملكة القديس القسطنطين
 على يدى حركة حائل مترامي تقريبا ، فكان هذان الحدثان نقطة انطلاق لتبادل
 نشاط المراسلات والسفارات بين سادة المسلمين (٨) واعتبارا من هذا نظم
 وجه العملاء المكافون بشراء العبيد لحساب السلاطين يستعمل بوسع خاص
 نحو السواحل الشمالية لمصر الأسود . ويوصل السلطان يبرس ، هي
 طريق البحوث والهدايا إلى الحصول من ممالك باليولوجوس على تصريح
 بمرور انفس التجارة المصرية في البوسفور ، ولم يصدر التصريح
 إلا لسبعة واحدة تقوم مرة واحدة في السنة برحلة النحاب والعودة في
 البحر الأسود . ولكن كثيرا ما عرفت هناك سفينتان بدلا من واحدة ، وكانت
 حمولتهما هي العودة تشمل عبيدا لتحرير قوات السلطان (٩) . وجدير
 بالذكر أن الظروف السائدة في تلك القلاع كانت ملائمة كل الملاحة لسو
 هذا النوع من التجارة . ومع أن التفتار كانوا مستقرين تساهل في
 امبراطوريتهم ، امبراطورية القسطنطين ، فقد كان هناك على النوام قلائد
 حتردة ، وكانت الحالة بين هؤلاء هي حالة حرب ، حرب المناوشات التي
 يقوم فيها الشركس ، والروس ، والحيار ، والآلان Adams بخطف
 الأطفال للتتار ويبيع الرقيق ، كما كان التتار يسترقون الأسرى
 الذين يعودون بهم من غاراتهم في القوقاز . بل وكان من المعتاد في هذه
 العشائر البدائية ، حين تشح المائى ، أو تكون الضرائب مرهقة للغاية ،
 ترى الآباء يبيعون أطفالهم ، وبخاصة البنات منهم (١٠) . ولم يكن يباع
 بطبيعة الحال سوى الأقرباد الأسوياء الأصحاء ، الأقوياء البنية . غير أنه
 على امتداد تلك السواحل لم يكن التتار أو القبائل الحاضرة لهم يكتوب

- (٦) سافوي ،
 Banulo, Secr fidel cruz, p. 27, 28.
 Pili, p. 228 et s.
 (٧) آخر اثبات ذلك في مقال السيد ديفر عن بن بطريرك في
 Désimery Journ. Asiat., 4 série. XVI, 22 et s.
 Pachym., I, 174-179 , Nicéph. Grég., I, 281.
 (٨) Chehabeddin, p. 269, 270, 285 , Schiltberger, p. 107
 Nicéph. Grég., I, 269 , Laon. Chalcoc., p. 129 et s.
 (٩)

موانئ بحارية كبيرة ، مثل كافا ، وثانا ، إلخ التي كانت في أيدي الإيطاليين ، وترتب على ذلك أن بحارة الرقيق تركت في الأسواق الإيطالية ، وبخاصة كافا . وكانت هذه المدينة هي المقصد الرئيسي للعباد المكثلي بشره العبيد لحساب سلاطين مصر ، بل إن عددا منهم كانوا يتيسون بها بضعة دائمة (٨) . وكان الجنويون مضطرين للسماح للعبيد الفاسدين أن مصر بأن يركبوا السفن في مياهم كافا (٩) ، وهم أن أقاموا الصعوبات في وجه عبلاء السلاطين ، ماهم يعمسون للخطر ، إلى أقصى درجة علاقاتهم التجارية مع مصر ، ووجود مستوطناتهم هناك فضلا عن ذلك ، كانت هذه التجارة من جانب السلطات الاستعمارية موضوعا لرقابة صارمة . فكل عدد يمر من هناك يخضع لاستجواب ، فيسأل عما إذا كان مسلما أو مسيحيا ، فإن كان مسيحيا ، أو رغب في التحول إلى الدين المسيحي ، اشتراه بقصص كافا واحتفظ به عنده ، ولا يسمح بالرحيل إلا للمسلمين (١٠) . أما العبيد الذين يشرعون اعتناق المسيحية ماهم يحدون في دائرة المستغف ملجأ تحترمه السلطات الدينية (١١) . كذلك فهم السلطات كل الاهتمام بالأمر إذ فرد من أهالي كافا عبدا مع العبيد (١٢) . وأخيرا ، كانت تجارة العبيد حاضرة لفريضة ، وأبقت جمهورية جنوا في عام ١٤٢٦ على هذه الفريضة ، رغم مطالبات السلاطين « بروسيا » التي فرضت في مقابل ذلك على التجار الجنويين المقيمين بمصر صرية قدومها ١٦٠٠٠ دوكا (١٣) .

وعلى ذلك لم تكن تجارة العبيد مخصصة بها قانونا من جانب السلطات الجنوية الاستعمارية إلا بالنسبة للمسلمين ، بشرط أن ينقلوا إلى مصر لمعرفة تجار من دينهم ، وعلى سفن يمتلكها هؤلاء التجار . وكان محظورا على قبالة السفن الجنوية ، حظرا باتا ، تحت طائلة غرامات جسيمة أن يستعمل سفهم جمالك من الجسمي لنقلهم إلى مصر أو شمال إفريقيا .

(٨) Pirelli, p. 322, 329 ; Tabar, p. 181 et s.

- هذا الرحالة اشترى من UK عسكرا رجلين وإمرأة ليضعهما معه إلى أسبانيا .

(٩) في عام ١٤٣١ كان هذا الأمر موضوعا لمباحث من اللاؤفات مع سلطان مصر . راجعت الجمهورية صراحة موافقتها على أن يفسر السلطان عبيرة عن طريق كاد

Not. et extr., XI, 74. Pirelli, p. 330, 343.

(١٠)

- لاؤون الثالث ملك أرمينيا المنزلي كان قد حصل من الجنويين على ردة بالي بيبوا

- Dulquierier Docum. armén., I, 782.

سلطانها من رعاياه

Stajni de 1493. Ann. della Soc. Lib., VII, 2, p. 626 et s.

(١١)

Ibid. p. 626 et s.

(١٢)

Not. et extr., Lc.

(١٣)

أو ذلك القسم من اسبابا الذي يحتله المسلمون . ولم يكن مصرحا لأي
 مستوى أن يساهم في هذه الحركة التجارية بأية مسؤولية
 كانت (١٤) . كذلك كان منظوراً على السعي البيزنطية المناهضة للاقتلاع
 من مانا أن تقف على متنها عبيدا من المسلمي أو من انتشار لفرجيلهم
 إلى إقليم تركي (١٥) . ولم تمنح هذه الإجراءات بعض المسيحيين القاطنين
 بالساحل الشمالي لليبس من تصدير جماعات من العبيد إلى مصر .
 وقد رأينا في عام ١٣٠٧ مستوطى كانا يخطفون أطفال النصارى ليبيعوهم
 إلى المسلمين (أي ليعودوهم إلى مصر) . وفي عام ١٣٧١، حضر شخص
 يدعى بيكولو دي سان جورجيو إلى كافا بصفته «مائع صيد بالتجربة» (١٦) .
 وليسنا يعرف ما إذا كان هذا الشخص يؤدي عمليات تجارية في مصر ،
 ولكن في مستهل القرن الرابع عشر أحضر جنوى يدعى سيجورأو سلفاجو
 بنفسه عبيدا من الجسسين إلى سلطان مصر (١٧) . وشخص آخر يدعى
 جيتيلامبريال قبل أن يتولى مهام السلطان في كافا لشراء العبيد (١٨) .
 ثم أن الكثير من الجيوش أسهموا بطريق غير مباشر في نقل العبيد إلى
 مصر ، وتشكل الوسيلة إلى ذلك ببساطة في تاجر يبيعهم لهذه الغرض
 شتجار الرقيق المسلمي (١٩) . لذلك كان البابا يرحب الثاني والعشرون
 عتقا في شكواه حين اتهم الجيوش في مواجهة العالم كله بأنهم يسهمون
 في تمرير قوة « الكفار » بتزويدهم بالعبيد (٢٠) . وبعد انقضاء قرابة
 مائة سنة ، كان هناك مسيحيون ويهود يشترون في كافا وتان وأماكن
 أخرى عبيدا من الروس والريشيين Ziblenz والمجريين Mingrelians
 والأبحار ويبيعونهم للمسلمين بربح يصل في الكثير من الأحيان إلى عشرة
 أضعاف ثمنه ، إلا أن هؤلاء المتعصبين الذين يمدوا حسب الطقوس اليونانية
 ن من حسن حظهم لو أن لم يصيروا
 هم في أغراضهم الشائنة . واد بنفت

(١٤) Lois des années 1310 et 1340 , *Op. Cit.*, p. 371-377, Atti della Soc. Lig., XIII, 131.

(١٥) *Commem. reg.*, III, p. 180 et s., no 374 (années 1307 et 1304).

(١٦) Cibrario, *Nota sul commercio degli schiavi a Genova*, nel

XIV, dans ses *Opere varie* (Torino, 1860), p. 302; *Archives de Gênes*.

(١٧) Guili, *Ades, De modo extirpandi Saracenos* (1818) *Giorn. Lig.*, 1878, p. 375.

(١٨) راد الرحالة بيرتراندون دي لافريكير (ص ٩١) في دمشق عام ١٤٧٧ .

(١٩) *Pisot.*, p. 330, 378.

(٢٠) *Reynald*, *op. cit.*, n. 1417, no 36.

مسلح مائوس الخامس Marin V بدأ هذا العمل المرزى فان حكم بالخرمان
على كل النسيحيين الذين ثبت اقتراحهم هذا العمل . أما بخصوص اليهود
فانه أصدر مرسوما يحكم على كل من يثبت اقتراحه هذا العمل بأن يحصل
علامة خاصة على ثيابه (١٤٢٥) (٢٦) .

وعلى هذا كان يصل كل عام الى سوق القاهرة الكبير . من طريق
دمياط والاسكندرية (٢٢) قرابة ألفي مملوك يتقدم السلطان قيسهم
بواسطة خبراء أكفاء . وكان الأفراد الذين يباعون بأعلى الأثمان هم التتار ،
فتبلغ قيمة الواحد منهم من ١٣٠ الى ١٤٠ دوكا ، ويبلغ (٢٣) من
التركسي من ١١٠ الى ١٢٠ دوكا ، وعن اليوناني حوالي ٩٠ دوكا ، وعن
الآلباني ، والسلوفيني ، والعربي من ٧٠ الى ٨٠ دوكا . وكان تحسار
الرفيق يمتعون بمرتين مرة الحصول على أرباح طائلة ، ومزية كسب
حلف السلطان لخدمات التي يؤدونها للأسلام (٢٤)

ولم يكن هؤلاء الأرقاء الشرقيون المصدرون الى السواحل الشمالية
لبحر الأسود . يرجعون كلهم منها ضمن القواعد الكلية المتحدة الى مصر
والبلاد الاسلامية بعمامة . اد تعرف الكثير من الأئمة لبيع وعشوات
أحرارها أعضاء الجاليات أنفسهم . نذكر من هذه الأئمة امرأة تدعى
« طاطمة » اكتسبت اسمها من أصلها الاسلامي . فقد اشترتها أولا حوى
يدعى نيكولورو موردا ، ثم باعها لربيس كنيسة « سان لوران دى جنوا » ،
وباعها الأخير لحدوى ثالث باربعائة درهم أرضي جديد ، ولدينا عقود بيع
من هذا النوع أبرمت في ديماسوستا (٢٥) . وأولئك الذين اعتادوا أئمة
إقامتهم في مستعمرات الشرق الأدنى أن يكون في خدمتهم عبيد أجنبي ،
كانوا يمدون بهذه الخدمة الى أوطانهم ، ويشجعون قهرهم من احضار عبيد
الى منازلهم ، عبيد يشترونهم من بلاد نائية ليحاووا جعل الخدم أو العمال

Gulliarum Rom., éd., Taurin., IV, 715 et ss., 720 et s. (٢١)

(٢٢) رابطة انه كان في تلك الغيبة فندق تشاري لعمدة تشاري تشاري .

(٢٣) بعد ان قال طافور (Cahour, p. 161 et s.) ان العبيد انتشر في كل مكان
وباع لشرائهم ثلاثة اسماء سائر العبيد في جهات أخرى . انصف ان هذا الترخيص يرجع
الى طبيعة عامة بهم . تلك هي وظائف لسانتهم وتعلمهم يوم . ليس من القبول القول بان
هذه الخدمة كانت معروفة لدى عبيد مصر الذين كانوا يخدمون لكي يكونوا جنودا .

Pöhl, p. 329. (٢٤)

Actes notariés, composés par M. Desdrouin, dans ses
Arch. de l'Or lat., I, 486 et s., 477 , II 40, 51, 53, 56, 92, 94.

الأجراء - فلم يكن هناك حظر في هذا الخصوص (٢٦) ، ولم تكن مجازم الرقيق تسبب حرجا وعارا ، بشرط ألا ينفذ التاجر صفقات في مصر - وثمة قانون جنوى لعام ١٤٤١ يروى دليل واضح كل الوضوح : فهو يحظر على قباطنة السفن البحرية المسلحة الكبيرة التي تبحر ونحصر مصانع في بلاد الروم ، أو في سوريا أن تقبل عبدا على متنها (٢٧) ، وذلك بحجة أن كل مكان شافى يجب أن يحصى للبضائع ، ويستثنى القابون من ذلك حالة التاجر الذي يستقبل السفينة مستوحدا عبدا كخادم خاص له . وهناك سعدن أخرى مخصصة لقبول العبيد ، لم يتحد القانون بشأنها سوى إصرارات تسع إردحانها بفرجة نشر بسمحتها وبسلامة الركاب - من ذلك أن السفينة ذات الطابق الواحد لا يجوز لها أن تملأ أكثر من ثلاثين عبدا ، أما السفينة ذات الطابقين فلا يجوز أن تقل أكثر من ٤٥ عبدا ، ولا يجوز للسفينة ذات الثلاثة طوابق أن تقل أكثر من مئتي (٢٨) .

وفي ذلك الأول ، كان من المسلم به أن في مقدور أي مسيحي أن يمارس معاملة العبيد أي « كاسر » يقع تحت سيطرته ، دون أن يلومه أحد ، وكان معظم هؤلاء « الكاسر » من مسلمي ووتيب من تتانولهم عند التجارة (٢٩) . وكان أغلبية العبيد الأجانب الذين يأتون إلى الغرب يسعون بأصلهم إلى امبراطورية القسطنطين الواقعة حوض روسيا الحالية ، وهم من سلالة تتانوية تسيطر على هذا البلد ، أو من إحدى القبائل الخاصة لها ، وتسمى بعلمة باسمها - وكان الشراكسة (٣٠) والروس أقل عددا ، وعلى هؤلاء الأتراك والعرب - وهذه التسمية الأخيرة تطلق بلا شك على المصريين والسوريين - ويأتي بعد هؤلاء ، ولكن بعدد قليل

(٢٦) هناك قانون فلورنسي لعام ١٣٦٤ يسمح باعتبار حرية من غير التمساري من شهبين في إقليم الجمهورية والاحتفاظ بهم هناك بصفاتهم هذه ، والتصرف في شأنهم بالزوج أو لطفه ، Doc. sulla reizen tosc. p. 180 et s.

(٢٧) جرت في مجلس شيوخ البندقية في ١٢ من يونيو ١٤١٢ مداولة شعر في حرامه فانون مائل Voy Lazzari, p. 488.

(٢٨) Pardessus, Collection des lois maritimes, IV, 515 et s.

(٢٩) في عام ١٢٠٨ احتل الأمير لودفيج لشرنولف من أن بعض الأفراد يستفدون أساليب مختلفة لشعاع قبايل وفقيات من الجوزان بمصالحهم في جنوا ، وهناك بيعهم بيع الرقيق .

(٣٠) بعد إيمان مع هؤلاء إشارة خاصة للأفكار ، والتجرويلين .

جدا ، البشار ، والسفوفيسي ، واليونانيي (٣١) ، وهؤلاء الآخرون هم الوحيدون ، حسب الأفكار السائدة في ذلك العصر الذين يشك في أنه كان من الجائر بيع الرقيق . لأنهم مسيحيون - ولكن لم يكن أحد ، في الواقع العمل يهتم كثيرا برعاية هذا الخطر - أما بخصوص العبيد الذين لم يكونوا ينتمون إلى الدين المسيحي ، فكانوا يريدون رعاية من دينهم الأصلي بعد وصولهم إلى الغرب بقيل ، فيبيعون أنفسهم الأجنبية ويكتسبون أسماء مسيحية ومع ذلك ، ورغم تصرفهم ، كان سادتهم لا يراعون أن يحتفلوا بهم عبيدا ، أو أن يبيعوهم *

ومن شأن أصل الأغلبية الكبرى من هؤلاء الرقيق أن يصح على الافتراض بأن الأمم التي كان لها مستعمرات في البحر الأسود (٣٢) ، كالجنوبيين والبلدقة ، كانت هي أيضا انتم التي مارست بيع حاص تجارة الرقيق (٣٣) . وبالتالي كان يحصل من هؤلاء الرقيق إلى جوار والينقية الثالث ، بل الألوف . ويصل أقل من هؤلاء إلى بيرا ، وفلورنسا ، ولوكا ، وبرشلونة (٣٤) . وفي عام ١٣٦٨ كان منهم في الينقية عدد كبير ، يشكلون طبقة في الرعايا المحلي للراعي والشجار ، ويشكلون سطرا حقيقيا على أهم المدينة وطبائرها . ولم يكن العبيد في انتظار يطلبون إلى المدينة فرادي ، من يرد إليها لحياتها أسر كاملة منهم (٣٥) . ومن اللواتي البحريه ، ويرسل العبيد أحيانا إلى داخل البلاد . فمن ذلك مثلا أن حلوانا من صبيغياتو Vigevano كان عبده عبد شريكى (١٤٦٢) ، كما كان عبد ماركو مولو في البلدية عبد تشاري (٣٦) ، وثمة تجارة

M. Vico Lazzari su étude Del traffico e delle condizioni degli schiavi in Venezia nel tempo di mezzo, dans les Miscellanea di storia italiana, I, 489 et s. (٣١)

Thid. 491. la coll. de doc. inédit, MHI. hist., III, 131 et s. (٣٢)

(٣٣) يفرل Leon. Chacone من ١٧٦ . أنه كان من عادة التتار أن يبيعوا التجار الجنوبيين والجنابة سكان القوقاز الذين يبيعون في أيديهم حلال الفرائد التي يثقلها هؤلاء التتار ولقد تحدثنا عن الأساليب التي كان البشار يحصلون بواسطتها على العبيد ، من غير هذا المصدر *

(٣٤) كان في فلورنسا وحدها من عام ١٣٦٦ إلى عام ١٣٧٧ عبيدا يبيعوا هناك ومنهم من الآلات ، وفي ألتونا ، كان لمة بحارة فلورنسيين يدرسون بانتظام هذا النوع من التجارة Doc. sulla rebus tosc., Proem. p. XXXVI, not 1

Lazzari, loc. cit. p. 476, la Coll. des doc. inédit, MHI. hist., III, 130 et s., 153 et s., 184 et s. (٣٥)

Cibarrato, Della schiavitù e del poveraggio, I, 464 , Marco Polo. ed. Vile. T. I, Intro. p. p.c. (٣٦)

- في تفسيرهم وجره جديد شرقيين في الشرق إيطاليا كله ، انظر Makumov, Moscov, Slav coast, I, 1 p. 188, 442 , Cod. dipl. Sar. Russie. I. 325.

ياتون من جوار وكالفا حتى قلب الأباطورية الألمانية ومعهم عبيد من الحبشي ، وادى الإمبراطور فردريك الثالث هؤلاء النجار بأن يبيعوا هناك هؤلاء الرقيق (٣٧) .

ومن الجوانب المتعة في الموضوع الذي ندرسه هنا البحث عن نسبة العبيد من الحبشي في مختلف البلاد ، فوجد في هذا الخصوص فرقاً واضحاً بين مصر وبين العرب . ففي مصر ، ورغم شدة الطلب على العبيد من الأناث (الإماء) لشغل حريم القصور ، كان العبيد من الذكور مطلوبين أكثر ، لأنهم يشكلون القسم الأكبر من الجيش . أما في العرب ، وعلى العكس من ذلك لا كان القوم يحصلون شراء الإماء ، ليوثت عديداً لما كان هؤلاء الفتيات يشتعن بطبيعة أكثر رقة ووداعة ، ما بهن يتواضعن أكثر مع الحياة الاجتماعية والأسرية ، كما أنهم أقدر من الرجال على أداء الخدمات الضرورية لملوكهم ، ويتعلمن الأشغال المنزلية بسهولة ، وهي أحرار ، وتغلبا مطلوبات لاشباع ملذات ساداتهن . نرى من كان أسعد حالاً ، العبيد الرجال في مصر ، أم الرقيق الإماء في إيطاليا ؟ من الصعب الإجابة عن هذا السؤال فالأولون يعاونون صروباً من الصنف والمهنة طالما بقوا في الطبقات الدنيا ، غير أنه في الوسيط أن يملأوا مراكز عليا في الجيش ، بل أن منهم من ارتقى عرش السلاطين . أما الأحرار فكان يظن بمعاملة طيبة ، وكثيراً ما كان ساداتهن يتقنون ، وهم أحرار ، أو بطريق الوصاية (٣٨) . إلا أن مكانتهن الاجتماعية تبقى دائماً وضعيفة .

كان الشبلي والصحة الجيدة هما الصفتان العاليتين على مسافر الصفات ، وحيثما لو كان الفرد من الرقيق يستمتع فوق ذلك بالعمل . فعرفتم بذلك قسمة وقد وضع السيد تشيغريو Cibrario (٣٩) قائمة بجميع الرقيق ، فكان العدد الأكبر منها يجرى في جنوبا وإندونيسية ، ومنح ٥٣ عاماً بذلك في القرن الثالث عشر ، و ٢٩ في القرن الرابع عشر ، و ٢٨ في القرن الخامس عشر ، وأنت أن الأسفار تزداد ارتفاعاً قرباً بعد قرن . من ذلك أن الأسفار في القرن الثالث عشر تراوحت بين ٢٠٠ و ٣ ثيرة . وفي القرن الثاني ، كان من السادر عقد صفقات لتقل من

(٣٧) Iter Joell. 1488 : Chancel. Regesten Friedrichs III, no 4342

(٣٨) نجد مثلاً الملق في أرمينيا الصغرى والقدس في

Les Arch. de l'Od. lat., t. 480 et n. II, 84, 85 et n. 87, 197

(٣٩) Cibrario. Della schiavitù e del servaggio. I 283 et n. 227 et 88.

٥٠٠ ليرة ، وبلغ أعلى سعر حوالي ١٤٠٠ ليرة • وفي القرن الخامس عشر ، تجاوزت الأسعار ٨٠٠ ليرة ، بل كان في السدقية عام ١٤٢٩ ستة رومية يبلغ ثمنها ٨٧ دوك ، أي ٢٠٩٣ ليرة • وفي سسكانيا ، وجد السيد بونجي M. Bonghi الأسعار متراوح بين ٥٠ ، ٧٥ ريالاً ذهبياً • وبلغ أعلى سعرين ٨٥ ، ١٣٢ ريالاً ذهبياً ، دفعا ثمناً لعبيد من الروس (٤٠) •

ويقابل أزمة عصر في تجارة الرقيق في جنوا والبيندسية أكثر الحضور رجاء في مدينتي كونا وتانا • ولكن حدث في عام ١٣٩٥ أن وجه تيمور لك ال مستعمرة تانا ضربة قاضية لم تنهض منها بعد ذلك • ثم كان سقوط القسطنطينية في يدى محمد الثانى • وأخيراً ، حظر هذا السلطان على السادة نقل العبيد المسلمين من كل أنحاء امبراطوريته • ولم يسمح بالمرور الا بالنسبة للعبيد المسيحيين (٤١) • فأضرت هذه الأعمال بهذا الصرب عن التجارة ، وعطلته في حالة من اليأس والقلق • وفي عام ١٤٥٩ ، ارتفعت الشكوى في مجلس الشيوخ البندقى من نقص عند الأرقاء (٤٢) • ومع ذلك يقرر فليكس غابري (٤٣) أنه لم يزل في السدقية في أواخر القرن الخامس عشر قرابة ثلاثة آلاف من العبيد من شمال إفريقيا وبلاد التتار ، ويشير إشارة عابرة الى السلاف (الصقالبة) دون أن يذكر عددهم •

Antologia nuova, II, 228,
Ramanin, IV, 432.
Antologia nuova, II, 244.
Ed. Haefner, III, 432.

(٤٠)

(٤١)

(٤٢)

(٤٣)

ثانيا - العاصلات الطبيعية - الصبر aloès

من المعروف أنه حين يسرى حرا في الورقة اللحمية لمختلف النباتات من جنس الصبار ، يخرج من الحز عصير من اللطاق ، يجف ، ويتناول في التصبارة - ويذكر بيجولوني ثلاثة أنواع من هذا النبات « الصبر الليموني » *Paloè cetrimo* ، وله لون الليمون ، وأحيانا لون أصفر ضارب إلى الحيرة ، و *Paloè sativo* وله لون قاتم ، وحب أكثر قتامة من حبة الأول ، وأصيرا *Paloè cavallino* ، ولونه شديد ، ولقطة (nero) (٤٤) ، والنوع الأول له الرتبة الأولى - وبيجولوني هو الوحيد الذي يطلق عليه اسمه هذا ، ولعله ما يسمى *Paloè fine d'astano* (٤٥) ، أما اسم النوع الذي يشير إليه بيجولوني في السطر الثامن فإنه مذكور في كل كتب التجارة والأسعار في المصور الوسطى ، وكذا في مؤلفات « الأتريادي » (المراد الطبية) (٤٦) - هذا الاسم يعني في الواقع أن يكتب *hepatico* وهي كلمة مشتقة من اليونانية ومعناها « الكبد » ، وتدل على اللون القاتم لهذا النوع ، ويشابه

Pagol., p. 87, 286, 378.

(٤٤)

Um., p. 3, 48, 74, 114, 108 , Chierini, p. 37, b , Paul, a. 9,

(٤٥)

b. 45, b. 54, a , *Rôle des douanes de Messine*, publ. dans les *Mémoires de storia ital.*, X, 78.

Macer Floridus, éd. Choulant, vers 2334 , Otto Crenschansie,

(٤٦)

(a la suite de Macer), v. 4, 8.

لون الكبد ، كذلك نجد نوع كافالدير ولكن يقدر أقل في مصادر العصور الوسطى (٤٧) . ويقر السيد غفركيجر M. Fildesiger بأن هذا النوع مريض دائما ، أو مقلد ، ولم يعد له ذكر في كتب التجارة في لوحاتس القرون الوسطى ، واحتفي سائما في عصرنا الحاضر ، في حين أن الصبر « الكلبى » لم يرل موجودا في « الفارماكوسا » (دستور الأدوية)

وكانت حريرة سقطرى Sokotra مشهورة في العصور الوسطى بصناعاتها كما اشتهرت حريرة حيوس بالمصطكة ، وعنه ذكر صفه الجبرية لم يكن رحالة أو جراحيو تلك العصور يفوتهم أن يصفوها من محصولها الرئيسي . فيقول الإدريسي أن يصدر إلى الشرق والغرب (٤٨) وكان الصبر موجودا أيضا في بلاد الغرب ، في منطقة Djedda وحصرموت ، غير أن صبر سقطرى كان يخطى بتقدير أكبر (٤٩) . وعلى دالما صبر كنباي والبغال . ومواقع أخرى في الهند ينسب آدمير ، وفي العهد الأول من السيادة البرتغالية لم يصل ثمنه إلى ربع ثمن صبر سقطرى (٥٠) . وقبل اكتشاف الطريق البحري إلى الهند كان عند الأوروبيين الذي يروون سقطرى محصولا ثغافيا ، ولم يذكر منهم سوى الإيطالي كوتشي Cosci . إلا أن الصبر الذي نتجه الجبرية كان مطلوباً بكثرة ، ويصل إلى الغرب عن طريق عدن (٥١) ، والاسكندرية ، وقبرص (٥٢) . وكنا ذكر مصدر الصبر في كتاب ايطال عن التجارة ، بعد دالما اسم سقطرى (٥٣) . ومع ذلك لم يكن من المحتمل أن يكون في وسع هذه الحريرة الصغيرة أن تكفي الاستهلاك العربي كله لهندة ثلاثة ، حتى لو سلمنا بأن انتاجها في الماضي كان أكبر مما هو في العصر الحاضر ، إذ أنه يجب حتى صار أقرب إلى الصبر (٥٤) . فإذا لم نتمكنك بجودة محصول الصبر وحدها ، لم تكن مرمين بالدهاب بعيدا للمحصول عنه إذ كانت اسبانيا تنتج نوعا لا يقل كثيرا في جودته عن

- Thor, n. 26, 44, 182, RNe des docteurs de Messine, op. cit. : (٤٧)
Sodex de Salerno, à Bradan.
Reichens, p. 189, Baccardi, III, 30, Krist, I, 47 et u. (٤٨)
Géogr., II, p. 128 et s. : Tho-Salerno, I, 382.
Edrial, I, 47 53, Chamaedion, p. 98, Riller, Arabien, I, 301, (٤٩)
302, 410, 618, 652
Closio, Histoca, p. 149, Th. Pyres. (٥٠)
Fu Khordadbeh, l.c., p. 342, Edrial, I, 157
Pegol, p. 86, 84. (٥١)
Ibid., p. 206, Thor, p. 16, 48 74, 113, 114, 192. (٥٢)
Wellested, dans le Journ. of the geogr. Soc., V 1835, p. 297 (٥٣)
(٥٤)

صبر سقطرى (٥٥) - وكان الصبار يسود أيضا في اليونان (مثلا في
 حريوتي كالليبيا وليروس) (٥٦) . وفي جنوب إيطاليا (٥٧) . وفي
 صقلية ، ومالطة ، وفي الأماكن طلب صبر سقطرى ، إلا أنه لا يمكن أبدا ،
 عند استلام خليط من صبر سقطرى وصبر الجريدة العربية التتقي من
 أنه صبر سقطرى حاليص (٥٨) . وكان القسم الأكبر من أنواع الصبر
 يستعمل كمقادير سهول : ومع ذلك كانت الأنواع الأقل جودة تجد من
 يستعملها في بعض فروع الصناعة (٥٩) ، كصناعة اللازورد ،
 والتدهيب ، الخ .

الشبب Lili

كان الشبب من المواد التي يكثر الطلب عليها في العصور الوسطى .
 وحسبما ذكر بعض الكتاب ، لم يتم اكتشاف طبقات من هذه المادة في
 الغرب إلا في أواخر العصور الوسطى ، وحتى في هذه الآونة كان الشبب
 كله يرد من الشرق إلا أن هذا غير صحيح ، ونسبنا في حاجة إلى تقديم
 براهين صادقة ، بل يكفينا ذكر بعض التواريخ - مثال ذلك أنه وجد في
 التجارة قبل عام ١٧٢٢ شبب مونتني أرجنتارو و Monte-Argentario (٦٠) .
 وفي القرن الرابع عشر كانت القلائد تتلقى شبب مبورقة ، وسجلهامة
 (بالمغرب) ، وبوجي (حاليا بجاية - بالجزائر) (٦١) . كما كانت مصامح
 الشبب بحريرة اسمها Ischia تستغل مدة عهد أول ملوك أسرة أميجو (٦٢) .
 وأخيرا ، وابتداء من القرن الثالث عشر ، يرد كثيرا ذكر حريرة جالكامو
 Volceno إحدى حرر لباري Liperi من الأماكن التي يستخرج منها

-
- | | |
|---|------|
| Perez, op. cit. | (٥٥) |
| Bondelmonti, Liber insul archipel, éd. Struaz. p. 166. | (٥٦) |
| Maffei, Platanella, Circa insana, à la suite de la Scorpionis
pnotica, Lugd. 1628, fol. cccxiii, Maffei, Sylvaicus au mot Aloe,
le Mazzucchi de Salerno, op. cit., p. 68. | (٥٧) |
| Strind, I, 53. | (٥٨) |
| Liber divers. art., I, 2, II, 2 (Merrifield, Orig. treatises,
p. clxvii, 163, 241, 471. | (٥٩) |
| Comate. Storia di Genova, II, 638. | (٦٠) |
| Boutgriolot, Forêts de Champagne, I, 287. | (٦١) |
| Milanesi Riccio, Alcuni fatti riguardanti il regno di Carlo I
d'Angio, 1282-1270, p. 327 | (٦٢) |

الثوب (٦٢) * وكان المعروف أن هذا الثوب من نوع غير جيد ، وكان كثيراً ما يحظر على الصيانت استعماله (٦٤) * والواقع أيضاً أن كميات الثوب المستخرجة في مشروعات الاستغلال الفريسية لم تكن تكفي لوفاء بالطلبات ، فكان على مستهلكي البضلة ، ومن يحرسون على الاصناف امتعازة أن يحصلوا على طلباتهم من الشرق * وكان البلد ذو الانساج المسكز هو آسيا الصغرى وكان هناك فوجـة Photo المشهورة أو فوكيا Foglia التي ظلت في أيدي الجنوبيين من عام ١٢٧٥ إلى عام ١٤٥٥ قيساً هذا القطاع قصير الأمد في عهد الصيانة البيزنطية وكان الأغلبية المظني من عمال المنام من اليونانيين * واد كل لبضاعة في العصور الوسطى من دون تاريخها ، فانا نعرف من تفاصيلها الكيفية التي يستخرج بها الثوب * وهناك ما لا يقل عن ثلاثة أوصاف لهذه العملية كتبها من شهادتها بعينه : منهم النشر الفرنسي جورداس كاتالاني Jordanis Catalani الذي زار فوجية في عيسام ١٢٢٠ * ثم الرحالة الفلورنسي الكبير بيجولوني ، وأخيراً المؤرخ البيزنطي دوكاس Ducas الذي كان له بيت فوجية الجديدة ، واستطاع من ثم أن يتبع العملية (٦٥) وكان جواز مراكم الاستغلال للساحل مما يوفر تسهيلات خاصة للتسعى التجارية الإيطالية والفرنسية والاسبانية التي تأتي لتسعى منتج المنام ، وسود بها إلى الغرب * ومن بين الإيطاليين كان أقوى المصدرين هم تنظيمية الحال الجسويون (٦٦) ، ولكن الفلورنسيين كانوا ياشلون أيضاً كميات كبيرة (٦٧) * وكان الإنتاج يبلغ في المتوسط ١٤٠٠٠ غنطار في السنة (٦٨) ، ويطلب من جهود لتصريفها فانا أشدنا في الاعتبار جودة المنتجات ، سبي لنا أنه كان من المنتج عرباً تسديم * فوجية * حذفت مكون بنمسية من الصفح المشار allume di rocca من الصنف الأولى درجة allume minuto corda, fogia ، ومع ذلك

- le Caribaire de l'abbaye de S. Victor zu Marseille, T. I, (٦٢)
p. ١٢٧١ et ١٢٧٢, ١٢٧٣ Méz et Guinjon, J., 343, 347; Capenay,
Mém., II, 21 le Manuel du commerçant, de Pegolotti, p. 386.
Benach, Stat. Pis., III, 128 et s. , Bolleu, Règlement sur les (٦٤)
arts et métiers, éd. Depping, p. 135 et s.
Recueil de voyages et de mémoires, publ. par le Soc. de (٦٥)
géogr., IV, 64 , Della ducina, III, 368 et s. , Ducas, éd. Born.,
p. 160 et s.
Cassale, Storia di Genova, III, 313 et s. , Annal. Jan., 316 (٦٦)
(bis)
Doc. mille relais, loc. cit., p. 180 et ss. (٦٧)
Pegolotti p. 390 (٦٨)

يمكن شراء الأصناف المتتارة ، والأصناف الأدنى مرتبة ، كلا على حدة (٢٦) .
 أما سائر مصاحم الشب فكانت أكثر بعدا من السواحل ، ومستجابتها قبل
 أن تصل إلى البحر مثقلة بمصاريب النخل ، أما بالراكب ، أو بطريق البحر
 مثال ذلك ، أنه كان يباع في كيراسوت Cerasote شب من الدرجة
 الأولى مستخرج من مصاحم واقصة ، حسيبا يقول يجولوني على مسجعه
 سبعة أيام داخل البلاد ، وبكميات وفيرة ، وفرة الشب المستخرج في
 فوجة ، ويعرف هذا الصنف في التجارة باسم altume de rocca di
 coloma (٧٠) . وكلمة rocca تعبر عن الجودة ، أما كلمة
 Coloma فتعني تشعب إلى المصدر . ولم يزل هناك في الوقت
 الحاضر مصاحم شب في قره حصار Karahissar (٧١) على نهر
 ليكوس Lycos ، وتكثر هذه المدينة عن مدن غيرها تحمل الاسم
 نفسه ، وذلك بالمت Chabin فأقرب مينا هو مينا كيراسوت .
 وتصل للمدينان أحدهما بالأخرى بطريق وعر ، وتبلغ المسافة بينهما
 مسبعة عشر ميلا . ولا كانت الحاجم تبعد عن قره حصار بمسافة
 ثمانية فراسخ ، من الأماكن التسليم بأن هذه الناحية هي نفسها التي
 أشار إليها يجولوني . وفي عهد السيادة البونانية ، كان اسم قره
 حصار هو كولوبا Coloba ، وبقي هذا الاسم حتى القسرون
 الرابع عشر (٧٢) ، ويكفي هذا لتأكيد معلوماتنا عن مصدر نوع الشب
 الذي تحدثنا عنه عند حديثه . وكانت مصاحم أولوباد Oulobad
 منتج سلعة أدنى درجة بنوع ، ليس سلعة كولوبا - قره حصار ، وفوجة ،
 ويبلغ الإنتاج السنوي ١٠٠٠٠ قطار . وكان هذا الشب الذي يسميه
 الإيطاليون altume lupu أو Lupojo يصل إلى ميناء تريشيا
 على الساحل الجنوبي لبحر حمرة ، بعد أن ينقل برا مسافة
 أربعة أيام ، ثم يصدر إلى الفلاندر (٧٣) وكان من نفس الجودة تقريبا
 شب كوتاهية Koutahieh (ويسمونها يجولوني Cotal) عاصمه
 إمارة كرميان Kermian التركمانية ، ويستخرج منها سنويا حوالي
 ١٢٠ قطار ، ويرسل كل هذا إلى بحر إيجة ، يصفه بطريق البحر ،
 والصنف الآخر بالطرق المائية ، وينتهي إلى ميناء القنوجو Altalugo
 (الغس Eghée) (٧٤) ، وبالاتيا Palatia (ميليتوس)

Ibid., p. 380, 26 ; Doc. sulle relaz. fosse, Le.

(٦٦)

Ibid., p. 28, 380.

(٧٠)

Ritter, Kleinasiën, I, 208, 310, 1012.

(٧١)

M. Biaz, dans Petermann Mittheilungen, 1885, p. 323

(٧٢)

Pegol., p. 26, 240, 285, 370 ; Mus., p. 19, 47, 74.

(٧٣)

Atun d Altalugo.

(٧٤)

Millet ، ومنها يصاد صديرة : يمرسل جزء صغير إلى سنالية Satalia على الساحل الجنوبي - ويستمرق النخل بالطريق البصري خمسة عشر يوما (٧٥) - واختيرا ، كان لسلطنة تونبة سانج شيب ، كانت مؤجرة إلى اثنين من الثلثة في أواسط القرن الثالث عشر ، وهي ثم يتأكد لنا أن إنتاج الشب في مصر هذا العصر على الأقل كان ينحل حسب سجاره الغرب (٧٦) .

وفي وسط مجموعة الجزر التي تشكل ما يشبه القنطرة بين آسيا الصغرى وأوروبا ، نجد جزيرة في بحر حرمة ، وهي واحدة من جزر « الأمراء » Princes كانت تزود التجارة في العصور الوسطى بكية صغيرة من الشب من دجه ديا (٧٧) . وكانت ميثيلين (ليسوس) تنتج أيضا شبا في القرن الخامس عشر (٧٨) ، وفي القرن السادس عشر كان هذا الشب لم يرل يساع في إيطاليا . إلا أن بيلون B elon يلاحظ أن هذا الشب لابد أن يرد من (Iselle Isula sur la Maritima) على بحر ماريتر ، التي زاد هذا الرسالة مساهمها (٧٩) . والواقع أنه كان يوجد هنا وهناك في تراتيا مستودعات الومي (أكسيد الألومنيوم) ، في مارونيا Mazonia مثلا ، غربي مصب نهر مارنيرا (٨٠) .

وكان شب تراليا ، وآسيا الصغرى ، والجزر اليونانية يصل بوفرة إلى سوق لقسطنطينية (٨١) . وكان بالامكندرية أيضا مستودع لهذه المادة (٨٢) التي تصل إليها إما من مصر العليا وبلاد النوبة (٨٣) من طريق النيل ، وإما من أقصى الجزيرة العربية (اليس) (٨٤) . وكانت منتجات هذه البلاد معروفة في الغرب من قديم الزمان (٨٥) .

-
- Pegol, p. 326, 329 voy Chelabeddin, p. 353, 364, 366. (٧٥)
 Guill. de Fubrouck, p. 328. (٧٦)
 Pegol, n. 28, 370. (٧٧)
 Doc. sulle relaz. tosc. p. 129-171 Ghisale, p. 328 ; Mon. Hung. hist. Acta externa, V, 14. (٧٨)
 Belon, Observations (éd. re 1888), p. 110 et s. (٧٩)
 Doc. sulle relaz. tosc. p. 129. (٨٠)
 Pegol, p. 15, 28, 29, 36, 37. (٨١)
 Pegol n. 58 , Taf. et Thom, III, 446. (٨٢)
 Amari, Dipl. arab. fior., p. 385, 423 , Chemseddin, Maazel de la Cosmographie. (٨٣)
 Karmel, trad. Ebn, I, 1 p. 337 , Chemseddin, op. cit. (٨٤)
 Murst, Anfig. Ital., p. 349, 376, 378, 381, 382. (٨٥)

وحتماً لهذا التعداد ، تصيف أنه في القرن الثالث عشر وجد كثيراً في مجال التجارة نوع من الشب ، عرّف بشب حلب (٨٦) . ويصعب التسليم بأن حلب كانت حقاً مصدر هذه السلعة . ومع ذلك كان الشب يرد بالفعل في داخل البلاد . وإذا كان لزماً تحديد مكان إنتاجه ، ففي الواقع التوقف عند أوديسة Rocca . والتوقع أن شب حلب هذا كان يوصف بأنه fiume di Rocca ، ويذكرنا هذا الاسم باسم روكا (رها) Rocca-Rcha ، وهي مدينة من مدن ما بين النهرين ، أوديسة القديمة ، وهي اليوم أورما . وفي عام ١٤٥٩ اكتشف جوي اسمه يارنولومبو بيتشي Bartolomeo Pernice في جزيرة اسكيا صخرة الومبية (تحتوي على الألومنيوم) وشرع في استغلالها ، ويحكي أنه تعلم حرفة استغلال الشب في مدينة روكا (الرها) dalla città di Rocca di soria ، حيث قيل أنه أمضى بها عدة سنوات لاجار أعمال تجارية (٨٧) . وهي هذه القصة أمور غير معقولة : أولاً : ليس من المحتمل أن يكون الشخص الذي اكتشف ، أو بالأحرى وجد الألومنيوم في اسكيا قد تعلم صنع الشب في جهة خلاف الرها (أوديسة) ، وهي مدينة غير معروفة في المغرب على أنها مكان تجاري ، أم يكن هناك مدينة فوحة حيث يسازن مواطنون بششاط هذه الصناعة ؟ ولست أذا طلبت من ذلك بأن جنوباً تعلم هذه الحرفة في الرها في القرون الخامس عشر ، فالمحققة مع ذلك أن اسم alumen rocca كان معروفاً منذ عدة قرون مضت ، وأنه كان شائعاً طوال العصور الوسطى ، وهذا التوافق ، أن كان ثمة توافق لا يثبت أن هذا الاسم ينطبق على شب وارد من المدينة السابق ذكرها . ويجد أن تلاحظ في كتب التجارة ، وفي وثائق المعصور الوسطى ، أنه كثيراً ما عبارة alumen rocca أو rose فإن هذا لم يأت لا يشير بالمرّة إلى مصدر الشب ، وإنما يوضح صفة خاصة لهذه المادة ، تصادف في أي مكان ، وتستخرج من مناجم فوجة أو مناجم كولاوتيا (٨٨) . ويبدو لي إذن أنه لا توجد أية علاقة بين الـمت alumen rocca ، بين اسم مدينة الرها . ويستخدم الكيمائي العربي سابر بن حيان (حوالي عام ٨٠٠) المصطلح alumen rocca

(٨٧) Germén. Hist. du commerce de Montpellier, I, 243 et s. ; Méry et Guindon, Hist. de Marseille, I, 346 ; Cappony, Mem. de Barcelone, II, app. p. 74.

(٨٨) Agost. Ghislanzani, Annali di Genova, p. 216: anferus, dans le Thésaurus de Geffroy, vol. IX, 3e part., p. 88.

(٨٩) Pegol., p. 28, 285, 358, 366 Dec. ulte relat. tota, p. 109 et s. ; Arch. Venet., XXVII (1584), p. 42.

أو *allumen glaciale* (الألو من الجليدي) دون تعرفه (٨٩) ويقول
 بيجوروتي أن *allume della rocca* هو الذي يستقر على شكل بلورات
 شبيهة ببلورات الفلج من جدار الأما الذي يبرى بدلجه التحصير (٩٠).
 والمحققة أن كلمة *rocca* تسمى *roche* (صخر) ، وإذا كان القسب
 المسمى مدمجا بدرجة كافية لأن مقارنه بالفلج ، فإنه يجوز لنا أن نمارنه
 بالصخر .

وعا نحن قد وصلنا دون أن نشعر إلى الحديث عن نوعيات القسب .
 فالنوعية الأولى ، كما قلنا من قبل ، يشار إليها باسم *allume di*
glusaccio (٩١) ، أو *allume di rocca* (٩٢) ؛ وتنبئ
 في كتل متساكنة كالتلج ، صافية ولامعة ، بلون أبيض ، أو ضارب إلى
 الحمر أو الخضرة الباهتة . على هذه النوعية *la sorta della bronza*
allumiera (٩٣) وتكون نصفها القليل من شب صخري ، والباقي من
 شب من الدرجة الثالثة ، وتسمى *coria* ، أو *fozza* ، وتجمع من قاع
 الدنان أو الأحواض المستعملة في التجهيز ، وهي على شكل بلورات
 صغيرة ، وهي ثم كان اسمها *allume minuto* الذي كان يطلق
 عليها أحيانا (٩٤) . وتجد في المصور الوسطى (٩٥) ، غير هذه النوعيات
 الثلاث ، شب الرشي (٩٦) الذي يشبه بشكله لحية من ویش ، أو حصة
 من شعر ، ومن ثم تغلق (أو تعصم) بسهولة ، هذه النوعية تستغلص
 تنوع خاص من شمال إفريقيا (٩٧) . وإضافة القسب بالحرارة ، ومع ماء
 المود ، وبماض السفي ، وتركيزه ، يحصل نوع من السكر يقال عنه
okamen Saccharinum يرد ذكره كثيرا في كتب التجارة ، والتصرفات

-
- Myxof, Bibliotheca Chemica, I, 389. (٨٩)
 Pegol, p. 388. (٩٠)
 Pegol, p. 211, 248, 388; Uss., p. 17, 47, 74, 118, 141. Bonaldi. (٩١)
 Le. II 263: Chiarini, p. lxxviii, s.
 Macrillio, p. 19 45 et s. 37 88. 268, 269 , Bourquetot, (٩٢)
 Fines de Champagne, I 307.
 Pegol, p. 28. 285. 362; ibid. p. 248 , Canfà, Scoria di un (٩٣)
 Leonardo negli archivi Voss, p. 189 , Salter, Doc. ined., III, 266.
 Pegol, p. 28. 285. 368 et s. , Chiarini, p. lxxviii, Doc. sulle (٩٤)
 retez. tosc., Le.
 Capmany II. 28 ; Tarif de Provence. ch. xlii, p. lxxix, xci, (٩٥)
 xcv; Pegol, p. 379 , Uss., p. 18, 47, 74, 122.
 les Himmatocones. l'éc., vol. II, p. 328. (٩٦)
 Pegol, p. 379 . El Bekri, dans le Journ. asiat., Se série, T (٩٧)
 XII, p. 439.

البحر كركية . وومقات الفنون والحرف في المصنوع الوسيط (٩٨)
 كان النصب هو العامل الضروري لتثبيت الألوان على الأقمشة ، ويسبب
 اليه فضلا عن ذلك حاصية اعطاء الأقمشة لمحة وبريقا : لذلك لا تصنع
 أية قطعة من الصوف أو الحرير دون استعمال النصب (٩٩) ، ويستعمله
 الصباغون ، والمزجرون ، والمصنوعون ، والمصنوعون بكثرة ، فضلا عن
 دبابي الجلود الذين يستعملونه في اعداد جلودهم (١٠٠) .

وكلميا ازداد التنوع في تطبيقات هذا النتاج ، وازدادت فروع
 الصناعة التي تستخدمه ، كان من المؤسف أن يبقى انتاجه في الغرب
 ناقصا ومتاخلا ، كما وكيفا ، وازداد التخلف هذا بسبب توقف العمل
 على كثير من الناجم التي كانت تستغل قديما . ولم يظهر القصور الثاني
 بحاجة الغرب الى الشرق الأدنى في شأن هذا المصنوع إلا عندما دمر
 الأتراك امبراطورية الشرق ، وامارات التركمان ما منسيا الصغرى ،
 ومستعمرة فوجو الحنوية ، ووشمو أيديهم على كل مناطق النصب في تلك
 البقاع . وقدر يسلم ١٠٠٠٠٠ ريال دينار ذهب الأموال التي كانت
 تدعم حراة السلاطين ثما للنصب وحده . وكان من قبل الحراة النصف
 التفكير في أن الإيطاليين هم الذين يستأجرون معظم اساجم . وانتموا ،
 في عام ١٤٦٢ اكتشف رجل من باتوا يدعى جيوفاني دي كاسترو
 يملك مصنعة في القسطنطينية حتى لحظة امتلاء الأتراك على المدينة -
 ومن ثم فهو يعرف جيدا شب الشرق الأدنى ، وطبقاته الأوطية - اكتشف
 في تولما Tolla بالقرب من مدينة فيكيا Civita Vecchia
 مستودعا لنصب في المرتبة الأولى من الحوت (١٠١) . ورجب بيوس
 الثاني بهذا الاكتشاف ، وكأنه انحصار على الأتراك ، وشجع بحاس
 استغلال الناجم ، وقرر استخدام الأرياح الناتجة منه في محاربة الأتراك ،
 ووجد رجال الصناعة المسحين بأن يشتري الكرسي الرمولى (القاتيكان)

Pegol, p. 208 Uzz, p. 18, 122 , Texts de Bologne, dans (٩٨)
 Murat, Anst. Ital. II, 404 , Méry et Guindon, I, 346; Cf. 378;
 op. cit p. LXXXV Bonaini Stat. Pic, II, 114 ; Liber diversarum
 artium, p. 735 Merrifield, p. 62, 67, 439, 442, 519, 594.

Jord. Catal., p. 63 , Dur., p. J. Pachym I, 420 Uzz., p. 118 (٩٩)
 et s., 169; Bonaini, Stat. Pic, III, 26, 128 et s. , Bibl. de l'Ecole des
 charles, de série T III, p. 88, 89 ; Merrifield, p. 18.

Bollau, Réglements des arts et métiers, n. 208, 241 (١٠٠)

Phi. II. Commentarii, p. 185 et s. ; Guglielmotti, Storia (١٠١)
 della marina pontificia, II, 234 et sq. , Mon. Hung. Nat. Acta externa,
 V, 250 et s.

احتاجهم من الشبب بدلاً من شراؤه من « الكفار » (١٠٢) ولا كان الحصول الجديد يعرف القديم بسببة ٢٠٪ من حيث جودته ، فإن الشبب الروماني لم يلبث أن تفوق في كل مكان على سواه ، إلا أن وكلاء الفاتيكان راحوا يرفضون الأسعار باستمرار ، ولم تلبث الأمم التي تستعمل الصبابة فيها الشبب أن تذهرت من هذا النقص (١٠٣) . ومع ذلك لم يعد أحد يقصد الشرق بوجه عام لشراء الشبب كما كان يحدث من قبل ، ثم إن بحار الشبب لم تكن قاصرة على شبب البابا وحده ، فقد استعملت الناس في بسكنيا منذ عام ١٤٥٩ ، وهي مولتيرا Volterra منذ عام ١٤٥٨ (١٠٤) استقلال مجامع الشبب ، حتى صدرت المادة الأولية متوفرة ، وعند تلكه الإقونة ازداد الاهتمام في أوروبا بالبحث عن ~~المواد البديلة~~ ^{المواد البديلة} .

العنبر Ambre

كان العرب ، في أسفارهم عبر بلادهم الأصلية ، أو في رحلاتهم البحرية عبر المحيط الهندي يجمعون في كثير من الأحيان قطعاً كبيرة إلى حد ما من مادة صلبة ، زهرادية اللون ، تشبه الشمع ، تقوى منها رائحة زكية عند تسخينها ، هذه المادة المعروفة باسم العنبر ، كانت تشغل عنانهم مربية ممتازة في تصنيف المطور (١٠٥) . واحتلفت آراء كثيراً حول مصدر هذه المادة ، ولم يكن ذلك أمراً غريباً ، لأنها كانت توجد ثارة ومغطى موج البحر ، وثارة على الشاطئ ، وثارة بين الصخور أو الحشاش وثارة أخرى في أجسام بعض الأسماك . وأراد هارون الرشيد أن يحصل على معلومات صحيحة في هذا الشأن ، فاستفسر من مسكان الشواطئ البحرية لجزيرة العربية - وتبين من الاستقصاء الذي أجرى في عدن ، وشربة Choumra ، حاسبك Hanck أن العنبر يخرج من بواح كائنة في قاع البحر ، وتلقبه الأمواج على الشواطئ . وتسمى الإديسي هذا الرأي ، وكان قد وجدته في كتاب من كتب الطب ، وقابل بين مصادره قاع البحر هذه وبين مصادر العنبر الذي يخرج من الأرض . كذلك أدنى هذه الفكرة قبله

Barot, *Diér.*, III, 1498.

(١٠٢)

Brussel Hist. du commerce et de la marine en Belgique, II, 237 et s. (١٠٣)

Suppl. chron. P. Jac Bergonzio, p. 288. éd. Venet. , Sanu- to, *Vite del Ongl.* p. 1388. (١٠٤)

Macquidi, I, 207 , - يضيف العرب كثيراً بالعنبر - (١٠٥)

ابن سينا ، ورددها Sim- Seth (١٠٦) . وهناك رأى آخر قريب
 نفسه من الزاى السابق ذلك أن العسر يات يسو في قاع البحر ،
 وهو يسوع في الاسفنج تنزعه الأمواج وتلقيه فوق الشواطئ (١٠٧) .
 وفي رأى آخر أنه ليس إلا ريد البحر وقد تعمد (١٠٨) . وكل الذين
 اينوا رأيا أو آخر من هذه الآراء ، ومن ثم اعتبروا العنبر من منتجات
 البحر (١٠٩) ، كانوا يملكون أيضا أنه يوجد كثيرا في جسم حوت العسر
 Physicist Polyvypheus ولتفسير هذه الظاهرة ادعى البعض أن هذا الحوت
 كان قد اطلع العسر ومات من عسر البهيم (١١٠) . وثمة آخرون
 أكدوا أن العنبر يتكون في جسم الحوت نفسه ، وأنه عبارة عن علف
 الحيوان (١١١) . والحقيقة كما أقرها اليونانيون أن العسر مادة
 حيوانية ، ولكنه ليس غائط الحيوان ، بل أنه صرب من الثديي ، وغالب
 تبس مرضي . وفي رأى العرب أن العسر ما يجسد الصنعب أو ردهته
 تبعا للجزء الذي يوجد فيه جسم الحيوان (١١٢) . وهناك آخرون رأى
 ثالث قائم على ما يؤكد أنه على جزر ملديف : ذلك أن العسر غائط متجمد
 لطائر كبير الحجم ، وأن العطر الخاص الذي يفرغ منه انتقل اليه من
 النباتات المطرية التي ينبت منها الطائر ، ويبقى جزء من هذه المادة
 مخروبا على الصخور التي تقوم عليها هذه الجزر ، وأن هذا النوع من
 العنبر هو أنقى أنواعه ، ولكنه أيضا أكثرها ندرة ، وأغلاها ثمنا ، وجزء
 آخر تحمله الرياح والأمواج ، وينقله البحر إلى الشواطئ البعيدة ، وهذا
 الجزء أقل جودة . وهناك آخر جرد ثالث تبتلعه الأسماك ، ولكنه يسبب
 لها عسر عظم يصطرها أن تنفياها ، وهذا أردأ الأنواع (١١٣) .

Etisat, I, 84 , Avicenna, éd. I
 gharcel, p. 36.

Belat, I, 4, Hâçoudi, I, 335 et s., Serap

و : عسر من سينا هذا الذي

Karwini (trad. Riha, I, 1, p. 346, 351). (١٠٩)

Belat, p. 144 et s. Maccoudi, I, 334 , Karwini, op. cit. (١١٠)
 Avicenna, I.e. , Serap, I.e.

(١١١) هذا هو رأى طبيب في بغداد - ابنه جيبى بن حسن - ذكره ابن أبيطار
 (الجزء الثاني : ٢٦) ، الأبرسي (I.e.) : وابن الفدا (I.e.) ينقل هذا
 الراى . ولكن يؤيده

Belat, I, 145 , Maccoudi I, 335 , Karwini, I.e. , Serap, I.e. (١١٢)

Barbosa, p. 313, a, b; Castanheda IV, 38. (١١٣)

ومن الميسور أن نجد في كتابات الأديب العرب قائمة طويلة بأسماء
البلاد والجزر التي يجمع بينها الصين ، وتقع معظمها في المحيط
الهندي (١١٤) على خط طويل يبدأ من الساحل الشرقي الآفريقي (يريز)
ورتلج ، أو الجوز المجاوره ، وينتهي عند الصين ، ويجمع أجود أنواع
التسحر في الجزر الآفريقية (١١٥) ، وكانت أسمى المناطق بالصين
المتوسط هي منطقة « صحار » Schar على الساحل الجنوبي لبحرية
العربية ، ويحصل عليه الأعالي في ضوء القمر ، وهم على ظهور الحبال
التي تساعدها حاسة الشم على اكتشاف المصائد التي بها الصبر (١١٦) ،
ثم جزر حورية - موريا (١١٧) Koutan-Mourian ، وجزر ملديف
وتكاديب (١١٨) ، ومنطقة كالجا Kalaga على مساحل
كرومايل (١١٩) ، ثم جزر نيكوبار Nikobar (١٢٠) ، وكان لعنبر
الذي يجمع في هذه النطاق يصل إلى الغرب بطريقين ، أولا طريق البحر
الأحمر الذي يتزود أيضا بكمية من الصبر يدفعها إليه « المحيط »
البحر العربي فيستقر على شواطئه (١٢١) ، وكان في عهد مستودع
خاص لهذه السمعة ، يرد ذكره كثيرا في المصادر (١٢٢) ، وثانيا طريق
الخليج الفارسي ، ومن هناك تنرد بالصبر المطاؤون بهديتي البصرة
وبقناد (١٢٣) ، وفيما بعد أسواق طورس (١٢٤) .

وبشأ ييجولوني بأن التجار الغربيين يشتلون العنبر من
الاسكندرية ، وقاماجوستا ، وبيروت ، وطورس ، والقسطنطينية (١٢٥) .

-
- Reiset. p. 11 , Edriz, I, 63, 64 , Aricenne, op. cit. ; Geth, (١١٤)
op. cit.
Reiset. p. 116 , Maqoudi, p. 323 et s. (١١٥)
Reiset, ١٤ ; Maqoudi, I, 323 et s., 367, Agnazy, cité par (١١٦)
Malton dans ses Notes sur le voyage de wrede dans l'Hindoustan,
p. 272; Sur Chine, voy. introd. du même ouvr., p. 39, Sim. Geth
(op. cit.).
Edriz, I, 63. (١١٧)
Reiset. p. 4 , Maqoudi, I, 325. (١١٨)
Reiset. p. 30; Maqoudi, I, 329. (١١٩)
Reiset, p. 7, 17; Maqoudi, I, 330; Ibn Khordadbeh p. 266; (١٢٠)
Edriz, I, 76 , Karwini, trad. Eihé, I, 1, p. 220; Ruchideddin dans
Edriz, Hist. of India, I, 71; Lassen, IV, 932.
Edriz, I, 75. (١٢١)
Ibn Khordadbeh, p. 222, Ibn al Aswadi, p. 42. (١٢٢)
Reiset, p. 145 , Maqoudi, I, 328. (١٢٣)
Ibn Batouta, II, 182. (١٢٤)
Fagel, p. 7, 17 et s., 87, 68, 77. (١٢٥)

هذا الكتاب لا يذكر شيئا عن طبيعة هذا الحصول - لما اوتوا *Ussao* فانه يسمى *Amber di balena* (ص ١٩٢) مما يثبت ان التجارة الغرب نسبت ائصاله ، بحق ، الى حيوان بحري من رتبة الحيتان *balene* . ولما وجد في كتب التجارة الغربية انه اشد في الأماكن التي تبث فيها هذه المادة ، وقتما يتحدث عنها المسافرون اشد من يهود الشرق ، ويستثنى من ذلك ماركو پولو ، فانه يشير اليها في سقطرى *Sokotora* ، وحرر حوزيا - موريا ، مدغشقر ، وزنجبار (١٦٦) ، وباريسورا *Barbosa* في جزر نيكوبار ، وجزر ملديف ، وجزر تانج هياووتين لسقطرى (١٦٧) . وأن لما ان يقول ان العبر لا يوجد في الشرق وحده ، فانواق ان حوت « السبر » لا يعيش في المحيط الهندي فقط (١٦٨) ، وهو ان كان وجوده نادرا في المحيط الأطلسي ، ولكنه يظهر به في كثير من الأحيان ، وبخاصة في الزمان الماضي ، ومن ثم كان يجمع عبر بطرحه البحر على شواطئ البرتغال واسبانيا (١٦٩) ، عبر عرف انه من نوع أكل بودة ، ولكن كان هناك منه قدر كاف لأن يجعل منه سلعة تجارية تصدر حتى الى مصر (١٧٠) . كان العبر موجودا في التجارة اما كمادة خام ، هي كمثل ليس لها شكل محدد ، بالحالة التي جئت فيها ، واما قطعا صغيرة مثقوبة ومعتزلة على شكل سبعة (١٧١) . ويستعمل العبر في الطب (عصاة البحر) ، وكان هذا الاستعمال شائعا في الشرق في كل الأزمان ، التفسير مما كان في العصور (١٧٢) . أما كمثل (١٧٣) فانه على العكس من ذلك دخل في عادات الشخصيات الكبيرة في الغرب ، فكانوا يحفظونه في أوعية حامية على شكل كرات ذهبية ، أو في أكياس أو علب (١٧٤) . وفي الشرق يعمل من العبر قلائد ، وطسوت ، وتماثيل صغيرة مختلفة الأشكال (١٧٥) ، أما في

-
- | | |
|--|-------|
| <i>Ed. Pauffider, p. 273 et s., 688.</i> | (١٧٦) |
| <i>P. 292, p. 313, s., 318 b.</i> | (١٧٧) |
| <i>Brandt et Reimborg, Darstellung der Thiere, I, 104-108.</i> | (١٧٨) |
| <i>Maquod, I, 346 et s., Isidore, p. 28, Aboul, trad. Belouad.</i> | (١٧٩) |
| <i>II 1, p. 243</i> | |
| <i>Maquod, Le M. Salbas (Doc. inéd., III, 346).</i> | (١٨٠) |
| <i>Pagot, p. 17, 19, 18; Uss., p. 14.</i> | (١٨١) |
| <i>Garcia de Orto p. 142.</i> | (١٨٢) |
| <i>Roland. Petav. (dans Petz, SS., XIX, 46).</i> | (١٨٣) |
| <i>Docet d'Araç, Châin II, 308, 341, 347, 348 ; Bibliothèque de l'Ecole des chartes, de erie I, 354, 359 Inventaire du mobilier de Charles V, éd. Labarte, p. 62, 220, 260 etc. ; Mon. Hung. Hist., Acol. extern, I, 248 et s.</i> | (١٨٤) |
| <i>Quesneville, Mémoires sur l'Egypte, II, 308 et ss. ; Journ. asiat., 2e série, XVII, 7.</i> | (١٨٥) |

الغرب فيصنع منه خيلان ، وسبح (١٣٦) ، وأزدار (١٣٧) ، وتحمه
عربية بالشكل ، وصور في نقش يارد . وتماثيل صغيرة ، الخ (١٣٨) .
كما يصنع منه مرصعات في التركيبات الخشبية بالعرف (١٣٩) ، وأحدا
يستخدم المبر كحادثة من المواد التي يتسلط بها الأمراء (١٤٠) .

البليسم Boume

من أروع عجائب مصر في العصور الوسطى ، مرعة المطرية .
يخديتها التي روع بها أنجاد البليسم ، ويرويها بيع اعجاري ، ويقدها
كل من المسيحيين والمسلمين ، وتحكي السيرة للقصة أو العدا ، مريم
استراحت برهة عند هذه اشجرة عند عروبها الى مصر مع طفلها اليسوع ،
لذلك فليس ثمة حاج من الحجاج الكثر الذين يقصدون الأرض المقدسة
مارين مصر وشبه حرية سماه يقوه أن يتوقف عند في طريقه (١٤١) .
ثم ان الطريق من القاهرة الى ميينه يمر قبالة المطرية ، وتقع هذه اسحية
على مشارف الصحراء على بعد أربعة فراسخ تقريبا من القاهرة ، ويحوز
مدينة من خمس التي كثيرا ما يطلق الجرافيون العرب اسمها جى هذه
الحديقة المشهورة (١٤٢) . ولكل بقعة من الأرض في نطاق الرعة
قصتها ، ويسبب الخيال الشعبي الى مرعة البليسم أصلا اعجازيا .
وبالاستنتاج الطبيعي ، اعتقد الناس ان هذا الركي الصغير هو الموضع
الوحيد في العالم الذي لما فيه هذا النبات الذي يؤخذ منه البليسم ، وفي
فترة معينة من السنة تمتلئ بحبون الشجيرات بمضارة السات ، فيعمل

Bolleu Reglements sur les arts et le métier de Paris, (١٣٦)

41, Depping, p. 91; Mon. Hung. Hist., Acta extern, I, 249.

Taf. et Thom., III, 355, 363, 377, (١٣٧)

Dout d'Arcq, Chaux, II, 368, 386 et s. ; Bibl. de l'Ecole des (١٣٨)

Charles, in, p. 428, 430; Leroux de Lincy, Ann. de Bretagne, IV,
147 et s. ; Laborde, Ducs de Bourgogne, II, 253, III, 44, Revue
archéologique, 1880, p. 618, 619

Frédéric Michel, Recherches sur les étalles de soie, II, (١٣٩)

180 et ss.

Dout d'Arcq, Comptes de l'argenterie, p. 28, (١٤٠)

Simeon Sigecnia, p. 48-50. ; Ludolf de Sulten, p. 52 et ss.; (١٤١)

Prescibaudi et Gucci, p. 61 et ss., 304 et ss. ; Tachet, p. 387 et s. ;
Ghislaie, p. 178 et ss. ; Fel. Faber, III, 2-18.

Avicenne, Lib. 2, éd. Piamp., p. 68 ; Ibn Beljar, I, 100, 394 ; (١٤٢)

Abdallah, De cr. du l'Egypte, p. 25, 89 ; le médecin Sim. Seth
de almentis, éd. Bagdan, p. 146.

الاستبايوي حزات في القشرة ، دون أساس بالحشپ ، أو يقطعون بعض الأوراق أو السائل (المسائل) ، أو الأضبان ، ولقدان يتصح البلسم من الجراح التي أصابت النبات . ويجمع بطرق مختلفة . أما باليد وحدها ، أو بمصافيت تطبيقية أو في أدران صغيرة تعقق باليد . وتسكب محتوياتها في أوان أكبر حجما ، ويترك المصير المجموع على هذا النحو حتى يروى ، وبالأفضل في أشعة الشمس ، فتسرب الشوائب في قاع الإواني ، ويطفو الزيت السقي (١٤٣) . فيضفى ويوصح فوق مار فيتخذ لونا أحمر نبيديا جميلا . ويعتبر البلسم الذي يتحصل بهذه الكيفية أحق أنواع البلسم ، إلا أن البعض يميز عليه البلسم الذي يسيل سيلابيا من الحرات التي تخرج في اللحاء . ولم يكن الحصول يريه على ٦٠ مثلا في أحسن السنوات (١٤٤) . وثمنا لمعلومات بيجولوتي يساوي الرطل أربع أو ثلاثة « ثيررات » (١٤٥) « الليبر = ٥٠٠ جم - المترجم » . وتجمع عمليات جني الحصول لرعاية دقيقة لأنه يجب أن يسلم بأكمله للسلطان ، مالك الثروة : وهذا السلطان يصاحبه للأمر أو للجمهوريات التي يتبادل وأنها ، السفارات (١٤٦) ، كما يعطى شيئا منه للمسافرين الذين يطمعون إليه (١٤٧) ، ولكبار الشخصيات الدينية أو العلمية غيرهم في دولته (١٤٨) . وينهب جزء آخر للمستشفيات (١٤٩) .

Abdallah, p. 20; Seth id. Bogdan, p. 14, (١٤٧)

Abdallah, p. 23; Avicenna, éd. Piemp, p. 65 et s. (١٤٨)

Pegol., p. 56-58. (١٤٩)

Tucker, p. 368; Harif, p. 129 et s., Fabri, III, 16 et Bregdenbach a. p. (١٤٦)

.. ينكر أن هذه أسماء بعض الأمراء الشرقيين الذي كان السلطان يرسل إليهم بصفة مدعومة . وكان السلطان يرسل فواريز من هذا القبيل للشين لأمره مسيحيين مال كاترين كورباتو . ملكة قبرص (ماس لافري ، تاريخ قبرص ، المجلد الثالث ٤٠٦) . وشرق البندقية (١٤٧) . يدور ميلانو . جاليفاس حربي (Archiv. stor. lomb., 3, 165) وكان هؤلاء الأمراء يكتلون سفراهم أحيانا بإبلاغ السلطان رغبتهم في أن يحصلهم منه بلسم . لنظر في ذلك ، الماريزي

cité par de Sacy dans son étude sur Abdallah, p. 89 et Lucet de Sathem, p. 83).

.. كذلك كانت بعض دغرى التجارية كالبندقية وبيزا تنهز فيها حسن علاقاتها بغير تطلب من سلطانها الاسم اللزم لكاتسوا . انظر :

Amar, Dipl., p. 282, 281, 283 , Taf. et Them., II, 188.

Ghisalao, p. 397. (١٤٧)

Pollé, p. 348 ; Fabri, III, 17. (١٤٨)

(١٤٩) انظر القشرة المذكورة بمالطية للمقريري : والقائضين . وعند ابن الأثير

مختلف التواريخ التي كانت تطلق رابا منتظما عن البلسم . ويسمونها « الشقفاي » . ج . قصر سوريا .

عوما يبقى منه يبيعه لبعض الأجانب دوى المكاة الربعية ، كما يعمل بعض الأميان الذين أكرمهم بهذه الهدية ، وذلك بطريق بعض المسند (١٥٠) وكان بعض المسافرين يفسدون من وقت لآخر قوسية ما للحصول على شيء من هذا النوع من البلسم في ناحية انصرية نفسها ، غير أن هذا كان يعتبر شرابا من الاحتلاس ، فكن على هؤلاء أن يفسدوا شيء ما يحصلون عليه (١٥١) . ومع ذلك لم يكن يستند المطرية والمشمرون عليها يصنعون بهذه المكاسب غير المشروعة ، إذ كان في وسعهم أن يحصلوا على البلسم بطريق مشروع تماما ، لأن الفصصون المقبولة كانت تترك لهم ، فيومون يديها وكبسها ، ويستخرجون منها عصيرا ، هو بالتأكيد أدنى مرتبة من العصير الطبيعي ، ولكن سعره مع ذلك مرتفع . وفي هذا البحر كان هناك دائما في مجال البيع والشراء بلسم وأورد من حديقة المطرية . إلا أنه لايجوز أن يهرب عن البذل أن في العصر الذي كانت فيه الحديقة تغل أورد محصول لها ، لم يكن بهذا أكثر من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ شجرة بلسم . لهذا يتكفي هذا للوفاء بكل الطلبات ؟ أما حتى شك من هذا ، حتى ياتراض أن الباعة يتلون كن هافي وسعهم لزيادة حجم بضاعتهم بأضافة عقاقير أخرى إليها . فالواقع أنه لا توجد صلب يشكو الناس من غشها بقدر ما يشكون من غش البلسم (١٥٢) .

ومبنى أن رأينا أن الكتاب المسلمين والسبعين أكلوا مرارا وتكرارا ، حسبما ورد في السيرة القديمة أن أشجار البلسم المزروعة حتى حديقة المطرية ، والمروية بالنتج الاعجازي هي وحدها التي تعطي بلسما حقيقيا . ورغم هذا ولما أن نبحث عما إذا كانت هناك أماكن أخرى يأتي منها البلسم . كانت هناك في العصور الوسطى في القسم ، قبل أن توجد حديقة المطرية أشجار بلسم في سوريا ، فلسطين ، والحريرة العرصة ، وعصر ، وكان اليهود ، والأفريق ، والرومان يعرفون العصير الذي يسيل من هذه الأشجار . وفي الإمكان نتج زراعة شجر البلسم في فلسطين حتى العصور الوسطى . وثمة حاج في القرن الثامن يدعى سي ، لييلبالد S. Willballd اتبعت له فرصة شراء بلسم في أورشليم (١٥٣) (بيت القدس) ، ويحتمل أن يكون هذا البلسم مستوردا ، غير أننا نشك في ذلك . حين تعلم أنه بعد مائة سنة ، وجد

Fabri, III, 14, 17

(١٥٠)

Fryschenthal, p. 62 et 67, Chirci, p. 206, 210.

(١٥١)

Fabri, III, 16; Brydenbach a. p. , Schülberger, p. 117 ,
Mondésille, p. 63 ;

(١٥٢)

Dono Canisius Baccage, J.L 1ère part, p. 112.

(١٥٣)

حاج آخر يدعى برناردوس مابيس Bernardus Sapiens وجد أيضا في أرجا Jernac مزرعة أشجار بلسم ، تلك التي ذكرها كتاب التاريخ القديم ، ورأى الأمازيغيهم يحرثون حرثا في لحاء الشجر بحجارة مدببة (١٥٤) حتى يسيل العصير (١٥٥) ، نقول مع ذلك انه يبدو أن زراعة البلسم قد اُهمنت في فلسطين منذ زمن بعيد ، فلم يمت لها وجود عند عصر الحروب الصليبية . وجي راز بوركرديس Burchardus قسرية ، و احبادي ، Engaddi جبل صهيوني في أواخر القرن الثالث عشر (١٥٦) . لم يجد عند موضع مزرعة أخرى مشهورة أيضا في العصور القديمة سوى بقايا عريضة مهجورة بعد أن أُجلبها العرب المسلمون . ويقول عبد اللطيف (المتوفى عام ١٢٢١) انه لا توجد أشجار بلسم بفلسطين (١٥٧) ، ونرى انه محق في هذا بالنسبة للعصر الذي عاش فيه . ولكنه بعد سطور قليلة يلتفت الأنظر إل نوع من شجر البلسم البشري Balsamodendron Gileadense المعروف باسم Bechara ، وينمو في نجد ، وتهامة وصحاري الجزيرة العربية ، وعلى شواطئ الخليج وفارس . وثمة عالم نباتي قوى الملاحظة ، هو أبو النعاس البياضي ، من أشمبيه ، ومعاصر لمحمد اللطيف ، رأى الشجرة نفسها في الجزيرة العربية ، وبخاصة في الجبال المحيطة بمكة (١٥٨) . كذلك فإن شراح ابن سينا ، وهو بلسميوس Placophus ، قارن بفجر البلسم المزروع بمدينة القرية نوعا آخر مستشرا على مدى واسع بالبحار (١٥٩) . وبالأحمال ، لم تكف الجزيرة العربية عن إنتاج البلسم ، ويحتمل كثيرا أن تكون الأشجار المزروعة في حدائق فلسطين وعصر كانت مأثورة من هذه البلد (الجزيرة العربية) . وجاء عصر اكتشفت الحاجة فيه إلى استخدام الوسيطة نفسها لاتعاش مزارع انظرية . وفي عهد السلطان قايتباي (١٤٦٨ - ١٤٩٦) يبدو أن الأمر اقتضى إخطار عسايح

(١٥٦) كان بجري حر الماء في الجزيرة بمجرة حنية ، أو حفنة مشعولة ، وكان لذلك حسب ما قد تقدم أن استعمال آلة حديدية قد بدلتها : انظر عبد اللطيف ص ٢٠ ، وكذا

— la citation extraite de maureville, *ibid.* p. 87, Fabré, *ibid.* 16.
Recueil de voyages et de mémoires pub. par la Société de Géogr., IV, 508. Hüfner, *Erbk.*, XV, 3, p. 509, Petr. Cosm., éd. Toal, p. 122.

Laurent, *Peregrinationes medii aevi*, p. 61, Hüfner, *op. cit.*, (١٥٧)
p. 868.

Ed. de Sacy, p. 81. (١٥٨)

de Reuy, commentaire sur Abdallah, p. 88 et s. (١٥٩)

Avéneque, éd. Plomp., p. 88. (١٥٩)

من الحرية العربية (١٦٠) ، هي حين أن الرزعة كانت ميسرة متى
تتروى ذاتها بشكل العساكر لتحل محل الأسيار التي
تسوت (١٦١) ، وفي الفترة التي دار فيها أموله دي هارف
Arnold de Harff مقرر الديمقراطية عصابة من الشهود ،
خلعت جندوج أسيار الياسم ، وحشت التوايح (التوساوي) بحيث
لم يكن ثمة أمل في الحصول على قطعة واحدة من الياسم (١٦٢) ، وفي
مستهل القسري السادس عشر ، وجه بيير مارتن د'انجليس (١٦٣)
Pierre Martyr d'Anglerie ، ومارتن دي بومبارتن (١٦٤)
Martin de Boumgarren هذه المزارع في حالة حراب ، تام ، ولكن ،
بعد انقضاء سنين ، حين أصبح الأتراك حادة البله ، اعتسوا
بترميم الحديقة ، ومن أجل هذا عثروا مرارا من يبحث عن مسائل في
عجائز مكة حيث تنمو أشجار الياسم بوفرة (١٦٥) . وعلى حقيقة
يعرفها كل حاج زار المدينة القديمة .

ربما يقول البعض ، هل أعطت القسائل المستوردة في بلاد العرب
يأسا ؟ لما أتى شك في ذلك ، لا يقول عبد اللطيف أن شجر الياسم
البري من بلاد العرب لا يعطي بلعسا وهذا تأكيد مطلق لا يسكن
فيسوله دون اعتراض . أولا يقول ، البالي ، مياسر عبد اللطيف ،
كما سبق أن رأينا أن الشجرة كلها مغطاة بالسكر ، ويكفي ارتفاع
ورقة ، أو كسر غصن منها حتى يتدفق سائل أبيض ، عطر تتخل مع
الولت لونا أحمر ساما كالبلسم (١٦٦) . كان يكفي من شجر الياسم
العربي من وادي الصحراء التي ليست فيها إلى أرض صالحة حتى تنتج
بلعسا غزيرا كمنظرتها في مصر (١٦٧) . حقا أن العرب في المصنوع
الوسطى لم يكونوا يرادون كما فعلوا فيما بعد زراعة شجر الياسم بقصد
الحصول على أجود محصول ، ذلك الذي يحصل بالحز ، ويطلق عليه

Vesling, l.c., p. 228.

(١٦٠)

Petrus Martyr, Legatio Babylonica, p. 438 et s.

(١٦١)

Harff p. 87 et s., Samul., Diar., I, 238.

(١٦٢)

Petr. Martyr, l.c.

(١٦٣)

Deo., Gemmae, p. 468.

(١٦٤)

Selon Olszewski, p. 185 , Alpinus, III t. nat. Egypt., II, 27.

(١٦٥)

et in , del. De Balsamo, p. 62-74 , Vesling, l.c. p. 227, 229, 228.

(١٦٦) عنه الشفاء من ٧٧ ، ٧٢ .

Alpinus, De balsamo, p. 64, 67.

(١٦٧)

اسم *Opobalsamum* ، فلم يقدموا على ذلك إلا في القرون
السادسة عشر حين امتنعت منتجات الهند عن المرور ببلاندهم ؟ عندئذ
اضطروا لأن يزعموا من انتاجهم الذاتي ، ولما كان الطلب على هذه السلعة
قد زاد ، فانهم أحسنوا زراعته ، وما لبثوا أن أنتجوا كمية كبيرة من هذا
البلسم الجديد *Opobalsamum* الذي يصدر في قوافل مكة (١٦٨) ،
وكانوا حتى ذلك الأوان يقدمون ببيع ثمار شجر البلسم وأغصانه (١٦٩) *
ويحصى استعمال هذه الحاصلات ، كما ما يؤخذ منها من النباتات
البرية بمادل في قيمته ما يؤخذ من النباتات المروعة ، يقول « الباتي »
إن ثمار شجرة البلسم العربية تحمل إلى سوق مكة ومنها تصدر إلى جهات
مختلفة ، وإن عطري ملته (إسبانيا) وآخرى غيرهم يعرفونها باسم
« حب البلسم » (١٧٠) . وفيما بعد (عام ١٥١٩) رأى بيلون *Belon*
حب البلسم ، وأغصان شجر البلسم في حوانيت القاهرة ، واستفسر عن
مصدرها ، فقبل له أنها تأتي من اليمن عن طريق مكة ، وأنها ، حسبما
تعيه الذاكرة ، كانت تستورد من ذلك القطر (١٧١) وكانت الحبوب
والأغصان تحتوي على البلسم وتستعمل كثيرا في الطب ، ويشفي الله
البلسم استخلص من الحبوب بالصيغ والطور أقل في جودته من
بلسم *Opobalsamum* من حيث خاصيته العلاجية ، وثمنه ، وأن البلسم
المستخرج من الفصوص بالطريقة نفسها كان يعتبر أرثا من الأنواع السالفة
ذكرها (١٧٢) . ومع ذلك لما كان باسم *Opob* نادر الوجود إلى حد
كثير ، ومن ثم فهو غالي الثمن فلا يستطيع العصفور عليه إلا الأثريه ،
فإن عامة الشعب كانوا يقدمون بالبلسم المسى *Carobalsamum*
المستخلص من الشجرة والمسى *Xyl-balsamum* المستخلص من
العصن ، فهذان هما الإسمان الوحيدان اللذان تصادفهما في كتب
التجارة (١٧٣) : أما اسم *Opob* فلا وجود له بها بالرة .

(١٦٨) Avicenna, *De balsamo*, p. 54 ; *De plantis Egypte*, p. 50 ;

Vesling, *loc. cit.* p. 238 et s. 251.

Alpinus, *De balsamo*, p. 65 et s.

De Sacy, *Abdallaïf*, p. 54, *Avicenna*, p. 69.

* يقول شارح ابن سينا أنه كان يستعمل ثمنها في الطب لثمة الفصوص ذات البلسم .

Belon, p. 167 .

Avicenna, 64 *Plemp*, p. 68.

Pegol, p. 37 296, 301 *Uex*, p. 18, 50, 151 ; *Boissini*, III,

115 ; *Pegol*, 37 *Bonani*, *loc. cit.*

— أشهر ماركيتير في رحلته من إيطاليا إلى الشام *Urm* نوعي البلسم .

Pérol, p. 252 ; *Pérol Fabri* III, 15 , *Abdallaïf*, p. 23, 68.

كان البلسم يستعمل في الأصل في الطقوس الدينية • كعصر من عصائر التعميد ، والريث لتقدمي (١٧٤) ، ثم استعمل في الطب ، وبخاصة لعلاج الجروح • وأخيراً لحفظ النحت • ويبدو أنه كان من العادة النسائية أن يحبل الشخص معه قوارير العطور ملأى بالبلسم • ويحكى أنه في حفل أقيم في تريفيس Treviso (بايطيا) عام ١٢١٤ ميس بعضهم قلعة يدافع عنها نساء ، ويواجهن رجالاً يقدمونها بالأزهار والبخار والبراقيق والمطور ، ومن قذائف قوارير منقسم لا بد أن السيدات يستخدمنها كقوارير للعطور (١٧٥) •

صمغ جاوة (لبان جاوة) Benjoin

عصارة والتجوية (صمغية) *Styrax benzoin* • وكان نبات الدرياني Dryad الذي سمي به جميعه Benjoin (لادن) معروفا عند العرب باسم يخور (١٧٦) (لبان) (١٧٧) جاوة • نجد هذا الاسم في أخبار رحلات ابن بطوطة الفدائع الصغرى في مناسبتة ربارته سومطرة ، إذ يتحدث مراراً عن اللادن الذي يصنع في هذه الجزيرة (١٧٨) والعجب أن هذا الرائج لم يعرف في الغرب إلا فيما بعد ، ولا نجد له أثراً في أخبار الرحلات ، والتجربات الجبركية ، وغير ذلك قبل منتصف القرن الخامس عشر ، ولو باعتبارها سلعة تجارية • ولم يبدأ اسم يخور (لبان) جاوة في الظهور بعض الشيء إلا عند استقرار البرتغاليين بالهند ، نجده أئند مذكوراً إما بين حاصلات سومطرة (١٧٩) أو الهند الصغرى (١٨٠) ، وإما بين السمنع التي تمر مروراً عبراً بالسواك قاليقوط (١٨١) ، أو مرمر (١٨٢) ، أو ضمن الضالغ التي تضمّن بالبسم

- Hutchins, Science papers, p. 204. (١٧٦)
 Baldandrus Patavicus, dans Paris, 98, XIX, 44. (١٧٧)
 (١٧٨) انظر جازي Java minor • جازي الصغير • في سومطرة
 Engelmann et Daz, Ges. über des möte europäis et portu- (١٧٧)
 gais dérivés de l'arabe, 2e éd., Leyde, 1868, p. 229.
 IV, 238, 240. (١٧٨)
 Hieron. d' S. Stefano, p. 345, b, Varthema, p. 103, b ; Cornelli (١٧٩)
 p. 40, a. Baldandrus, p. 103, b ; Barbosa, p. 318 b ; Garcia de Orta, p. 156.
 Boiteiro da viagem que fez o Vasco da Gama, p. 110, 112 . (١٨٠)
 Cornelli p. 180, a - Barbosa, p. 317, a ; Engel, p. 89 .
 Sommar, p. 334, p. 332, a, 339, a ; Frederici, p. 891, b, 397, a,
 Garcia de Orta, Lc.
 Berniel, p. 320, b.
 Barbosa, p. 294, a. (١٨١)
 (١٨٢)

البرتغالية (١٨٣) . ومع ذلك لايجوز الظن بأن البرتغاليين هم أول من استورد هذه المادة إلى أوروبا ، فهذا غير صحيح ، لأن فاسكو دا جاما ورفاقه استفسروا طوال رحلتهم الأولى عن نيس لبنان جادة في مسوق الاسكتندية (١٨٤) . وعلى ذلك فانه سبق أن قدم هذه وقت ما في هذه السوى الكبيرة التي تتميز بالمتقى العام لأهال البلاد المطلة على البحر المتوسط ، وكان يعتبر بمصر في تلك الآونة سلعة ثمينة ، ويكنى ديانا لذلك أن نذكر أننا نجد في قائمة الهدايا المرسلة من قبل سلاطين مصر إلى الدوج باسكوالى مالبينيو في عام ١٤٦١ ، والدمج برناردينو في عام ١٤٧٦ ، وملكة قبرص في عام ١٤٩٠ ، نجد تنويها بأبطال كثيرة من لبنان جادة (١٨٥) . وهي « تعريفه جبارك سرا » Tard de Past (١٨٦) التي نشرت لأول مرة في عام ١٥٠٣ يظهر لبنان جادة في عدة مواضع ، مما يثبت أنه كان ضمن السلع التي يتعامل بها التجار الايطاليون .

خشب الصبر Bos d'aloe

هذا خشب عطري ، اسمه Aquilaria agallocha Roxb. . نجد هذا الاسم في الدفائر التجارية ، والتسميات العربية ، ولكنه أكثر ندوة في أسماء الكثر من الدفائير الأخرى . السبب في ذلك أن الشرقيين كانوا في كل المصور يستهلكون هذه المادة بكثرة هائلة ، ويستطون قديمهم بأصناف أنواعه (١٨٧) . وهي عصر مازكو يولو كان خشب الصبر سلعة مستورده الصين بكثرة ، وكان من السلع القيمة في سوق زيتون Zayton الكبيرة (١٨٨) . وكان يستعمل كثيرا في الهند في الاحتفالات الشعائرية . وكان الحاج الذين يروون معبد الشمس للشهور بمدينة مئسان Meulan يحملون خشب الصبر كقربان ولم يكن يحرق

- (١٨٧) M. Baldeu Boni dans son édition de Marco Polo, I, p. 113.
lettre de Franc Coloclandini, dans ses Opere inedite, VI,
219-222.
- (١٨٤) Roteiro, p. 114.
- (١٨٥) Samito Vite dei dadi, p. 1170 , Misa Letrie, Hist de Chypre,
III p. 400, 423, et Samito, Discr, II, c. 5 , V, 92, 114, 168.
- (١٨٦) Edit. de 1821, p. 42, a, 78, b, 168, b etc.
- (١٨٧) Verthema, dans Hamuso, I, 116, b , Finlayson, The mission
Ibié (Lond. 1925) p. 258.
- (١٨٨) M. Polo, Pauthiaz, p. 582.

كله في العيد ، بل كان جزء منه يتحول في خراة ذلك ، وجزء يباع لبعض التجار (١٨٩) . وكان في الولايات الشرقية ، كبلاد الخليفة المستنصر بالله المملوكي ، وبلاد السلطان أكبر الهندي ، مؤونة كبيرة من حشيش الصبر (١٩٠) . وفي أوروبا لم يكن استعمال المطور شائعا بالقدر الكافي، إلا أن حشيش الصبر كان يستعمل كثيرا في صبح الأناك (١٩١) ، ودخل بسوق خاص ، أسوة بالعرب في « أذربايجان » المصور الوسطى . وكلما وجدنا في مؤلفات طبيب أو عالم بالطبيعيات في ذلك العصر بيانات تفصيلية عن حشيش الصبر وأنواعه المختلفة (١٩٢) ، كان ذلك اقتباسا من مصادر عربية . وكان بيخولوتي (ص ٢٧٦) يعرف الخصائص التي تميز حشيش الصبر الجيد ، ولكنه لم يحصل على هذه المعرفة من الكتب وإنما من أسواق الشرق الأدنى . فالواقع أن التجار الغربيين كانوا يخصصون على هذه السلعة من أسواق القسطنطينية (١٩٣) ، ودمشق (١٩٤) ، وغكا (١٩٥) ، والإسكندرية ، وتاماجوستا (١٩٦) ، وفي هذه المدينة الأخيرة وجد أحد السافرين أكثر من حوالة شمس عمرجات من حشيش الصبر مكنمة في دكان بقالة واحد (١٩٧) .

وهكذا كان حشيش الصبر سلعة شائعة في تجارة المصور الوسطى . وإن أردنا أن نعرف مصدر هذه السلعة ، كان علينا أن نرجع إلى المؤلفين العرب . كان حشيش الصبر الذي يحبه الحجاج الهنوس إلى متنان ، حشيش تسمى للعادة ، من نوع ممتاز ، يطلقون عليه بلفتهم اسم « كمروني » Kamrouny تبعا لماءه الأصلي كمرون (١٩٨) . ويتناسب

-
- (١٨٩) Reliquæ, p. 155 et s. , Maqoudi I, 376.
(١٩٠) Quatremère Mémoires sur l'Égypte, II, 386 et ss. (d'après Makrizi), égypt. Akbery trad. angl. p. Gladwin (Lond. , 1804). I, 91.
(١٩١) Inventaire du trésor de la couronne par Doust d'Acre, Choix de pièces, II, 234, 317, 365. Inventaire de Charles V, p. 222.
(١٩٢) Seft. De alimentis, éd. Bogdan, p. 77 et s. , Albertus M., De vegetabilibus, éd. Meyer et Jessen, p. 344 et s., 407 et ss. Pezot, p. 27.
(١٩٣) La pénurie Baumgarten de Breitenbach Peregrinatio, p. 112.
(١٩٤) Annales de Juss., II, 174.
(١٩٥) Pezot, p. 27, 66.
(١٩٦) Ludolf de Suthem, p. 32.
(١٩٧) Relation p. 138. Abou Dôlôf (id Schlüter, p. 20, 24).
(١٩٨) Kermel, dans Gildemeister, p. 214 , Avicenna (Gildemeister, p. 711). Abou Hanifa (Sérapion, p. 157 , Wasef (Mûlûl Hist. et Indis, III, 20).

البيروني (١٩٩) ، وأبو العدا (٢٠٠) هذا الاسم لى منطقة جبلية واقعة بين الهند والصين : تلك هى مملكة كاماروينا Camaroupa الهندية القديمة ، من أقصى حد لانتشار الحضارة الهندية صوب الشرق (٢٠١) ، وهناك تولف الحاج اشودى هيوينثانغ Hsuenhsang (٢٠٢) فى رحلة عبر الهند ، ويعد ذلك تمتد الصحراء ، ولا وصل ابن بطوطة الى ذلك الاقليم (الذى سماه كمارو Kamarou) وهو على حدود الهند ، عاد أدراجه (٢٠٣) ، ولما أن يستخرج من اجصاع الكتاب العرب أن مايسمونه « قامرون » Kamaroun (كامارو ، كماروب Kamarou, Karéou) هو الاقليم الذى يطلق عليه حاليا اسم اسام الغربية (٢٠٤) ، ولم يزل هذا الخطر الى وقتنا الحاضر ينتج خشب الصبر ، ويشكل مع منطقة « سلهت » Silet الجاورة الحد الأقصى للأرض التى يسمو بها هذا النبات (٢٠٥) ويبدو أنه فى القترات الأولى من العصور الوسطى كانت الشجرة التى تغطي خشب الصبر مائرا ل تسمو على الشفة اليسى من البحرى السفلى لهر براهماپترا ، اذ تحكى اقدم الأخبار العربية أن شجر الصبر يأتى أيضا من مملكة « رهبا » Raha (٢٠٦) التى تقع على نائسة « دكا » Dacca اهل ملغى بهرى براهماپترا والحاج ، ولم تكن الاقليم التى يروى لهر ابحالج صالحة لسو هذه الشجرة ، ويذكر الرحالة الايطالى كوتشى تشيتى Cori cti من الاشياء التى رآها فى ماراثانيا Marathia (ماراثيا Marathia) ل نهر الحانج (٢٠٧) ، أنه رأى خشب الصبر (٢٠٨) ، ولا يصى هذا القول بأن هذا الخشب من محاميل البلد ، ومن جهة أخرى ، يذكر انزلكون العرب نوعا من خشب الصبر يسمو فى

Sprenger Profund Reisetouren des Orients, p. 68 Rachide- (١٩٩)
dia, dans Elliot, I, 87.

Gfner. II, 1, p. 26, II, 2, p. 131. (٢٠٠)

Ibn-Khordadbeh, p. 294; Lassen, Ind. Alterth, I, 60, (٢٠١)

I, 377, II, 254, III, 74, 380, (٢٠٢)

IV, 218 et s. (٢٠٣)

Reinard, Mém. sur l'Inde, p. 15. Introd. de l'éd. d'Aboul- (٢٠٤)
sidin et celle des relat. p. 1 et s. Vivien de S. Martin. Etude sur

Hsuenhsang, III 328; Yule Cathay II, 318; Elliot, I, 381.

Hanberg Science papers, chiefly pharmacological and bo- (٢٠٥)
tanical (Lond 1867), p. 394.

Belat I 23, Mapoudi, I, 315, Ibn Khordadbeh, p. 329. (٢٠٦)

Elliot, I, 381, (٢٠٧)

Elliot, I, 381, (٢٠٨)

جزيرة سيلان (٢٠٩) ، غير أن هذا ليس إلا ذلك الحشيش العطري الذي سماه جازميا دي أورتو Rucis de Oroo « حشيش الصبر البري » وهو الحشيش الذي كان مستعملا أبان رحلته لترميمه الزوتي في سيلان ، وعلى طول سواحل رأس قومورين (٢١٠) هذه المعلومة ليهود لما الطريق لمرفة أصل كلمة قباوى التي تطلق على نوع من حشيش الصبر (٢١١) . كان هناك بالفعل منطقة بهذا الاسم في أقاليم رأس كومور (٢١٢) ، إلا أن النبات الذي تحدث عنه حاليا لم يكن يسو هناك (٢١٣) ، أما كان يسو على سواحل الهند الصينية حيث اعتاد العرب أن يتوقفوا عندها - واسم قباوى Camar الذي يطلقونه على ذلك الأقليم ، والموقع الذي يذكرونه (٢١٤) ، يحصلنا على التعرف على كمبوديا Cambodia ، واسمها في اللغة الوطنية حمير Khmer (٢١٥) . ودأى ابن بطوطة بالذات النوع الذي تكلم عنه في موقع إنسانه بالقرب من مدينة كاموت Kamoteh في بلد « مل حياوة » moul-Java (٢١٦) . قلنا ، من المسلم به بوجه عام أن اسم مل حياوة هذا يشير إلى جزيرة جاوة (٢١٧) ، إلا أن السيد بيلي Bili أثبت أصحرا بريحان قاطع أنه يحض الدنيا واقعا في القارة الآسيوية نفسها في خليج سبلم (٢١٨) . هذا كان لأمر كذلك ، فإن شهادة ابن بطوطة تؤيد شهادة الرحالة العرب وهو بذلك ييسر لنا حل مشكلة أخرى : ذلك لأننا إذا سرنا في نقشه نجد في القطر نفسه مدينة « كاكلة » Kakoloh (*) التي لابد قد أخذت اسمها نوع آخر من حشيش الصبر ،

Mémoires I, 8 Ibn Khordadbeh, p. 226 Etelid, I, 72, Kaswini (٢٠٩)

Jane Gilbey meclat, i.e. p. 183; Ibn Balouta, IV, 187.

Chavus, Exot., p. 173 et 2, (٢١٠)

(٢١١) وإلى هذه الجزيرة [قباوى] ينسب العمود القسرى روما يعرف وهو جيد لكن العمود المسالى لجزيرة مله (الأبرص م ١ من ٨٧) .

Marco Polo, p. 848, (٢١٢)

M. Lazen. Ind. Alherth, IV, 944; Renaud, Mém., sur l'Inde, p. 228 et ss., Elliot, Hist. of India, I, 8, 13 not 2, (٢١٣)

Reins, I, 97 et ss., Macquell, I, 180 et ss., Ibn Khordadbeh, p. 201, Abou't. op. cit. (٢١٤)

Sprenger Post-und Reiseurten des Orients, p. 88, Yule, N° Polo, II, 318, (٢١٥)

IV 240-244, (٢١٦)

GilJemeisler, p. 67 , Dolzner, dans le Journ. asiat. de seris, IX, 244 et 2, (٢١٧)

Cathay, II, 618 et 88, (٢١٨)

(*) هذا التشابه الشكلي لشبه جزيرة الملايو ضمن بلاد مل جاوة على مقربة من كيكلائان المالايو . وكب ابن بطوطة سما إلى الصين - (لتراجع)

ذلك المسمى « حشب فاختة » (٢١٩) ، وكان يحمل عبادة على ظهور
 الأبقار ، مثله مثل أية حيولة من الأحشاب المادية ، ويستعمل كثيرا
 كخشب يحرق ، ومن الأسهل معرفة أصل كلمة « حشب »
 التي تطلق على نوع شائع جدا من خشب الصبر (٢٢٠) فالواقع أن
 أفراد تنق بصفة على أن «حشبي» العربية ليس إلا « تسامبا »
 على الساحل الجنوبي كوشين صين Cahinchin وهكذا تمت أن
 تجارة العرب كانت تحصل على حشب الصبر من شبيه قارة الهند
 الصينية ، وأن التجار العربيين يتلقونه منهم ، ومع ذلك نجد أنه أيضا
 في البحر المجاورة للهند الصينية (٢٢١) ، وبخاصة حياوة
 سومطرة (٢٢٢) -

وفي العصر الذي دعم فيه البرتغاليون سيادتهم في الهند كانت
 البلاد التي عرفت بأنها تنجح أحسن أنواع خشب الصبر المسمى
 كالامبوك Kalambock, Kalampout (٢٢٣) في إقليم
 تسامبا Triampa (٢٢٤) ، وكوشين صين (٢٢٥) ، وسارنار (٢٢٦)
 Sarnau ، ويذكره السيد يول Yulo (٢٢٧) أن هذا الاسم الأخير يسمي
 مشكلة سام ، وأشار أنه في هذا الرأي ، فالواقع أن معلومات فerman
 حدين بنتو Ferman Mendez Pinto لا تترك محالا للشك في هذا
 الخصوص ، ومن ثم فإن أصل هذا الاسم الغريب نجده في الإسكاريو
 Scharino (٢٢٨) -

-
- Avicenna, dans Gêdemester, p. 71 et s. (٢١٩)
 Belat I, 18; Maqoudi, I, 330; Ibn Khordadbeh, p. 272; Abou (٢٢٠)
 Dolet, p. 20, 24; Edrisi, I 83; Aboulf, Géogr II, 2, 127; Avicenna,
 Le p. 72; Selb de alimmi, éd Bogdan, p. 77 et s. , les relations
 de voyage de M. Polo (éd Yale, II, 212) et de Conli, (p. 45)
 Macbouch I. 341 , III, 56; Edrisi, I, 89. (٢٢١)
 Ercolini, dans Gêdemester, cf. cit., p. 363, 363; Ibn Batouta (٢٢٢)
 346; M. Polo, p. 857; Carte catal., p. 137; Carte de Fra Mauro, p. 49,
 80.
 Giovanni da Erngoli , Archiv stor ital de serie, VI, (1880), (٢٢٣)
 p. 187.
 Sommaro, p. 388, b. , Barbosa, p. 338, a. (٢٢٤)
 Sommaro, l.c. , Federici, p. 391, b, 397, a. (٢٢٥)
 Varihusu, p. 168, b. (٢٢٦)
 M. Polo, 2, 222; Edrisi, Hist. of India, IV, 614. (٢٢٧)
 Not. et extr., XIV, 1, p. 423. (٢٢٨)

Bois de Santal خشب الصندل

في التجارة ثلاثة أصواع من خشب الصندل : الصندل الأحمر ، والصندل الأترجي (الليموني - النرجس) ، والصندل الأبيض ، وكانت هذه الثلاثة شائعة في المصنوع المسمى (٢٢٩) . ويخصوص الصندل الأترجي ، أو الصندل الأبيض ، لهذا خشب عطري ، اسمه العلمي سانتالوم الأبيض Santalum album ، ولاشك في ذلك . والصندل الأترجي (الليموني) يروج منه عطر ركي وعبث ، وكان الشرقي أكبر مستهلك له (٢٣٠) ، وبخاصة البلاد التي يجري العرب فيها على حرق جثث الموتى (٢٣١) ، وجرى الأحشاش العطرية في الاحتفال الهندية (٢٣٢) ، وعلبيب الأجسام بالروائح العطرية (٢٣٣) . وثا كان الصندل الليموني هو النوع المطلوب أكثر من غيره ، كان ثمة مرتعا دائما ، فلا يصدر منه إلى العرب إلا القدر القليل جدا . ولدينا أول دليل على ذلك في الدثار التجارية التي لا تذكر به هذه السلعة إلا نادرا . هذه الحقيقة أيضا صراحة كاليب عاتيا في عصرين متباعدين كثيرا أحدهما في الآخر بلاثيوس (٢٣٤) Match Pistons وجراسياني أورنو (٢٣٥) Garcia de Otero . ويمكن هذا تجد كثيرا جدا في الوثائق العربية اسم الصندل الأبيض ، وهو ذو عطير الخشب .

ويوجه عام كليا تحدث مؤلف عربي من خشب الصندل دون تخصيص فانه يعتمد صندل سانتالوم الأبيض . وما أن بدأت تصدلات العرب البحرية مع الهند والصين ، وذلك في العصر العربي ليمان كالة Kilah ، وسمرقند Straf ، كان خشب الصندل من السلع التي يفضل العرب شحها في السفن (٢٣٦) . وتبعيا لكتابتهم ، كان

-
- | | |
|--|---------|
| Pegol, p. 287 et s., 397 . Uin, p. 24, 25, 22, 111, 121, 122, p. 2, s. Second. Stat. Pls., III, 497 . Flückiger, Die Frankfurter Lsg's, p. 11. | (٢٣٧) |
| Ritter, Indik., V, 221 et s. | (٢٣٨) |
| P. ex à Ceylan (Relat., p. 50), dans l'Indo-Chine à Tenasserim (Vardhana p. 124, b.) | (٢٣٩) |
| Isao ben Oroun dans Ibn Belkar, II, 122. | (٢٤٠) |
| Dans les Indes, v. G. de Otero, p. 172. | (٢٤١) |
| Circa insana, p. cedilla. | (٢٤٢) |
| Dans Clus., p. 172 et s. | (٢٤٣) |
| Relation, p. 23 et s. : Detaché, p. 24. | (٢٤٤) |

حشب الصندل يرد في حرر المحيط الهادي (٢٢٧) * وفيما بعد توغل الأوروبيون فاحصل جرد عالميا . واكتسبوا معلومات أدق عن هذه الأصناف ، وعرف عندئذ أن جزيرة Timor هي التي تحتوي على أكبر عدد من مزروعات شجر الصندل الثمين ، وهي التي تورد بهذه المادة عند الضرورة سكان سوغطرة ، وجاوة ، وملقا (٢٢٨) . ويقول بعض المؤلفين أن هذه المادة موجودة أيضا في هذه الجهات الثلاث (٢٢٩) . غير أنه يحتمل أن ما يصل منها إلى أسواقها سلعة تمر بها مروراً عابراً ، وليست من إنتاج البلد نفسه * فمثلاً عن ذلك فإن « السانتاليم البيم » ينطى مساحات شاسعة في كل من الهند وبنسبه جزيرة الهند الصينية (٢٣٠) ، وما يبدو منه على سلاسل التلال الحاذية لساحل ملبار هو من النوع الممتاز (٢٣١) *

وفيما يختص بالصندل الأحمر ، يلاحظ أن الحشب المطري من « سانتاليم البيم » يتخذ أحياناً صبغة حمراء ، وهذا بحالة ليست نادرة . وعلى ذلك يبدو من المحتمل كثيراً أن تأتي أصناف حشب الصندل الثلاثة التي تظهر ضمن السلع التجارية في المصور الوسطى من نوع واحد فقط من الشجر . ومع ذلك لا يمكن الجزم بصحة هذا الرأي * بأصناف الصندل الأحمر Santali Rossi كانت ترد إلى الغرب بكميات أكبر بكثير من كميات الصنفين الآخرين (٢٣٢) : وكثيراً ما ذكر هذا الحشب على أنه حشب ملون ، مثلاً على أنه عنصر يستعمل في تلوين الصبغة ، الخ . والحشب المستعمل في هذه الحالة هو مايسمونه Pterocarpus santalinus Linné . ولم يرل يساع في وقتنا الحاضر باسم حشب الصندل الأحمر (٢٣٣) * وقد رأى كوتشي Couthu الشجرة التي يؤخذ منها هذا

(٢٢٧) Measoud, I, 222, 241, III, 26, Edisi, I, 82; cf. Crawford, Dictionary of The Indian archipelago (1856), au mot Sandle wood, (٢٢٨) Knorr, p. 81; Barbosa, p. 317, a, 318, a, 323, b, Pined, p. 171; Garcia de Orta, p. 173, Federici, p. 301, b, 387, a, (٢٢٩) Ibn Khurdadbeh, p. 238, Carte catalane, p. 137; Fier da E. S. Stefano, p. 265, a, Verhema, p. 118 a, Gemelli, Viagret, Ital., p. 186.

(٢٣٠) ينكر كوتشي جنس خاص من ملكة سيام (ص 1٥) ، وينكر لاريتما ملكة بورنيو (انرجع السابق)

(٢٣١) Winter Erdk., V, 816 et st., Reys, Alterth. der Indischen Medizin, p. 82.

Feg p. 377. (٢٣٢)

Flückiger et Hombury, Pharmacographia, 2e éd., p. 122 (٢٣٣) et st., 128 et st.

الخشب على طريق التركي Dekko على ساحل كروماتيل (بالهند) ،
ورأي هيرونيمو داسكالت مستريانو Hironimo da S. Stefano أستاذًا كثيرة
منها على هذا الساحل سنة (٢١٤) ، ولكنه يعتقد بوجودها أيضا في
أجزاء أخرى من الهند وسيلان (٢١٥) .

خشب البقم Bois du Bréq

خشب الصفد الأحمر وخشب البقم هما أشهر أنواع الخشب الأحمر
التي تشتملها الهند . وخشب البقم من جنس « الساباب » (من
الصفيلة القرنية - لترجم) Costapona Sappan (٢١٦) .
ويسمى التجار العرب باسم « الشقم » ، ولونه الأحمر في الغرب يجعله
شبهيا بالجزر (bragia, brascia, braso, brasse) ومن ثم أطلق عليه
بطريق القياس اسم bract, brasilien, bracte (٢١٧)
ومن أسماء الإيطاليين (٢١٨) beri (berzi, berzi, verzi, verzio) —
وبقيت التسميات bract, verzio على الأكثر شيوعا . ومن غير المحتمل
أن يكون هذا الخشب قد استوردته العرب قبل الحروب الصليبية . وأول
مثل معروف لظهوره في أوروبا ، ورد ذكره بوجه عام مقرة في وثيقة لعام
١١٩٤ بخصوص الرسوم التي يتعين على سكان بولونيا دفعها لجسرك فيراي
Ferrare (٢١٩) . وأشر إلى وثقتين سابقتين عن الوثيقة المذكورة ، دون
أن تؤكد أنهما أقيم الوثائق في هذا الخصوص ، وهما لائحة تاريخ
١١١٠ بخصوص الميراث العامة لمدينة جنوا ، وامتياز الكونت ميليب
دي فلامر يسع به سوقا لمدينة ميوبورت بالفلاند (٢٢٠) . وبالنسبة

- (٢١٤) Conti p. 88 ; Hiron., p. 248, b.
(٢١٥) Almeida, Materia Indica, I, 285 et s.
(٢١٦) استند هذا الاسم على الكلمة الإيطالية سابانج *sapang* **لنظر** :
Macedon, Hist. of Sumatra, p. 85 ; Les en, Indische Aetherh., IV,
930, not.
(٢١٧) Dorengo : Bract, Bragia.
(٢١٨) ينسوس هذه الأسماء الثلاثة الاستعمال ، أصل التاريخ التي
M. Bonaldi, Stat. Pis., III, 405, 113, 246, 501 et s. ; Messinger Zel-
indie, I.e., p. 78 ; Taf. et Thom., II, 238 , III, 445 , Archiv. Vespel.,
XVII, 89 , Mus. Latre, Hist. de Chyren, II, 138, 462 ; Letire de
Mémorialle, publi. par M. Kuntmann dans le Mémorial-gol. Ann., 1856,
Bulletin der Akad., p. 173.
(٢١٩) Muratori, Anliq. Ital., II, 894.
(٢٢٠) Lib. for., I, 71 et s. , warchönig, Flandrische Staats- und
Recht gesch., II, 2, p. 80.

لتاجر محك ، لا تكفيه التفرقة بين حشب اليقم وحشب الصنبل الأحمر
Sandal rose (٢٥١) : لا بد له ان يميز مختلف حشائش حشب اليقم -
وتحتلف هذا الحشائش تبعاً للشجرة التي تأتي منها ، ان كانت شجرة بريد
أو مروعة (٢٥٢) ، وتبعاً لبلده الذي أتجه - وفي هذه الحالة الأحمر يميز
سجبولوني بين
le verzinno semet, le verzinno ameri, colombino
ويصفها تبعاً لصفاتهما بالترتيب الذي أتشرا اليه ففي تقديره ان قيمة
الثاني لا تبلغ الا خمسة اضعاف قيمة الأول ، وقيمة الثالث ثلث قيمة
الأول - والأول لونه أحمر باصع ، والثاني احمر داكن ، والثالث أحمر
مائل الى الصفرة (٢٥٣) - وإذا نحى بحثنا في أصل الأسماء التي أطلق
على أنواع حشب اليقم المختلفة ، نجد أن المسألة بالنسبة
لـ Verzinno colombino بسيطة ، لا صعوبة فيها فهذا حشب وارد من
كولم (٢٥٤) ، والواقع أن اسم Colombo في اجبال الرحلات ، وحوادث
العصور الوسطى كثيرا ما يقرأ بدلا من اسم كولم (Colum) -
ويسمى ماركوبولو هذه المدينة Colina ، ويضيف أن في مجاوراتها
يمسوا نوعا من الصنبل الأحمر باسمه كولوني coluni -
قياسا على اسم البلد الذي ينتجه (٢٥٥) - ويذكر كثير من المؤرخين العرب
إفصا حشب اليقم من كولم ، اما بتسجيل ما رواه بأنفسهم ،
واما بالاستشهاد بما كتبه آخرون (٢٥٦) وليس من السهل أن نشرح
معنى الكلمة ameri (almeri) ، هذا الاسم يذكرنا أولا بحمل
الأمري El-Amri الذي يحاذي الساحل الجنوبي للهند قبالة
سلطان ، إذ يمسو حشب اليقم هناك بفرقة ، ويصفون الى جهات بعيدة (٢٥٧)

Pegol, p. 361, 377. (701)
 "Vernino salvatico, dimatico" (sic), p. 386. (707)
 Pegol, p. 361, les Segreti per colori (manuscrit de Bologne, (707)
 XV siècle) publi. par Merrifield, Original treatises, p. 441, 385, dans
 Uzzano, p. 89, 111, 114 et dans Chiarini, p. lxvii, cxxxv, b.
 gingembre زنجبيل + coumelle زعفران (705)
 Ed. Foulbier, p. 648 et s. (709)
 Abou Douf p. 23; Karstni, dans Elliot, Hist. of India, (706)
 I, 96 ; Aboulfeda, dans Giddens ler, p. 91 ; Ibn Batouta, IV, 99.
 Eritah. I. 134. (704)

قد يكون في هذا تفسير للاسم ، ولكن هناك تفسير آخر يبدو لي أنه يستحق اعتياداً خاصاً . فليس البلاد المنتجة للخشب البقم يذكر كتسمية المصور الوسطى كثيراً جريدة موهظرة (٢٥٨) ففي قسم من الجزيرة يواجهه الهند توحيد منطقته تسمى لاموري Lamori (٢٥٩) أو Lamori (٢٦٠) ، Lambro (٢٦١) ، Lamu (٢٦٢) كانت تنتج خشب البقم بكثرة ، ويتحدث عنها ماركو بولو ، وقد أحضر بنفسه بعض البخور ، وأراد أن يزرع بها منها شجرة بقم بالبنغالية ، ثم إن محاولته هذه ، لو أنه قام بها عملاً لكان مصيرها الفشل عند البداية . والآن ، هل لنا أن نذكر عدد الكلمات الأصبية المبنية أو المبنوية أو المبنوية بحرف ط والتي حذفت منها اللغة الإيطالية حرف ط هذا باعتباره حرف جر وليس جزءاً لا يتجزأ من الكلمة ؟ هذه الخمسة توصف لنا كيف أن كلمة Lamori قد تحولت إلى Amari ، وثلاث ملحوظات بكلمة almeti التي ذكرها كياريي Chiarini والتي بقي بها حرف Z . أراي اني أميل إلى تأييد رأي السيد Yule « يولي » . هذا العالم يسلم بأن البلد المنتج للونق الثاني من خشب البقم هو المنطقة التي سماها ماركو بولو لاميري Lambri ، أما كلمة ميني Mene التي تصف النوع الثالث من خشب البقم فلا يبدو لي أن لها صلة باسم الصبي ، ولا أريد بذلك القول بأن الصبي نفسهها تنتج خشب البقم Bois de Sappan ، ولكن يبدو لي أنه يمكن الافتراض بطريق التباس بأن الصينيين كانوا يشحنون هذا الخشب على سفنهم من بلاد مجاورة لبلدهم ، ويحاوون إلى الهند ، ولذا في هذه الحالة إن نختار بين سرد نرجيل ميريوي Mergon (٢٦٣) والهند الصسة ، لأن الأصبية

- Bois, p. 7, 93, Ibn Khordadbeh p. 288, Edrisi, I, 78, Kan- (٢٥٨)
wini, dans Gêlgenstein p. 194, Aboulléda, Geogr., II, 2, p. 181,
Marston, Hist. of Sumatra, p. 86.
Oderico da Ferdinone, dans Yie, Cathay, II, 1er append., (٢٥٩)
p. XVI et I, 84, net.
Rachid-oddin, cit. dans Yule, I, 84. (٢٦٠)
M. Polo, p. 578, M. Yule, loc. cit., Pauthier, loc. (٢٦١)
Aboulf., Geogr., II, 2, p. 12. (٢٦٢)
Marquand, I, 338 , III, 98. (٢٦٣)
— ذكر ماركو بولو البلاد المنتجة للخشب البقم الجزيرة التي سماها ماركو بولو
Soutat (٢٦٣) وجرر nicobar (ص ٤٨)

تملك غابات كبيرة من شجر البقم *Caesalpinia Sappan* (٢٦٤) * وهي
 القريتي الخامس عشر والسادس عشر ، كشف^{٢٦٥} ثلثا ارتياد منطقة مسيريم
Ténasserim أن هذه المادة موجودة هناك (٢٦٥) ، ولم ترل موجودة
 بها (٢٦٦) ، وفي وبرة * غير أن إقليم (بيجو) *Pégo* (٢٦٧)
 وسيام ، وكوشين صبي قد تنتج هي أيضا هذه المادة *

وقد أتاحت لنا دراسة الأسماء التي ذكرها بيولوجي مختلف أنواع
 خشب البقم الفرصة لاستعراض معظم البلاد التي كانت هذه المادة تصير
 منها إلى العرب ، وراينا أن الأمر صحيح وثابت بالنسبة لبعضها ، ومحتمل
 بالنسبة للبعض الآخر * واستيعاد للموضوع يتعين علينا أيضا أن نصيغ
 أن مقاطعة قاليقوت (٢٦٨) ، بالهند ، وساحل ملبار بوجه عام (٢٦٩) كانتا
 تنتجان هذا الخشب للطباعة * وأخيرا ، وبخصوص هذه المادة كانت جزيرة
 سيلان تشمل أحسن الراتب الأول من حيث الكم والكيف (٢٧٠) *
 ويصرح ماركو بولو بأن خشب البقم في سيلان هو الأول من نوعه في
 العالم (٢٧١) . في حين يصرح سيولوتي العوق لخشب رقم كويان
 (كولم) ، ولا يذكر بالمرء خشب سيلان ، ولعل السبب في هذا الاعتقال
 أن هذه المادة تمر بسوق كويلون ثم تخرج منه متجهة صوب الغرب مصلفة
 بانتساج اليه *

Burr, Engk., IV 1000 , V, 118, 148.

(٢٦١)

— نذكر من ثمة أن كلمة في شبه جزيرة ملا كانت منذ عهد حكر مستودعا لخشب

البقم ، كما هي الآن مستغفرا *

Coët., p. 40 , *Botelho que fez ... Vasco da Gama*, p. 110; (٢٦٢)

Varthema, p. 184 , *Massari*, p. 28, *Federici*, p. 391, b.

Ottley, *Vegetable products of the Tenasserim province*, (٢٦٣)

dans le Journ. of the Indian Archipelago, IV, 60 ; cité par M. Badger
 dans son éd. de *Varthema*, p. 203.

Varthema, p. 180 a.

(٢٦٤)

Servigni, dans Ramus, I, 128, a.

(٢٦٥)

Coët., p. 40.

(٢٦٦)

Karwin dans *Gleichenstier*, p. 203; *Iba Batista*, IV, 156.

(٢٦٧)

— في عام ١٧٨٢ أراد أمير سنغالي أن يوزع الملائكة بين مله وبين مصر - فراحل

لهذا الغرض المصلان الآتين ، وذكر بين ما ذكره من حاصلات بنده خشب البقم - انتهى

Quatremère, 366m. sur l'*Egypte*, II, 385.

M. Fauthier, P. 385; *M. Rittier* (VI, 123).

(٢٦٨)

ويصل خشب البطم الى السوق في شكل جذوع شجر (مخرجة من اوراقها) ، ويجب ان تكون صلبة وثقيلة (٢٧٢) ويبدأ برع اللحاء والطبقة التي تاليه لانها عديمة الفائدة ، فتعزى القلب (الخشب الصلب) الاحمر اللون ، ومن هذا القلب تستخرج المسادة للثوبه بوسائل مختلفة (٢٧٣) ، ويحصل هذه المادة في تركيب صناعات للأحواج (٢٧٤) ، والوان للمبسات التي تزين المطبوعات ، وكانت مطبوعة نوع خاص للالوان الوردية ولكنها قليلة الاستعمال بمعناه الصحيح (٢٧٥) ، أما الخشب نفسه فانه يستعمل أحيانا في صنع الآلات (٢٧٦) .

الكافور Camphre

في عام ٦٩٨ ، عندما سقطت الملائك عاصمة الساسانيين ، وجدته القارة العرب في الضائم ، مع الطلور والتوابل مؤونة من الكافور ، ظنوها منجاً ، فقرأت هذه الحكاية الصغيرة قد على القاري أن العرب كانوا يجهلون كل الجمل هذا المقادير ، ولكن هذا غير صحيح ، فالواقع أن القرآن حمل في الحبة نبعاً من الكافور يند المؤمنين بشرب عطر ومغش حتى يطفئوا ظمأهم (٢٧٧) ، ثم ان مؤلفات الكتاب العرب في اصحاب اللوق الرابع ، ثمثال المشاعر امرؤ القيس الذي تالق في حضرموت في مستهل القرن السادس تدل على ان الكافور كان معروفاً من قديم الزمان في تلك المنطقة (٢٧٨) ، وفيما بعد حين قام التجارة والتجارة العرب

Peyrol, p. 381 et s. (٢٧٧)

Le Labor divers, vti. Musé. (p. 572) , Meerfield, Origine des drogues, p. 53, 441 et s. (٢٧٨)

Bernini, Stat. Pl. , III, 88, 131. (٢٧٩)

Masculi, Hist. de France, I, 323 (et notes), (٢٨٠)

في هذا الباب أيضاً استعمل خشب البطم في صبغة اللان والجلود . وفي مجرم استعمال في النباتات ، انظر : Hig, trad. de Cestre, notes p. 175. — En général, cf. Lib. sci., p. 745 et s., 748, 751-758, 760.

(٢٨١) مثلا ، لانيكروم المنطقة في المنطقة

(Leborde Les ducs de Bourgogne)

وفي الترابيل الصغيرة (Guille, Livre des moeurs, p. 104) ، وفي الترميم (Buc, p. 173).

(٢٨٢) الارز ، ترجمة كازيميرسكي (سورة الانسان ، الايتان ١٠٠) .

Fückiger, Zur Gesch. des Kampfers, dans le N. Report. (٢٨٣)

f. Pharmazie, de Buchner, XVII (1895), p. 28 et ss.

رحلات الى الهند ، ثم الى الصين ، كان لزاما عليهم ان يبروا بالآزخبيسل
 الهندي ، وعرفوا في رحلاتهم المراحل التي يمر بها هذا الحصول ليعمل
 من المناطق الجنوبية في آسيا الى البلاد المشرفة على البحر المتوسط : كنج
 في شبه جزيرة مالقيا (٢٧٩) ، وكولم (٢٨٠) ، وسوفارا
 Soufara, Sofala (٢٨١) على الساحل الغربي للهند ، وسيراف (٢٨٢) على
 الخليج الفارسي ، وعدس (٢٨٣) عند مدخل البحر الأحمر ، ورازوا البلاد
 التي يخرج منها الكافور وشهدوا بأعيانهم الشجرة الحبيبة التي تحتويه،
 واستغلوا بظلمها (٢٨٤) ، وعرفوا ان الكافور يحصل عليه إما سائلا من
 حرار في لحد الشجرة حتى تسيل منها الصمارة ، وإما صلبا باستخراج
 الراتنج المتحد في جذع الشجرة (٢٨٥) ، ويجلبونه الى بلادهم إما كمادة
 خام على حالته عند حروجه من الشجرة ، وإما مصفى ومتمى ، وعلى هذه
 النحو كان في وسع الأطباء وعلماء الطبيعة العرب ان يكون عندهم ، وتحت
 عيونهم مجموعة متنوعة من مختلف أصناف الكافور ، صنفوها متخدين
 أساسا لتصنيفهم إما موطنها الأصلي ، أو لوها ، أو خصائص
 أخرى (٢٨٦) ، فمن جهة المصدر اتفق الجميع ، من رحالة
 وجغرافيين (٢٨٧) على القول بان كافور فيمسور Felsour في جزيرة
 سومطرة يفوق سائر أنواع الكافور ، وعموما يذكر المؤلفون كثيرا علم
 الجزيرة على انها بلد الكافور الأصلي (٢٨٨) ، وان أشهر منطقة تنتج
 أجود صنف من الكافور هي منطقة فيصور (٢٨٩) ، وتطلق عليها صنفقة
 أسيار مالبيزية اسم بازوري Pasouri ، وتسمى البحث عنها على

-
- Relat., p. 88; Édrisi, I, 80; Aboulf., Géogr., II, 2, p. 132. (٢٧٩)
 Abou Doief, p. 24; Karwin, cit. dans Éléments, Hist. of India, (٢٨٠)
 I, 55.
 Ibbok Ibn Omran voy. Journ. Asiat., 4e série, VIII, 313. (٢٨١)
 Ismaïchri, p. 71, 74. (٢٨٢)
 Édrisi, I, 81. (٢٨٣)
 Maqoudi, III, 66; Ibn Khordadbeh, p. 287; Karwin, dans (٢٨٤)
 Glidemeister, p. 194; Ibn Batouta (IV, 241); Mayer, Gesch. der
 Botanik, III, 329 et s.
 Ibn Khordadbeh. l.c.; Abou Doief, p. 26; Karwin, l.c. (cf (٢٨٥)
 l'application donnée par Duhaucier dans le Journ. asiat. l.c., p. 216).
 Duhaucier, l.c., cf Chano-eddin, p. 127. (٢٨٦)
 Relat., p. 7; Maqoudi, I, 338; Karwin, dans Glidemeister, (٢٨٧)
 p. 209; Hans Thibé, I, 1, p. 406; Chano-eddin, op. cit., Abouléda,
 Géogr. II, 2, p. 127.
 Relat., p. 83; Édrisi, I, 74; Karwin, dans Glidemeister, (٢٨٨)
 p. 194; Chano-eddin, p. 206.
 Not. et extr., XXVI, 1, p. 139, 236. (٢٨٩)

الساحل العربي لجزيرة ، شمال خط الاستواء بقليل (٢٩٠) ، بعد
 هناك أيضا في الوقت الحاضر كافور ياروس ، وهو الأسود ،
 أصنافه كلها ، وثمة صنف آخر يحظى بتقدير كبير ، ذلك هو كافور
 هرج Herodotus ، أو الصبي الصغيرة ، وهو اسم يطلق دون شك على
 بوريو (٢٩١) ، ويقول ابن سينا أن شجر الكافور يشو أيضا في
 الصبي (٢٩٢) ، وهذا صحيح ، فقط ينبغي إضافة أن كافور الصبي
 (مثله مثل كافور اليابان) لا يأتي من نفس شجرة كافور مسومطرة
 وبوريو . فالأول يستخرج من شجرة اسمها (المنس) :
Cinnamomum camphora Nus (ساموم كامفوزانيس) والثاني من
 شجرة اسمها : *Dryobalanops aromatica* Goertn

في المملكة الباثية ندر بوعان من الأشجار التي تنتج الكافور ،
 ولكنهما متبيران . وقد اكتشفت عند الحقيقة فصل العلم الحديث ،
 ولم يكن لدى العرب أية فكرة في ذلك . أكثر أو أقل في الأوروبيين الذين
 قاموا في العصور الوسطى برحلات إلى الهند والصين .

ولاشك أن ماركو بولو قد جند المجال الخاص بكل من النوعي .
 وهو حين يتحدث عن إنتاج الكافور في المنطقة الواقعة بين فوجي
 (فونتيو Fou-Tchéou) وزيتون (زائسون Zaisun) تشيون -
 تشيو (Tsiouan-Tchéou) ، وهي في الوقت الحاضر إقليم فوكين
 Fo-Kien الواقع جنوب الصين قبالة جزيرة فرموزة ، لا يفسدج من
 طاق كافور ساموم *Cinnamome* أو اللوربية *Laurifolia* (٢٩٣) .
 وفيما بعد ينتقل يسا إلى مجال كامور *Dryobalanops* حين يصف
 مقالمات لامبي *Lambel* ، وعانسور *Panour* بحسرية
 مسومطرة ، وذكر باهتمام أن المقلمة الأولى تنتج كالورا بكيات كيرة ،
 والثانية تنتج أجود كافور في العالم . ويقول أنه يباع بين شمال
 جدا (٢٩٤) . ونحن نعرف من قبل مقلمة لانسور ، فهي فيروز ،
 عند العرب .

Dunrozier, dans le Journ. asiat., c. p. 181,

(٢٩)

Dunrozier ibid. p. 218.

(٢٩١)

Dunrozier, ibid., p. 218 et s.

(٢٩٢)

P. 537 , Cf. la note de M. Yule, dans son éd. de M. Polo,
 II, 187,

(٢٩٣)

P. 576, 577

(٢٩٤)

أما مقاطعة لامبري فانها تخرج في القسم نفسه من الجزيرة ، ولكن
 الى الشمال ، صوب دايا Daya ، وهناك نزل برا اليشر أودريكو دا
 بوردوني Odrico da Pordanone قادما من ساحل كراماندل ، ووجد
 في هذا البلد ذهبا ، وحشيش الحصى ، وكافورا (٢٩٥) . ويذكر كوشي
 Coati أيضا في أسفار رحلاته ، وفي بعض حواشي المصور الوسطي
 كافور سومطرة (٢٩٦) . ووجد كوشي في طريقه ، وهو يظن بمسلكة
 سيام ومساحل كمبوديا شجر الكافور (٢٩٧) ، ولا شك أن الأمر هنا
 يتعلق بكافور سيام Cinnamomum Camphora

قلنا أن هناك ، الى جانب سومطرة جزيرة أخرى تنتج كافورا هي موع
 Dryobalanops (٢٩٨) تلك هي جزيرة بورنيو ؛ ولم يوجه الأورسوس
 أنظارهم الى هذه الجزيرة الا بعد أن استنتجت السيانت البرتغالية على
 الهند ، وكان كافور هذه الجزيرة يصل الى الهند عن طريق ملقا ، ويحظى
 هناك بتقدير كبير (٢٩٩) .

ومن المفيد أن نعرف مصدر الكافور الذي يستورده الفرييون في
 المصور الوسطي ، إذا كانت السوق الأوربية تزداد تقلص مكانور
 اللورييه Laurées كما تعمل الآن ، لأن كل ما لدينا من كافور يأتي
 من السايان وجزيرة فورمورا ، أو أن الفريين ، كانوا يتلقون كافور
 Dryobalanops أيضا ، وفي وقتنا الحاضر يتصرف هذا المصنف كله
 في الشرق . ولا جفوى من البحث في مؤلفات بيجولومي ، أو لورادو
 Jzanno وعربا ، فهم صابون صمغا ثابا في هذا الشأن (٣٠٠) .
 ولا يوجد في الوقت الحاضر أشجار كافور من المصنف الثاني الا في مناطق
 محدودة بجزيرتي سومطرة وبورنيو ، ولكن يبدو أنها كانت فيما مضى
 تغطي مساحات أكبر بكثير ، وأن معددها أخذ يتناقص شيئا فشيئا مع
 ازدياد الطلب على ما فيها من رائحة . ولأسوء الحظ فإنه يتحتم قطع
 الشجرة نفسها للحصول على الكافور الصلب الموجود في جذعها ، ويحب

Odrico, dans Yule, Cathay, II, app. 1, p. xvi et s., Cf. les notes du vol. I, p. 84. (٢٩٥)

Coch. n. 40 ; Carte coch., p. 177; Fra Mauro, p. 88. (٢٩٦)

Coch., n. 48 ; Kuntzmann, p. 24-26. (٢٩٧)

Barboza, p. 318, h. (٢٩٨)

Verthema, p. 108 s., Barboza, p. 320, s. ; Soezmar, p. 334, (٢٩٩)

a. ; Strabo, p. 238; Pigafetta, p. 138; Federici, p. 397, s. (٣٠٠)

M. Finkiger and Hambury, Pharmatographia, 2e éd. p. 510 et ss.

أحيانا قطع عشر شجيرات حتى يكون من بينها شجرة تحتوي على اللدنة النسيبة (٣٠٦) . وفي المصور الوسطى كان اساج كافور *Diyoelanops* أكثر وفرة من النساج في الوقت الحاضر ، وكان اليهود والمسيحيون يشترون منه كميات هائلة من سوطرة وبوريو ، ويستعملونه إما في سحيط عوامهم أو يعلون أصنامهم (٣٠٢) ، ومع ذلك كان يبقى بعد قناد كميات كبيرة منه شيء قليل لعرب . وعلى أية حال كان العرب يتلقون على الأقل كافور فيصور *Fefsoz* وقد عثر على قطع كبيرة منه في كنز الخليج الفارسي المستنصر بأثر (٣٠٣) . غير أن كافور *Dryob* كان غالي الثمن جدا . وقال ماركو بولو إن كافور فانسور *Fansour* (مصور) يباع بسعر مرتفع للغاية . وفي عصر جارسيا دي أوربي ، كان كافور بورنيو يساوي مائة ضعف ثمن كافور الصبي (٣٠٤) . أما في الغرب فإن هذا الثمن المرتفع أصلا في البلد المنتج ، كان يزداد ارتفاعا بعد اشتتال مصارييف النقل والرسوم الجمركية . وشيئا فشيئا ، وبالتأكيد ابتداء من القرن السادس عشر ، لم يعد هذا الصنف يرد إلى الغرب ، وكان لابد أن تنبع السوق الأوروبية *laurinés* وهو أقل جودة ، ولكنه أيضا أقل ثمنا . وكان من الثابت على الأقل أن ما تنقله السوق الأوروبية باسم كافور بورنيو - أن كانت تتلقى بالفعل شيئا منه لم يكن حاليا من الثواب (٣٠٥) .

كان اسم الكافور في كل قوائم السلع النشائمة في تجارة المصور الوسطى طاهرا وحده دون أية تعوت لعدم مصدره ، ويظهر أحيانا في شكل (اسمه العربي) (٣٠٦) ، وأحيانا بالاسم *cafiara* (chaffera) (٣٠٧) المختص من اسمه اليوناني ، وأحيانا بشكل مقتبس من أصله الأول

Marsden, Hist. of Sumatra, 2e éd., p. 180.

(٣٠٦)

Belaï, p. 36, 36; Barbosa, p. 333, a.

(٣٠٧)

(٣٠٨) ترجع هذه القائمة إلى القرن الخامس عشر ، وقد نظرها السيد كاتير تما

الفريري

M. Quatremère dans ses Mémoires géogr. et hist. sur l'Egypte, II, 384 et ss. Chap. Exot. p. 161;

(٣٠٩)

Marsden, Hist. of Sumatra, p. 181 et s. ;

قارن لاسمار التي ذكره في : Crawford, Hist. of the Indian Archipelago, I, 413 Hensbury, Science papers, p. 324.

Garcia de Orta, 1e ; Federici, 1e.

(٣٠٥)

Asiatic de Jérus., II, 178.

(٣٠٦)

Presl p. 204, 276 etc.

(٣٠٧)

Karpura (٣٠٨) وهي كلمة سنسكريتية ، أتدجت فيها اللغات الجرمانية
الجرمانية الرومانية بدلا من حرف *r* حرف *m* أو *n* (٣٠٩) *

وكانت مدرسة سالرنو (بإيطاليا) قد أدخلت الكافور هي مادتها
الطبية ، مقتفية في ذلك أثر الأطباء اليونانيين والعرب . وأسفر هذا
التبني في المصودر الوسطي عن نينجتي . فسمي جهة ، دجنت معرفة هذه
المادة في نطاق دراسات التاريخ الطبيعي (٣١٠) ، ومن جهة أخرى تروقت
حواليت المطارين والبيوت الى حد ما بهذه المادة (٣١١) *

القرفة Cannelle

في المصادر المتعلقة بتاريخ التجارة ، تذكر قشرة شجر القرفة
تارة باسمها القديم *cinnamomum* أو بالاختصار *cinnamon* أو
cannona ، وتارة بالاسم الأحدث « كانيللا » *cannella* ، مصغر
canna ، وأحيانا تحصل المصادر الاسمي متجاوزين ليكونا اسما مركبا
cannella di cinnomo (٣١٢) والاسمان مترادمان في رأي
بجوليتي (٣١٣) . ولكننا نجد في تعريفة حبركية اسبانية لعام ١٢٤٣
للمادتين *cinnamomum* و *cannella* مشيرتين اختلعا في الأخرى (٣١٤)
مما يشك أنه كان يميز اسما لكل منهما معني مختلف عن الآخر ، وفي
كتاب انجلري بمراب *Books of Nature* يفرق المؤلف جون راسل
John Russel (في القرن الخامس عشر) بين السياموم ، والكائسل
فألا ان الأول أكثر صفاء وأقل ثمنا من الآخر (٣١٥) . ويبدو ثمنا لذلك
أن الاسم الأول لابد أن يكون مطبقا على قشرة شجرة القرفة *cannelle*
الأصلية ، في حين يطبق الاسم الثاني على الكاسيا *cassia* (سبا)

- | | |
|--|-------|
| Mohr, <i>Etymol. Untersuchungen</i> , p. 136 et s. | (٣٠٨) |
| Um., p. 19; Taf. et Thom., III, 444. | (٣٠٩) |
| Riddegger, <i>s. über physiol.</i> , II, 8, vey l'étude de M. Reuss sur
ce ouvrage (Würzburg, 1885), p. 35; Otto Cronm., éd. Choulant
(dans son édition du <i>Maced. floridu</i>), p. 181; Albertus M., <i>De Vaga-</i>
<i>tabulus</i> , éd. Meyer et Jessen, p. 401 et s. | (٣١١) |
| Flückiger, <i>Die Frankfurter Liste</i> , p. 11 ; <i>Das Spandlinger</i>
<i>Register</i> , p. 5 ; <i>Comptes de Varg.</i> et c ^{tes} , éd. Dureau d'Arcey, p. 213 | (٣١٢) |
| <i>Archivio Stor. ital.</i> , 3e série, T. XII, 2e part., p. 38. | (٣١٣) |
| Capmany, II, cap. 16. | (٣١٤) |
| Pagel p. 301, Vaihena, p. 163, s. | (٣١٥) |
| Flückiger and Hanbury, <i>Pharmacographie</i> , 2e éd., p. 529. | (٣١٥) |

ويبدو أن القرفة لم تكن سلعة عادية في الغرب في أي عصر من العصور الوسطى . وثمة اعتبار مسحة شديريك الثاني *Chilperic II* (من ملوك الفرنجة الميروفنجيين - المترجم) في عام ٧١٦ (٢٦٦) يشهد بأن هذه المادة كانت في عهده ترد إلى فرنسا عن طريق مصب نهر الرون . كذلك تظلمنا خطابات مكتوبة في أواسط القرن الثامن على القرفة التي يرسلها رجال من الكنيسة الرومانية عذايا ، مع اللؤلؤ والبطور إلى أصدقائه لهم في ألمانيا ، كما يرسلها رجال من الكنيسة الألمانية إلى زعماء لهم في إنجلترا (٣١٧) ، وكعبة من التوابل مهيطة إلى ششارل (المدني) تحتوي على قرفة (٣١٨) . وفي مرسوم ملكي مدرج في ال *Formules de Marculf* إشارة لارسل إلى الأمر للمساقرين أن يطلبوا ثيابهم بنج ما يطلبوه قرفة . وكان الأطباء يوصفون ، عن يقين ، على أن يكون لدى المطارين دالاب راد من القرفة (٣١٩) . وكان يستعمل على نطاق واسع قرفة مسحوقة ، تستعمل كتأيل في الأظفحة الملوحة . وفي أعداد النبيد المطر (٣٢٠) . وكانت القرفة موسوعة في كل حواشي الشرق الأدنى . وسبق كان التجار العربيون يواصلون رحلاتهم إلى داخل القارة الآسيوية ، كان في وسمهم أن يشتروا القرفة من طورس ، وسطانية ، وسمرقند (٣٢١) . ومع ذلك كانت اللزفة مصنعة حسب السائح غير الزائرة التي يفضل تصديرها بطريق البحر ، بدلا من نقلها شمس الرحلات البرية الطويلة (٣٢٢) . لذلك كانت القرفة متوفرة بدرجة كبيرة في سوق الإسكندرية ، وتصل إليها عبر المحيط الهندي ، والبحر الأحمر والبل (٣٢٣) .

Pardessus, *Diplom.*, II, 338. (٢٦٦)

Jarrod, *Bibliotheca rerum germanicarum*, III, 113, 126, 126, 214, 218. (٢٦٧)

Formulaire de l'évêque Salomon de Constance, éd. Dümmler, p. 37. (٢٦٨)

John de Garlandia, *Diction.*, éd. Scheller, dans les *Lexicogr* tal du XII et XIII siècle, p. 28. (٢٦٩)

Ménager de Paris, II, 107, l. 1 et 2, 248 et 2, 273 etc. (٢٧٠)

Traité de cuisine, éd. Douet d'Arcoq, l.c., *passim* , *Book of nurture*, l.c. , Douet d'Arcoq, *Comptes de l'argenterie*, p. 126 , *Annal. Crecen.*, a. 1198.

Pegol., p. 27, 44, 48, 44 et 2, *Asia. de Jénna*, II, 173; (٢٧١)
Opione, v. 28, *Ghislele*, p. 310, *Clavde*, p. 112, 121

Reuul., *Secr. fid. crun.*, p. 28. (٢٧٢)

Mérisal, I 51, *Pegol.*, p. 50 et 2, 230 , *Bonaini*, *Stato Pl.* , III, 321 *Tucher*, p. 271. (٢٧٣)

ولا يبدو من البحث في الكتب المتخصصة لتجار الغريبي في أية إشارة إلى البلاد التي يرد منها أساسا هذه المادة ، فليس فيها أي بيان عن ذلك . واسم القرفة في اللغة الفارسية هي « دارعيسى » *darichon* ومصاحفا حشب المسكي ، وانتقلت هذه الكلمة إلى لغة العرب والأرمن (٣٢٤) . ويبدو أن هذا يدل على أن القرفة كانت تستورد من قديم الزمان من الصين إلى غربي آسيا . والواقع أن أصل إنتاج القرفة في ذلك البلد قد صاغ في عهود التاريخ الصينية (٣٢٥) . وقد وجد ماركو بولو قرفة في إقليم حدود *Gumdo* المسكي (٣٢٦) . ولم يزل هذا النبات ، إلى وقتنا الحاضر ينمو بوفرة جنوب الصين في إقليم *Koumgaï* (٣٢٧) . وبشفا عن ذلك ، فإن من بين المواد التي كانت السلع الصينية ترسو عليها عند إحداها إلى العرب ، كان بعضها على سواحل الهند الصينية ، والهند ينتج أيضا قرفة (٣٢٨) وكانت منتجات هذه البلاد المختلفة التي تصل في سفن صينية ، تطلق عليها كل من العرب والفرس اسم دارعيسى .

ولينا يتعلق بالقرفة ، فلودا تدعي الأفكار إلى جزيرة سيلان . والشئ العجيب أن هذه الجزيرة لا ذكر لها كمنتجة للقرفة لا عند كومباس *Codras* ، ولا عند الجغرافيين العرب من القرن العاشر إلى الرابع عشر ، ولا في أي مصدر شرقي في النصف الأول من القرون الوسطى ، في حين أن هذه المصادر لا نعتا تسمى على ما في الجزيرة من أشجار كريمة وعطور ، الخ (٣٢٩) . وأول من ذكرها في هذا الخصوص هو ابن بطوطة (القرن الرابع عشر) ، فقد علم هذا الرحالة عند زيارته الجزيرة أن سكان سواحل مينار وكريماندل يأتون طلبا لشتلات شجر القرميل ، وكان الأهالي يتركون لهم بلا مقابل الشتلات التي تجلبها السيول من الجبال الداخلية وترسيبها على الشواطئ : والقرار بهذا الكرم من جانب السلطان كان هؤلاء الزوار يقدمون له هدايا من ملابس وأكشياء

- Ritter Ind., VI 128 et s., Lassen, Ind. Altherth., I, 289 (٣٢٤)
et s., Gildemeister, Script. arch. de reb. Ind., p. 36 et s.
Flickiger and Hanbury, Pharmacographia, p. 328 et s. (٣٢٥)
Pols, p. 379, 373, 386. (٣٢٦)
Forster Smoth, Mat. med. and nat. hist. of China, 1871, p. 52. (٣٢٧)
Carle catal., p. 137, Barbosa, p. 216, a : (٣٢٨)
Cooley, On the regio cinnamomifera of the Ancient Journ. (٣٢٩)
of the R. Geogr. Soc., XIX, 31; Tennent, Ceylon (1869), I, 376;
Flickiger and Hanbury, Pharmacographia, 2e éd., p. 520, Schumann,
l.c., p. 46, 48.

أخرى متشابهة (٣٣٠) * وجده أيضا قرفة خاصة بهذا الموضوع هي مؤلفه لكتاب غربي سابق بحوالى عشر سنوات على أخبار ابن بطوطة . ذلك هو يوحنا دي مونت كوفينو Jean de Monte Covino المؤلف في مهمة إلى الصين (١٢٩٢ - ١٢٩٣) . فقام عند الوقت في الهند ، ومن هناك أرسل إلى وطنه ميمومات من هذه المناطق (٣٣١) * فهو يحكى أنه رأى في الجزيرة المجاورة ظنبار (أي جزيرة سيلان) كثيرا من أشجار القرفة التي تشابه في شكلها شجر الفار . وفي القرن الخامس عشر ، وصف كوتني شجر القرفة في سيلان وصفا أكثر دقة (٣٣٢) *

غير أن شجرة القرفة تنمو أيضا داخل الهند نفسها * فقد من ابن بطوطة وهو يصعد نهرا يصعب في البحر بين قاليقوت وكولم (كويون) ، من أمام مرارح قرفة ، ويلم (٣٣٣) وأيد بيامين دي توديل Benjamin de Tudèle الوصف الذي سجله ابن بطوطة ، فهو يحكى أن محاورات كولم تسج قرفة ، ولشهادته هذه قيمتها (٣٣٤) رغم أنه لا يحدث إلا ما سمعه * كذلك رأى يوس فان جيستل Joes van Ghisèle في عدن ما أسماه Cannelboom من نوع وصفه بأنه Colobe أو Velledja (٣٣٥) وسجد عدين اللتين عتريين باسم رنجيل كولم ، في شكل كولوميسو (كولول) Colombiao (Colobi) وبلدى Beladi والنتيجة التي نستخلصها من هذه القرفة هي أن أنه عرف ، ليس فقط رنجيل كولام ، ولكن أيضا قرفة كولام ، وأن شجرة القرفة في كولام قد توطئت أيضا في عدن وتكلمت فيها * وثمة أخبار أخرى تحكى عن وجود شجر القرفة في قاليقوت . (٣٣٦) * وباختصار ، مستخلص من مجموع أوصاف الساحل الذي تقوم عليه هذه المدن أي ماسيل ملبار ، أن المنطقة كلها تسج القرفة (٣٣٧) فقد ، أن محصول هذا الأقليم اشتهر در سوى التجارة بأنه أكثر حشونة من محصول القرفة في بلاد أخرى (٣٣٨) * فهذه القرفة حليط من قشور و الكبس : camia

- (٣٣٠) وذلك في مدينة بطانة *
 Den Batavia, IV, 165.
 Münch. gel. Anz, 189, no 22. , M. Schumacher, p. 59. (٣٣١)
 Conti, p. 39 , Cf le récit de ce même Conti, sous Tatar, (٣٣٢)
 p 160 et s.
 Den Batavia, IV, 80. (٣٣٣)
 Benj de Tudèle II, 148. (٣٣٤)
 Ghazelle, p. 228. (٣٣٥)
 Conti, p. 48, P. Alvarez, p. 38, a , Barbosa, p. 311, h. (٣٣٦)
 Marco Polo, p. 653 , Conti, p. 48 , Minors, p. 39 et s. (٣٣٧)
 Conti, p. 48, 48. (٣٣٨)

(السبا) (٢٢٩) ، وأنها سوع محل من « سيلانوم سيلانيكوم »
Cinnamomum Ceylanicum . ومنذ أول رحلة قام بها البرتغاليين
 إلى الهند عرفوا أن قرفة فاليتوط أدنى مرتبة من قرفة سيلان ، كما
 أنهم تيقنوا من ذلك بأنفسهم لأن الصنعة كانتا موجودتين في سوك
 فاليتوط (٢٤٠) . وقد يفسر هذا الفحص في الجودة إذا سلبا بأن
 زراعة شجر القرفة كان يعتنى بها في جزيرة سيلان ، بقلدها هو معسى
 بها في وقتنا الحاضر ، في حين أن الأحوال في الفترة كانوا يتركون الشجرة
 تنمو طبيعتها . غير أن الأمر ليس كذلك ، فمن يكن أحد يهتم بزراعة
 هذا الشجر في أي من الجزيرتين ، لم السبب في تعوي محصول القرفة في
 سيلان فهو جودة النبات نفسه . وكان لهذا الفرق أثره على الأسعار .
 ففي عصر جارسيا دي أورتو Garcia de Orta كان ثمن قرفة ملبار دوكا
 واحدا فقط لريممالة وطن ، في حين كان يدفع لقرفة سيلان عشرة دوكانت
 نظير مائة وطن (٢٤١) ، أي أربعين ضعفا .

ألا أن شجرة القرفة لم تكن تستعمل من أجل قشرتها فقط ؛ ذلك
 أن أهارما (٢٤٢) ، وأوراقها (٢٤٣) تحتوي على زيت أتيري ، وتساوي
 القرفة في رائحتها وطعمها ، مما جعلها مطلوبة في الأخرى في التجارة ،
 بل إن الأوراق كانت موضوعا لحركة تجارية مهمة تتطلب هذا أن نبحث
 عنها بقى من التكميل .

فكثيرا ما يتردد في وثائق العصور الوسطى ذكر نوع من الألياف
 العطرية التي يطلق عليها اسم *lilium* (وردة) أو *Houille foiege* ،
folgor (٢٤٤) ، وتستعمل في الطبخ لتتبيل اللحم (٢٤٥) .
 ولا شك في أن هذا الاسم لا يختلف عن الأسماء الأخرى *Folio Indu*

- F. Alvarez, p. 136, a , Barbosa, p. 811, b, 328 a. (٢٢٩)
 Estêvão da viagem que fez Vasco de Gama, p. 83, 109, (٢٤٠)
 Serinzi, dans Ramon, I, 130, a , Gubernator, Viaggiatori Italiani
 nella India, p. 154, 170, Le Journal d'un voyage au deuxième
 voyage de Vasco de Gama (Calcutta, éd. allemande, publ. par M.
 Gier, 1830, p. 18); Samuels, Diar, IV, 346; VII, 149.
 Clusius, Exot. p. 168 et ss. (٢٤١)
 Pagan, p. 137, 295, 375 , Uetz p. 28, Bartholinus Lappen-
 berg, Urk. Gesch. der Hanse, II, 443. (٢٤٢)
 Fleckiger and Henbury, Poenaeographia, 36d p. 833.
 Uetz p. 20. (٢٤٣)
 Bartholinus Lappenberg, II, 50, 448 Kautzsch, I, 380 , (٢٤٤)
 Carte catalana, p. 137 , Ghiesbreg, p. 333, 319.
 Petit traité de cuisine, éd. Douas d'Artois, p. 229 et s., 230 (٢٤٥)

folium indi التي لعبت دورا مهما في « غواماكوبا » (دستور الأدوية)
الزمان لثامن (٢٤٦) تُضرب مثلا واحدا لذلك - فقد كانت هذه الأوراق
عنصرا من العناصر التي تتحلل في تركيب « الترياق » (٢٤٧) - يرى
ما هي حقيقة « أوراق الهند » هذه - لقد أبدى البعض رأيين مختلفين يعتقد
أنه يتعين عليهما عرضهما قبل أن نبدي الرأي الذي نؤيده .

في أعقاب احتلال البرتغاليين السواحل الغربية للهند ، سمحت
الفرصة لأول مرة لدراسة انتشار الطبقي للهند ، دراسة متأنية ، وجرى
البحث عن النبات الذي ينتج أوراق الهند هذه . وكانت نتيجة البحث
التي أجراها ياربورا Barbosa ، ومؤلف ال *Sammaria* أنها
ليست إلا ورقة نبات تنساق يصرف باسم *betel* النسيبول ،
Chavice Betle Miquel ، وكان اليهود وقتئذ يخلطونه ، كما يخلطونه الآن
بجور « الفول » ، فيعجنون منه عجينة يشخولها بلقة (٢٤٨) - وقلا ،
في أواخر القرن الثالث عشر ، أثبت مسيون يابورسي Simon Jacuensis
هذا الرأي في قاموسه الخاص بالطب وعلم النباتات ، وعساه
Cavie Saunderson ، صرح منه « الأوراق » التي يحددها الزر أحيانا
في أسواق الغرب مع النسيبول والثمار التي تحملها ، وقال انه يتعرف
لها على أوراق النسيبول *tamboul* التي ذكرها ابن سينا ، ولم
يكن ياربورا يجهلها (٢٤٩) - هذا النبات ، *tamboul* في اللتين العربية
والفارسية هو اسم ال *betel* . وقد يقول البعض ان هذه الورقة لم
تستعمل أبدا إلا في عمل عجينة النسيبول ، وأن هذا الاستعمال مقصور
نوع خاص على سكان الهند : ولكن هذا غير صحيح ، فقد نشرتها
التجارة ليسا وراء حدود الهند ، فالواقع أنه في بقعة ال
Sammaria المذكورة بعاليه ان هذه المادة تصغر ال حرير وعسل وان
التعريفية البحرية لملكة بيت القدس التي ترجع إليها بين الفينة والفينة
بها بعد حامى بأفصان *(fistuch les festus)* ، وأوراق *la feuille*
dou tembal (٢٥٠) ، وعلى ذلك كانت ورقة النسيبول هذه تصل
ال عك ، ولم يكن بين عكا وأورو سوى خطوة واحدة . ولما كانت الورقة
الجمعة تحتفظ بأريجها المستحب ، كان في الوسع استعمالها كنوع من
التوابل في القصور التي لم يكن من عادة سكانها أن يضيفوا النسيبول .

Poizat, Histoire générale des drogues, I, 126 et s.

(٢٤٦)

Ghiusele, p. 188.

(٢٤٧)

Barnus, I, 228, b; 323, a.

(٢٤٨)

Ibid., 380 a.

(٢٤٩)

Actes de Juss, II, 176.

(٢٥٠)

وهي مقابل وبهية النظر هذه ، أيدي البعض حججا قوية تماثل بين الـ *Botis indo* ، وورقة التنبول ، كذلك كان الأطباء وعلماء الطبيعة العرب يدكرون ورقة معينة باسم « ورقة هندية » ، ولكن هذه الورقة مختلفة تماما عن الورقة التي نتكلم عنها هنا . على أننا نعرف العلاقة الوثيقة التي كانت موجودة في العصور الوسطى بين المصطلحات المستخدمة في الفارماكوبيا العربية والمصطلحات الطبية العربية ، ومن ثم ففى مسألة مثل هذه ، لابد أن تمت للمصطلحات العربية فى شأنها ، وبهذا الاسم *femille indienne* (ورقة هندية) يشير العرب الى ثلاثة التي يعرفها الفايونسيون والرومان باسم *malabathrum* والحقيقة أن سالماسيوس *Salmasios* (٢٥١) ، ودي هيرن *Hern* (٢٥٢) اتردا أن يمثالا بين الـ *Malabathrum* وبين ورقة التنبول ، الأمر الذي يؤدي بنا الى النتيجة السابق ذكرها . الا أن علماء اللغة والتاريخ الطبيين الخوفق يوم في العصر الحاضر ، يشتقون كلمة *malabathrum* من اللغة الهندية *petra* (ورقة) ، و *casia* (سياموم) كاسيا *cinnamomum* *casia* ويؤكدون أنها هي الورقة المروقة في التجارة بالاسم *casia* المستعار من اللغة الهندية الحديثة *teg pat* (٢٥٣) . فان كان الأمر كذلك ، دون أي مورد للشك ، فاما مسلم بأن التسمية *folio indo* تدل على أوراق بعض أنواع السياموم التي تنتج قرفة من النوع الشائع (٢٥٤) ، وهي أوراق لها مذاق القرفة المروقة ، ولم نرل تستعمل الى يومنا هذا في جنوب آسيا كمسحوق ومسحق (٢٥٥) .

هذا الرأي سبق ابداءه : مثال ذلك أن جارسيا دي أورثو (٢٥٦) يقر أنه على أولا أن الـ *folio indo* ورقة تنبول ، ثم غير رأيه ، وتبنى الرأي الذي عرضناه مد حجة صحيحة على وجه مفهوم أبقاره الى أن ابن سينا فرق بين الورقة الهندية وبين ورقة التنبول ، ونسب الى احدهما خصائص

-
- Exercitationes Philologicae*, p. 263 et sq. (٢٥١)
Historische Werke, XII, 164 et s. , et Abhandl. der Gesch. d. Wiss. zu Göttingen, I (1842), p. 4. (٢٥٢)
Lessen Indische Alterthumskunde, I, 288-302 , Nees ab Knecht, *De Cinnamomo disputatione*, p. 66 et s. ; Meyer, *Geschichte der Botanik*, II, 88, 108, 327. (٢٥٣)
Nees von Zornbeck *Ingenue en particulier de Laurus Cassia* et *Laurus Malabathrum*. (٢٥٤)
Koskeleiky, Medicinisch-pharmaceutische Flora, II, 487 et sq. (٢٥٥)
B. Clus., p. 175-178. (٢٥٦)

مشتقة من الأخرى كل الاختلاف (٣٥٧) . وثمة منافع عن الرأي المخالف ،
 وهو إيمانيس لوريتانس *Amatus Lusitanus* ، اضطر لأن يعترف بأن
 ما كان العطارون في عصر بيبومو باسم *malachucha* أو *folium*
indum لم يكن سوى أوراق شجر القرفة ، ومن السهل التعرف عليها
 بتسويتها (٣٥٨) . ويؤكد ذلك جيسن *Ghisbels* ، فبعد عودته من
 رحلته . أقر من مقال له بأن النشائي الغربي يطلقون على ورق ال
Candamome الذي رأوه من قبل في عدد اسم *follio (foliata)* (٣٥٩) .

الحيهان (كارداموم) *candamom*

كان « الكارداموم » (الحيهان) في المصور الوسطى شتلة رائحة
 في التجارة (٣٦٠) ، تستعمل إما كغذاء أو لتقبيل الأطعمة والأشربة .
 ويبدو أنه كان يصل بكمية إلى الغرب عن طريق عدن أو الإسكندرية (٣٦١)
 ذلك بحيث مملكة بيت المقدس ، وكان يمر أحيانا بمكة (٣٦٢) .

ولم يفسد التجارة ، كان يفرق وقتئذ بين ثمرة حيهان العذبات ،
 وثمره حيهان الحلو ، ويشي (٣٦٣) هذا الفرق أيضا في وقتنا
 الحاضر (٣٦٤) . ترى أي بلد كان هو مصدر الحيهان الوارد إلى أوروبا
 في المصور الوسطى ؟ كان معروفًا لدى العرب أن هذا النبات ينمو في
 جزر الهند السيبية (٣٦٥) ، فلم يكن ثمة ضرورة للمضي بعيدا إلى هذا
 الحد للعثور على حيهان حقيقي ، فالأنديارا كاردوموم مانون *Pistaria*
candamomum mason ينمو حيدا في مديار ، ولم يلبث كلرا وتمعا

Ed. Plémp., lib. II, p. 211, 227,	(٣٥٧)
In Director., p. 22.	(٣٥٨)
P. 222.	(٣٥٩)
Pegol., p. 226 et s.	(٣٦٠)
Edriz, I, 41 ; Barbosa, p. 220, b , Pegol., p. 27	(٣٦١)
Amis. de Jéru., II, 172.	(٣٦٢)
Pegol., p. 211, 226; Bonini, III, 522.	(٣٦٣)
Pfützinger and Hanbury, Pharmacopographia, 2ed., 643 et s.	(٣٦٤)
Macoull, I, 241; Edriz., 22.	(٣٦٥)

للؤلؤ الذي يستخرج منه معظم المعلومات عن هذا النوع ، كان
 الجيهان موحدا في كانبور ، Cananore ، ولندرابية Pandarab
 وتاليقوت (٣٦٦) . غير أن البلد الرئيسي للنتج له لم يكن ساحل ملبار
 الذي تم ترك القوم عليه هذه المدن ، فكان الجيهان موحدا إلى الخلف
 منها قليلا ، في سلسلة جبال غات Ghats وهي مطلقا كورج Kurg
 ووياند Wyand الإنجليزي (٣٦٧) حيث لم ترك منتجاتها تنتج إلى الآن
 بشهرة واسعة .

خيواشتر Cassia

اتاحت الفرصة للتجار الغربيين الذين يسافرون إلى الإسكندرية أن
 يتباحثوا في الحدائق المحيطة بالديانة أشجارا غريبة يتصل بها أنواع من
 المصبي أو السيقان (٣٦٨) : تلك هي الكاسيا فستولا Cassia fistula
 حيارشتر ، والسيقان هي مسبو (جمع صفة أو قرن ، وهو دواء
 كل ثمر - أو العود الجرد من الورق - الترحيم) النبات التي تصم لبايا
 دا مداني حلو ، ومسهلا حفيضا . كانوا يحدون هذه السنوف في أسواق
 المدينة ، وكذا في أسواق شعاط (٣٦٩) . والواقع أنها كانت من أشهر
 الثمار التي تدر على أرض مصر (٣٧٠) . وفي العصور الوسطى كان
 الناس بحاجة يصورون أنه ليس ثمة بلد آخر ينتج هذه الثمرة . وكان
 بيلوتشي يشاطر الناس هذا الاعتقاد . ومن جهة أخرى فإن النجدة التي
 كلمها البابا يوحنا الثاني والعشرين بدراسة ال *Secreta fidelium crucis*
 لسانوتو Sanuto أبدت رأيا بأنه إذا كان هو الوصيف - كما يقول
 المؤلف - الثرود عن طريق بغداد ، وطبوزيس مستحقات الشرق
 التي يمكن استلامها عادة في مصر ، فإن هذا الأمر لا يطبق دون شك
 على « الكاسية » ، ذلك لأنه من المعروف أن الشجرة التي تنسج تسمى في
 هذا البلد وحده (٣٧١) . ولكن هذا غير صحيح : فقد وجد الكثير من
 المسافرين الغربيين في العصور الوسطى هذه « الكاسيا فستولا » على

(٣٦٦) Edris, I, 179 , Varthema, I, 154, 156, Barbon, p. 311, a, b ;

Federici, p. 388 b; Masani, p. 37 , M. Yule (Cathay, II, 482).

Magdon et Weillbrecht, Das Kurgland (Stie, 1888), p. 17 et (٣٦٧)

Simon Simonis, p. 20 Sigoli, p. 182, Pilati, p. 332 , Harff, (٣٦٨)
 p. 70, Kiechel p. 338.

Pezzi, p. 68 et a , Paul, p. 54, a, 46, 66. (٣٦٩)

Sanuto, Secr. cruc., p. 34 , Ghiesb., p. 172. (٣٧٠)

Pilati, l.c., Sanuto, p. 3. (٣٧١)

مسواحل الهند الغربية (٣٧٢) ، وبخاصة في ملكي كنائز
وقاليقوت (٣٧٣) ، وحريرة حارة (٣٧٤) . بقي أن يعرف ما إذا كانت
« كاسيه » الهند متصل إلى العرب . ولست أجري أن أجيب عن ذلك
بالفي . ففي فترة لباربورا يصف فيها الحركة التجارية الهائلة التي كانت
قائه بين الهند ومصر قبل عهد السيادة البرتغالية ، يذكر الكاسيا مستولا
ضمن السلع التجارية التي تصدر من الهند إلى الاسكندرية عن طريق
عن والبحر الأحمر (٣٧٥) ، ويستخلص من هذا أن الحصول الهندي
كان يباع في سوق الاسكندرية مع الحصول لنجل .

وثمة العديد من الكتاب ذكروا العلامات التي يعرف بها الكاسيه
الجيدة النوع . وفي هذا الخصوص يميز بلاتيريوس Platerius
طبيب مدرسة ساليريو ، وبيجولوني التاجر الفلورنسي عن رأيهما بصارت
متشابهة (٣٧٦) . ليثول الأول أن السنفة (القرن) سميكة وشديدة
المواد ، ولا يصدر منها صوت حين ترح (٣٧٧) ، ويقول الثاني أيضا
أنها سوداء وسميكة ، وسليمة (أي ليس بها تشققات) وكثيفة ، وتلك
في رأيه هي علامات الشج القام .

« كبش » القرنفل Clous de girofle (٣٧٨)

في الحقب الأولى من العصور الوسطى (٣٧٩) كان القرنفل مستحلا
نكثرة ، اما كعنصر في تركيب بعض الأدوية ، ولما اكتسب في الطبخ
واعتماد الأثرية العطرية . وفي عهد الكارولنجيين نجد القرنفل في كل
مكان ، آفة ذلك مرسوم يبيع لرسل الأمراء المسافرين أن يطبخوا لهمهم
نقلا ، وقرقة ، وقرنفل ، وتوابل أخرى (٣٨٠) : وتذكره كتب الطهي

- | | |
|--|-------|
| Jocq. Catal, p. 46. | (٣٧٩) |
| Varthema, p. 158, b , Alvarez, p. 126 a , Barbosa, p. 313, p. 311, a, b. | (٣٨٠) |
| Barbosa, p. 310, a. | (٣٨١) |
| Barbosa, p. 310, p. | (٣٨٢) |
| Platerius, Ciren Insan*, p. ccccc , Pegol, 308. | (٣٨٣) |
| Collado, Hist. natur., et médic. des cases, Montp. 1816, p. 28. | (٣٨٤) |
| A. de Cudolle, Origine des plantes cultivées, 1832, p. 123. | (٣٨٥) |
| For. la note du M. Fickiger dans le Journal de pharmacie d'Al see — Lormé, 1885. | (٣٨٦) |
| Boulière, Recueil général des formules, 2e part., p. 384. | (٣٨٧) |

في ذلك العصر في وديعتها ، و يرى من ذلك أنه هي التوابل الضالعة
 للاستعمال (٢٨٦) . كل هذه المعلومات تثبت أن التجارة كانت تقتل
 بينه السلعة منه ومن غيره . فخصي عرف على سبيل المثال أن القرميل
 كان في عصر البرونزيين يجلب إلى فرنسا من طريق مضيق نهر
 الرون (٢٨٢) . وكان للمروبي السليبية بطبيعة الحال تأثير ملاحظ جدا
 لتجارة الاستيراد هذه . وطائفا بقيت مملكة بيت المقدس ، كانت عكا من
 الأسواق الرئيسية لهذه السلعة (٢٨٣) . وفيما بعد وصل القرميل إلى
 أوروبا إما عن طريق طوريس (تبرير) ، والسفطانية والقسططنطينية ،
 أو عن طريق مسند ، مكة ، والإسكندرية ، وقبرص (٢٨٤) . وكانت
 حوايت العطارين تحوي على كميات كبيرة من القرميل (٢٨٥) ، وكان
 أصغر بيت من البيوت البورجوازية يخبز أصعابه إذا حلت حزاة أطعمته
 من القرميل ، وذلك بسوة مبيوت الأمراء الكبار (٢٨٦) . وكانت القرميل
 من الإغارية المفضلة . فوضع في اللحم ، والسك ، والسجق ،
 والمجنينات ، وكذا في النبيذ الخليل (٢٨٧) . ثم أن هذه المادة احتفظت
 دائما بنس مرتفع ، فخلع لشرائها عندها أو ثلاثة أصعاف ما يدفع ثمن
 لشراء الثقل (٢٨٨) ، ويرجع هذا الفرق إلى بعد البلد الذي ينتجه أكثر
 مما يرجع إلى سعره الأصل . فالواقع أن القرميل كان يرد إلى أوروبا من
 جرد التوك (مانفويسيا) حيث يبدو أن أهاليها لا يعرفون قيمته ،
 إلى أن وفد الصيبيون اليهم يطلبونه ، أما لاستعمالهم الخاص ، أو
 لتصديره إلى بلاد أخرى (٢٨٩) . ففي مستهل القرن السادس عشر كان
 « البهار » bohar من القرميل ، ويساوي حوالي ٧١٢ رطلا حقيقيا من

- (٢٨٧) Dictionar, vol. XII, Se Ursula, p. vi et s.
 (٢٨٨) Didot de Châlons II, de l'an 716, dans Paderewski, Dipl.
 II, 300.
 (٢٨٩) Asala de Jérusalem, II, 174.
 (٢٩٠) Pouch, p. 18, 49, 57, 66, etc. ; Ghiesbreght, p. 310; Clavijs,
 p. 119 ; Edrisi, I, 51 ; Fabel, III, 343 ; Tuckey, p. 371.
 (٢٩١) Joh. de Carliano, Dipl. éd. Schuler p. 26; Flückiger, Frank-
 furt. List, no 304.
 (٢٩٢) Douet d'Arcey, Campée de l'argenterie, p. 218.
 (٢٩٣) Beaumoulet, Filles de Champagne, I, 267.
 (٢٩٤) La Bibliothèque de l'Ecole des chartes, 2e série, I, 209
 et ss. ; Schuiffa, Das 18te Lehen, I, 229 230.
 (٢٩٥) Leber, Appréciation de la fortune privée, p. 95 ; Cibrario,
 Economia politica del medio evo, 4e éd., p. 308; Guirini, dans
 Albéri, Relaz degli ambasci veneti, app., p. 11 12 ; Flückiger and
 Hangaty, Pharmacographie, 2e éd. 202.
 (٢٩٦) Garcia de Oria, p. 180.

مواديرى السليقية ، يباع فى موقع انتاجه لتجار ملقا وجاوة (٣٩٠) فوكا
واحد أو اثنين ، وهو يساوى فى سوق ملقا مئى عشرة دركات أى أربعة
عشر دركا ، ويصل ثمنه فى سوق كاليكوط من خمسين إلى ستين دينارا
دهريا (٣٩١) .

ولم يكن فى أوروبا لرمى سوى فكرة شائعة عن البلد الذى
يوجد منه القرنفل . وكانت السفن العربية المسخرة إلى الصين تترك جرد
الملوك بعيدا إلى يمينها ، لحيى يريه الزائرون العرب تعيين البلد الأصلى
لهذه المادة ، كانوا يكتفون بالقول بعامة انها تأتي من الهند أو من جرد
الإرحبيل الهندي ، أو يطلقون أسماء غريبة على جزر يدكرونها موقدها
يشكل غير دقيق مما يجعلنا نتساءل عما إذا كان لديهم فكرة تقريبية
فحسب ، أو أنهم يمسلمون بأن نباتات القرنفل يسوق فى جاوة أو
سيلان (٣٩٢) . وهذا غير صحيح ، فلم تكن هذه الجزر سوى مراحل يمر
بها القرنفل قبل أن يصل إلى غايته . ويرغم ابن بطوطة الذى زار بنفسه
جزيرة سومطرة أنه رأى بها أشجار قرنفل . ومع أن هذا لم يصحب
تصديقه ، فإنه ليس من المستحيل فى العصر الذى عاش فيه أن تكون
بعض أشجار القرنفل المنجولة من جزر الملوك قد استوطنت من قبل
فى هذه الجزيرة . ولذا لرى من وصفه لهذه الأشجار أنه يخلط غارة
بين القرنفل والقرية ، وتارة بينه وبين جوز الطيب ، بحيث يورث اللبس
فى أنه رأى بالفعل ما وصفه ، فيكون من غير الصواب إقامة نتائج ما
على أساس مشاهداته تلك (٣٩٣) .

كذلك لم يعرف ماركو پولو الوطن الحقيقى للقرنفل . والأغرب من
ذلك هو أنه يبدو متقدا بأن القرنفل يأتي من إقليم جندو Gindou
أى من قلب الصين (٣٩٤) ، مع أنه من المعروف عند الكتابة أن مباح الجرد
شرط أساسى لنمو شجر القرنفل ، ولخصوبته بنوع خاص (٣٩٥) .

Barbosa, p. 319, b. ; Polo, p. 654 ; Garcia de Orta, l.c. (٣٩٠)

Barbosa, p. 323, a. ; Barbosa, p. 303, a. 310, b. 323, b. 323, b. ; Ramus, I, 120, a. (٣٩١)

Belot, p. 143 ; Marquand, I, 341 III, 86 ; Ibn Khordadbeh, p. 230, 204 ; Edrizi, I, 82, 80, 83 ; Karwin dans Göttemeister, p. 193, 202, 203 ; Karwin, trad. Ebné, I, 1, p. 227, 229. (٣٩٢)

Ibn Batuta, IV, 223, 240, 243 et 24. et Dulaeur dans le Journ. asiat., 4e série, IX, 248. (٣٩٣)

Polo, p. 305 ; Verhandl. der Gesellsch. für Erdk. zu Berlin, 1874, no 1 ; Buge, Zeitschr. der Entdeckungen, p. 63. (٣٩٤)

Crawford, Hist. of the Indian archipelago, I, 403 et s. (٣٩٥)

ومن الأرجح أن ما يقصده في الفقرة المشار إليها لم يكن كبش القرمفل ، وإنما برعم الكاسيه Fiori di Castella (اللى سائل بعض الشيء كبش القرمفل (٣٩٦) . ويذكر هذا الرحالة في فقرة أخرى كبش القرمفل ضمن المحاصلات التي تشكل ثروة سكان جاوة ، إلا أنه يمكن تفسير عباراته بأنها تنصرف إلى ناتج أجسي عن الجزيرة ، أنها يمكن الحصول عليه بسهولة في الجزيرة (٣٩٧) ، وأخيرا ، وجد هاركو بولو كبش القرمفل في جرد نيكوبار (٣٩٨) .

ويقترب كونتي أكثر من الحقيقة ، ففي اختيار رحلاته يصعب ، لا بالروية العملية ، دون شك ، ولكن بما سمعه من أفواه أهالي جاوة . يصف جريرتين يسميهما سنداى Sandai وبهدام Beodam ، ومن السهل أن نشئ أنه على مجموعات التمسك في جرد سوندا وجبر بادو ، فلها وحفات مستقلة : وفي قوله أن الأجرة هي وحدها التي تنتج كبش القرمفل ، وفي ذلك لم يكن لديه الخبر القوي ، أو لعل الأمر قد احتل عليه (٣٩٩) ، وترتب على حمله هذا المخطوطة الملوثة على خريطة فرامورو Carte de Fis Mauro (٤٠) . وأخيرا ، في عام ١٥٠٤ وصل فلاديميرو Varthema إلى جرد الملوك ، وكان أول أوروبي يزور هذه الجزيرة ، وأطلق على اسمها ، وهي دون شك جزيرة تيربات Ternate أو تيربور اسم المجموعة كلها ، موتوش (ملوك) ، ورأى في تلك الجزيرة بعضي الخمر المتناورة لها كبش القرمفل ، ووصف طريقة جسيها (٤٠١) . ويقول أن سالتين آخرين زاروا جزر الملوك في فترات قصيرة من عامي ١٥١٢ ، ١٥٢٠ ، وتركوا لها هم أيضا بعض الأوصاف : أولهم هم جوان سيرانو Juan Serrano (٤٠٢) ، ودوناتي باربوسا Duarte Barbosa (٤٠٣) وبيجانتا Aut. Pigafetta (٤٠٤) .

Yule, M., Polo, II, 28 , Richthausen, China, I, 584, no 2	(٣٩٦)
P. 582.	(٣٩٧)
P. 580.	(٣٩٨)
Coëd., p. 45, et Kunzmann, ibid., p. 36, Peschel, Gesch. der Erdk., p. 15, 167, 207.	(٣٩٩)
Ed. Zurla, p. 48.	(٤٠٠)
Hamus., I, 187, b, et la note de M. Badger dans l'édition anglaise de Varthema, p. 245 et r.	(٤٠١)
Pér. anglaise de Barbosa, p. 227.	(٤٠٢)
Ramus., I, 218 b.	(٤٠٣)
Ed. Ancoletti, p. 164 et ss. , Empoli, p. 21.	(٤٠٤)

والمعروف أن كرش القرغل يزعم ثمرى لبسات الأوجيا كاريو فيلانا
Eugenia caryophyllata، وهو محصول بسوقية وينتهي برأس
 صغير مستدير ، ويجمع أو يسقط بهر البسات ، ثم يجمع في الشمس
 أو بالملح ، ثم يطبخ للتجفيف ، ويحشى بأن يكون ذا لون أحمر قائم ،
 وتقايا تماما (٤٠٥) . والقرض من هذه العملية فصل البراعم المتألعة أو
 الضامرة ، وكذا السويقات التي امتزعت من الشجرة مع البراعم وحماطت
 بها ، ومن ثم يمكن رفض استلام البضاعة إذا لم تكن منفقة على هذا النحو .
 أما السويقات فإنها لا تلقى في الطريق ، لأن لها نصيبا من الفائدة أو تحتوي
 على الزيت الكثير نفسه الذي يحتوي عليه القرغل ، وأما درجة أقل ،
 وتباع على حدة باسم دوسى *fusti* أو *fistuchi di gherokani* (٤٠٦) .
 وتبلغ قيمتها على العموم ثلث قيمة كرش القرغل ، وهي أيضا ذات لون
 أحمر ، ولكنه فاتح قليلا ، ويعتبر اللون الباهت جيّسا فيه (٤٠٧) .
 وأحيانا تفصل رؤوس القرغل وتوضع على حدة وتباع باسم كاييشتي
rappellati (٤٠٨) . وأخيرا ، ولا كانت أوراق القرغل يروح منها
 أيضا عطر ، أعف في الواقع ، فإنها تشكل سلسلة تجارية ذلك هي الـ
 fogli (٤٠٩) .

القرمية (قملة التيات) *Cochenille*

القرمية *Coccus* : حشرة كروية الشكل ذات لون أسود
 بنفسجي ، تعيش جماعات على شجر البلوط *quercus coccifera* ، وتجمع
 هذه الحشرات وتقتل ، وتباع على أنها مادة للصباغة ، وفي العصور الوسطى
 كانت تسمى بـ *grana da tignere scarlati* ، *grana d'écariete* ،
 بسبب مشابهتها للحمية . ولم يكن مجهولا أن هذه مادة حيوانية ، وليس
 تقيم برهان سوى اسم *vermécule* الذي صادف في قائمة تضم الأسماء
 الواردة في الطبيعة ، وذلك في *Formulaire de Salomon* « مجموع

Pegol, p. 266, 316 et s., 374; Chiarini, p. lxxvii, b, Paez, (٤٠٥)
 p. 6, b.

Pegol, p. 23, 57, 65, 83, 236, 296, 300, 306, 374; Uss., (٤٠٦)
 p. 29 . Bonaini, *Stat. Fla.*, III, 196, 115, 322 ; *Archiv. stor. ital.*,
 3 série, XII, 2, p. 126.

Pegol, p. 374. (٤٠٧)

Paez, D. 6, b., Barbosa, p. 323, s. , Chiarini, p. lxxvii, a. (٤٠٨)

Pegol, p. 126, 228 , Uss., p. 33 ; *Assis. de Jéu* , II, 174 . (٤٠٩)

Bonaini, *Stat. Fla.*, III, 196, 115; Garcia de Orta, *Le.*

صبيح مبالوون ، استعقب كوستانس (Constantine) (٤١٠) ، والثابت أنه هذا الاسم يشير إلى القرمزيات (٤١١) . ولما كانت هذه الحشرة تستوطن بروغانس ، ولاجنوك ، واسيانيا ، فإن عهد التبادل لم تكن في حاجة لاستيراد « الحبيبات » من الشرق الأدنى ، والراجع أنها هي نفسها التي كانت ترسل هذه المادة إلى شامباناي (٤١٢) وعلى العكس من ذلك كان يبيع القرمزية في فيراري ، تجار من بولوسا (٤١٣) ، يستوردونها من الشرق الأدنى عن طريق البحر الأدرياتي . ذلك لأن مدن تسكاليا الواقعة غربي فيراري لم تكن تتلقى من بروغانس أو إسبانيا إلا جزءا من الحبيبات التي تسهلها ، وكانت تستورد أيضا من اليونان (بلاد الروم) ، ويوسع حاص من البونوبير حيث لم ترل هذه المادة شيئا إلى يومنا هذا تجارة تصدير مهمة (٤١٤) . وكانت الأسواق الخاصة بهذه التجارة هي كورنثة (٤١٥) ، وبنتراس (٤١٦) . وثمة اثنان من مستلكات البندقية في الشرق الأدنى يستجلب هذه المادة ، هما أولا جزيرة كريت . ففي عام ١٣٩٤ تشكلت بها رسميا هيئة من الخبراء مكلفة بأن تفحص قبل الشحن في السفن كل « الحبيبات » التي يحملها المستعمرون في الداخل إلى عاصمة الجزيرة : فيسليم هؤلاء الخبراء شهادات للمبائيل التي يثبت لهم أنها من نوع جيد ، أما البضائع المنشوطة أو الثالثة فإياها تصادر وتحرق (٤١٧) . وكانت كورون هي المستعمرة البندقية الثانية للنجاة للقرمزية ، وهي مدينة بجنوب شبه جزيرة اللورة ، وكانت القرمزية التي تجتمع في ضواحي المدينة تعتبر الأولى من نوعها في العالم من حيث الجودة (٤١٨) . وأخيرا ، وجد المسافر الفرنسي كومون Cosmon قرمزية في الأرخبيل (بحر ايجة) ، في جزيرة بيسي Pigi السفيرة ، أو مور جو بولو Amargo Ponto التابعة لموقية ناكسوس (٤١٩) . وفي معاهدة فلورنسية ترجع إلى مستهل القرن الخامس عشر -

- | | |
|---|-------|
| Ed. Dictionar, p. 38. | (٤١٠) |
| Merrifield, Original Treatises, p. clxxv et ss. 36, 440. | (٤١١) |
| Bonquiol, Poiese, I, 303. | (٤١٢) |
| Document publié dans Murat., Aniq. Ital., II, 884. | (٤١٣) |
| Heldreich Neupflanzen Griechenlands (Athenes. 1843), p. 28. | (٤١٤) |
| Pegol., n. 211, Urb., p. 110; Bonquiol, Stat. Fin., III, 802 ;
Archiv stoz. Ital., 2e série, XII, 2e part., p. 81, 127 | (٤١٥) |
| Papirin, Della diadma, II, 94. | (٤١٦) |
| Tot. et Thom., Infil., Comment. reg., III, p. 122, no 468 | (٤١٧) |
| et s., Seithus, Doc. infid., II, 39. | (٤١٨) |
| Sigoll, p. 167. | (٤١٩) |
| Cosmon, p. 68. | (٤٢٠) |

ليست في حوزتي لسوء الحظ - أجرى المؤلف تصنيفا غريبا : فهو يميز الكبيرى *Chetman* (القرمية) من الجراما *grana* ، (سوس الجيوب - المتريج) ، ويقول انهما مادتان صيفيتان مختلفتان فيبكم من الجراما على انها مادة رحيصة يمكن الحصول عليها من البيرتغال واسبانيا وحسب فرنسا وبلاد البربر . اما القرمى فهي بالمعنى الحالية التبن ، ولكنه لم يقل من اين ياتي ، ومع ذلك ادى انه من الصعب ان تكون هذه المادة شيئا حلالا قمرية الشرق الأدنى ، وأترك لغيري مهمة تفاصيل هذه المسألة ، ومعرفة ما اذا كانت المتفرقة المتبار اليها موجودة في مدن أخرى حلالا فلورنسا (٤٢٠) .

ويتحدث الاصطخرى عن نوع من القرمية ، يقول انه موجود في ديب *Débil* بالرميسيا ويردعه *Berdia* وأران *Arran* ، ويصدر من الجهة الأخيرة الى الهند ويلاذ أخرى . ويذكر كلانجيو *Clavijo* انه يجع عند قاعدة جبل أورات نوع من القرمية يستعمل في صناعة الحرير (٤٢١) والمادة في المالكين هي قمرية أوميسيا أو أورات (٤٢٢) . ومن الشكوك فيه ان تورد هذه المادة الى أوروبا ، الا انها كانت تستورد اليها باسم *Quefmes* اقمشة حريرية مصنوعة في بغداد . ذات لون يحتمل ان يكون مستحلبا من القرمية (٤٢٣) ولهذا النوع السمي *Porphyrophota* تسمى القرمية المسماة بولوى *Bolose* ، وتوجد أيضا في روسيا ، ولتانيا . كما توجد في بولوى ، ولا شك في انها تصاد الى غرب أوروبا (٤٢٤) .

الترجيحان *Cocall*

من بين المنتجات التي يقدمها الغرب الى الشرق في مقابل منتجاته ، يشمل الرحا مكانة ليست قليلة الأهمية . وتوجهه المفاصل التي يستخرج منها أحسن الأنواع في القسم الغربي من البحر المتوسط . وأحسن المفاصل وأكثرها ثراء هي مفاصل بونة (٤٢٥) ، وتدر *Tunes*

M. Giangiolli : L'Arte della seta in Firenze. (٤٢٠)

Isachet, p. 66 et s. , Clavijo, p. 158; Krenzer Culturgesch. (٤٢١)
rhe des Orients, II, 328.

Brendt et Heiseburg, Medicinische Zoologie, II, 253 et s. (٤٢٢)

Marco Polo, p. 48. (٤٢٣)

Lit. divers, art. monip, p. 794. (٤٢٤)

(٤٢٥) انظر وصف شمال أفريقيا في ابن حوقل ، والبكري . في

le Journ. asiat., 3e serie, XIII, 180; 5e série, XIII, 78.

والمقال المرفق ، وشمس الدين ، والقروبي

ومسجلة (ميناء التجار جبل طارق - المترجم) (١٢٦) * وكانت
مصاصات عقلية ، ورائي ، فانها اشتهرت بالمرجان عند زمن
بيسند (١٢٧) ، كما اشتهرت بذلك أيضاً مصاصات سراديبيا ،
وكورسيكا وكان جزء من ناتج هذه المصاصات ياتي في الغرب ، فيصبح
عنه حوامر متنوعة الاشكال (١٢٨) ، ولكن هذا الجزء هو الأقل ، أما الباقي
فيصدر ويقول السيد كول M. Kohl أن المرجان كان «مطلوباً بالأخص
في جنوب آسيا حيث يباع بأسعار مرتفعة للغاية ، كما كان الحال في عهد بيسي
Plinio إذ كان يصدر الى الهند والهند الصينية حوالي ثلثي محصول
مطلة البحر المتوسط * وبقت هذه الأمور على ما كانت عليه في العصور
الوسطى * وشهد ماركو بولو أن أهالي كشمير كانوا من كبار حواة
المرجان (١٢٩) * والمعروف أن المرجان كان عند العرب سعة يمكن
تصديرها دون خوف الى الهند والصين (١٣٠) * وسين لندفاليين عندما
وصلوا الى الهند أن الطلب على المرجان امتد قوياً للغاية (١٣١) * ومن
المعروف لنا أن لرسم الطريق الذي كان يسعه هذا المحصول من البحر
المتوسط الى جنوب آسيا ، إذ كانت السفن انطاكية والعلورية
تجده أولاً الى مصر (١٣٢) حيث تنقله أيدي التجار الشرقيين *

القسط Corrus (١٣٣)

هذا المروغة باسم القسط هي جنس الأوكاليديا القسط ذلك
l'Asclendia Corrus Falc ، كانت في العصور الوسطى ، كما كانت

(١٣٦) ابن حوقل (١٤) ، رابر الماء (II, 1. 194) ، وشمس الدين (ص ٨٧) *

(١٣٧) الأندلسي في : Amari, Bibl. arab. le trad. I, 80.

شمس الدين (ص ٨٧) *

(١٣٨) Laborde, Not. des émaux, II, 234.

(١٣٩) Er. Paulmier, p. 127.

(١٤٠) Clément-Mullet, dans le Journ. Asiat., 7e série, XI.

(١٤١) Ramus, I, 120, a, 121 a.

(١٤٢) Pflügl, p. 282, 274, Amari, Dipl. arab. flor., p. 382.

(١٤٣) M. Fieckiger ; la Frankfurter Liste, p. 23 et ss. et dans le Pharmaz. Journ., 1877, 18 août.

في المصور التاريخية القديمة معروفة بخصائص علاجية قوية (١٣٤) .
 ويعتبر حائوت المطار الخال من هذه المادة أنه قليل ايراد (١٣٥) .
 ويبدو أنها كانت تستعمل أحيانا كمسحوق في أداء الطقوس الدينية (١٣٦) .
 ولما كانت من المنتجات الأحذية بالسجدة لأوروبا لأنها كانت ضمن
 سلع الشرق الأدنى التجارية ، لذلك يبيدها مذكورة ، ولو في القليل
 الصادر في الكتب التي يستعملها التجار ، ويشير المؤلفون إلى موضعها
 القسطنطينية ، والقسطنطينية ، وبجهد هذه التفرقة أيضا هي الصبغة (١٣٧) .
 وفي المصور القديمة كانت المراسي التي تصنع منها هذه المادة هي
 حجابها Minnagera على نهر الأنطوس السفلي وباريسا Barygaza
 على خليج كيماي وفي المصور لوسطى يذكر المؤلفون كمسحوق لهذه
 المادة ، حوض الأنطوس (السند) (١٣٨) ، حيث تنمو الإكلاندجا
 في القسم العلوي منه ، وكذا الساحل الغربي لهذه (١٣٩) . وفي القرن
 السادس عشر كانت المادة تصنع أساسا عن طريق كيماي ، ويشتهر جزء
 منها صوب الغرب عن طريق هرمز وعدن (١٤٠) ، وجزء آخر صوب الشرق
 حيث كان يعرف ، كما هو معروف هناك في الوقت الحاضر باسم بوشو
 Pourbo أو بونشوك Pontchouk (١٤١) .

القطن

المعروف أنه بعد سقوط عكا ، كان الطرد على الإسلام الذي بدأ
 يحد في قلوب المسيحيين قد استيقظ بقوة جديدة ، وبنتائج هذا الشعور
 القشاج ، اقترح سانوي Samuël على أمال المسيحي أن يقطع كل علاقة
 به بالعالم الإسلامي ، وأعرض ، وهو يرد مبيحا عن كل اعتراض أن

- (١٣٤) Constant. Azinc., Opp., I, 386. Moser. Seridus ed. Choulant.
 v. 2165-2166 , M. Dörmier 8, Gallische Denkmäler, p. vi, et s.
 (١٣٥) Förkiger. Die Frankfurter Läte, nos 88 et s. : Das Neelien.
 ser Register, p. 4.
 (١٣٦) Joffé, Biblioth. germ., II, 388 et s., 389, 318.
 (١٣٧) Pegib., p. 136, 296, 300 , "Costo amaro", Ibid. p. 56 "Costo
 amaro e costo dolce" (sic), Uss., p. 182. Diplôme de Chupérle II
 II de l'an 718 dans Pardessus, Dîph., II, 310.
 (١٣٨) ابن خلدون ، ص ٢٨٢ .
 (١٣٩) ابن العربي ، أبو القاسم (في نسخة Goldmeister, p. 188)
 (١٤٠) Samuël p. 224, 335, b. 336, b. 337, s. Garcia de Orta,
 Lc.
 (١٤١) Garcia de Orta, dans Orta, Erot., p. 225.

، المسيحيين ، يطلبون من الكفار بعض السلع التي لها أهمية ، في حين يمكن الحصول عليها من بعض البلاد المسيحية ، وذكر مثالا لذلك (٤٤٧) السكر والقطن ، وبخاصة القطن الذي تسجسه سوريا *la Pemm* وصقلية (٤٤٧) ، وجزيرة كريت (٤٤٤) ، وبلاد الروم (٤٤٥) ، وحريرة قبرص ، وأرمينيا ، وكان في وسعه أن يضيف إلى هذا التعداد اسبانيا (٤٤٦) ، ومالطة ، ومن إيطاليا نفسه كلابريا ، والواقع أن قطن العرب كان يقدّر في التجارة شئ يخص ، ويذكر بيحوقوتس أن قطن صقلية هو أردأ أنواع القطن ، أما قطن كلابريا وقطن مالطة فإن اسمهما أقل اهتماما ، وقطن بول *la Basilicata* كان مقبول ، ولم يكن أي من هذا الأنواع يصنع قطن الشرق الأدنى في جودته (٤٤٧) ولمنثور على قطن من أمود الأنواع ، كان لابد من الخروج من أوروبا ، بل ومن جنوب العالم المسيحي ، ومن (حامات - أبعاس Hamah) وجهة النظر هذه تفوق أقطان جهاء القديمة (٤٤٨) وحلب مصادر الأقطان كلها ، وكانت محاوراته هاتين المدينتين مغطاة بشجيرات القطن ، وتثير خصوصيتها العلاقة دهشة الساج (٤٤٩) ، وبعد هذه المنتجات المتأخرة ، تأتي في المرتبة الثانية منتجات أرمينيا الصغرى ، وكانت أهم المناطق المنتجة للقطن فيها ، مناطق كوردشو (كورديكوس) *Curcho (Korykon)* ، سلفكة *Séléfke* وأدنة *Adana* (٤٥٠) ، فكانت مستحاثا نسيج في سوق إيس *Lazzen* (٤٥١) ، ووضع في نفس المرتبة تقريبا قطن وسط سوريا ، وكان يصنع من شجيرات قصيرة تنمو بنوع خاص في ضواحي دمشق (٤٥٢) .

Sanut, Socr fidel. cruc., p. 94, 98. (٤٤٧)

Amari, Storia dei Musulmani di Sicilia, II, 446, III, 794 et s. , (٤٤٧)
Édhl. arab. sic., trad. I, p. 82, 91, 288, 309.

Archiv. Venet., XVIII, 40, XIX, 104. Salhas, Doc. inéd., (٤٤٤)
II, 118, III, 433.

Salhas, Doc. inéd., II, 197, 1.9, 126, 131, 135, 136, 141, 216 (٤٤٥)
et s., 326, 327, 387 III, 430, Archiv. Venet., XVII, 289; XVIII, 60
XIX, 104.

(II, 1, p. 181 et ss.) ابن البطائ (II, 563) (٤٤٦)
Pegolotti, p. 387. (٤٤٧)

Paul p. 187 a. (٤٤٨)

Châtelet, p. 283 Varthema, p. 143, Kiechel, p. 259 ; (٤٤٩)
Châtelet, p. 288.

Barbano, Viaggio in Persia, p. 25, b, 27, b ; Sanut, Dier (٤٥٠)
VI, 838 , Georg Gemma, p. 817

Pegol., p. 44, Paul, p. 187, b. (٤٥١)

Haytham, Hist. orient., éd. de Hehn I, 1888, p. 11. esp. 14. (٤٥٢)

وأخيرا كانت أنطاني عكا (١٥٣) وقبرص (١٥٤) ، واللاتيفيه تشكل فئة ثالثة - هذا التقدير لمختلف الجهات المنتجة هو الذي وضعه جيولوجي في الجرد الذي خصصه للكطن - والمعروف أنه في العصر الذي كتب فيه جيولوجي لم يعد للتقنيات التي أسسها الفينيقيون في سوريا وجود ولكن على الرغم من الهداء الذي وجهه سائونو إلى العالم المسيحي ، استعادت الحركة التجارية نشاطها بين العرب وسوريا ، وبعثت السفن التجارية الأوروبية تحصل بانتظام ، كما كانت تعمل في قبل القطر (١٥٥) من اللاتيفيه ، وبيروت - وطرابلس (١٥٦) ، وحكا ، وبقا (١٥٧) وما كانت هذه السفن تعمل في موانئ سوريا ، كانت تعمل أيضا مع مركز السيادة الإسلامية ، أي مصر : ذلك أنه في غضون القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، كانت هذه السفن تسمى لشاحذ القطر من الإسكندرية كما كانت تعمل في عصر القويالات اللاتينية (١٥٨) - هذا القطر الاسكندري كان على ما يبدو انتدبا محليا (١٥٩) لأن سائونو ذكر القطر منس ثلثتجات المصرية - وكان سيمون سيمونسي ، وبيفوتي (١٦٠) قد شاهدة مراوح الكطن على صفاء النيل - وأخيرا فإن ثمة مؤلها عرسا من إسبانيا ، وهو أبو عبد الله من اللصبال (١٦١) ترك مذكرات عن زراعة القطر في عدة بلاد ، ووصف الطريقة المصرية في زراعته ومع ذلك فالعرب أن « عبد الطيف » (التوفي عام ١٢٣٦) الذي وصف بوجه عام ويمتدح بدقة كل حاصلات مصر الطبيعية ، لم يذكر القطر وإن الغالبية المطلقة من الغربيين الذين زاروا مصر في العصور الوسطى لرموا السميت الزم في هذا الشأن ، وقد يدل هذا على أن زراعة القطر لم

Pegol p. 45; Lemoy, p. 187, Chistola, p. 64. (١٥٣)

Pegol p. 84 et s., Uex, p. 191, Georg. Gemnic, l.c., Casola, n. 49, Mas Latrie, Hist. de Chypre, II, 323, 373, III, 288, 778 et 80. ; Hagenas Pilgrimage, éd. Conrady, p. 347. (١٥٤)

Taf. et Thom., III, 487, Pegol p. 299; Donat d'Arequ, Com. pite de l'argenterie, p. 385. (١٥٥)

(١٥٦) كانت الفسواحي الخميا لواتن اثنتين تنتج قبل بواره
Frobenholdt n. 148, Gucci, p. 413, Baumgarten, p. 128.

Mas Latrie, Hist. de Chypre, II, 373, Paul, p. 48, b, 81, b, 187, b-188, a. (١٥٧)

أ عبد الهادي من بلاد صوب الشاقل - يضاف أنه أيضا حلقا كطن - في انحاء رام الله

Mariano, Viaggio in terra santa, Fir 1822, p. 17

Lth. Jur., I, 71 et Pegol, p. 88; Uex, p. 191. (١٥٨)

M. Yate (Textiroum antiquorum, I, 671). (١٥٩)

Sagut, p. 24, Simon Simeoni, p. 24 et s., 38, Philo, p. 347 (١٦٠)

(١٦١) لشكره ابن العوام (II, 1, p. 103) وابن بطار (II, 652 et s.)

M. Clément - Mollat, I, 77, Meyer, Gesch. der Botanik, III, 248.

نكى منعقده بهذا البلد . ثم على الأقل لم يكن لها به دور مهم . وعلى أية حال فمن المحتمل أن القطن المنحل كان يتباع في الإسكندرية إلى جانب القطن الأجنبي . فمن أين يأتي هذا القطن الأجنبي ؟ من الهند بلا شك . والواقع أن ماركو بولو يذكر أن قطن مجاورات كيناي كان يصدر إلى بلاد محتله (٤٦٢) . وعندما وصل البرتغاليون إلى الهند ، كان ميناء كيناي والسعال (ندلا نهر الجانج) يصدران إلى عدن ومكة في حجة ، وإلى عزم من جهة أخرى ، مع الأقمشة الرقيقة التي يطلبها كثير من سكان مصر والأقاليم الغربية لآسيا ، قطنا خاما ، وخيوطا قطنية (٤٦٣) . يكميها حائلة . ولما أن بسط بسهولة أن جردا منها كان يرسل إلى الغرب . ولا نذكر الكتب الإيطالية التي مستندتها التجار شيئا عن طريق قطن الهند ، ولكن يسمى الأخطى . الظن في ذلك ، لأن البيع عامة في هذا الشأن أن تذكر السلع التجارية تبعا للسوق التي تؤخذ منها ، لا تبعا بلدها الأصلي . ولم تذكر هذه الكتب أيضا قطن البلاد التي يرونها هرا بجلة والفرات (٤٦٤) ، ولا حتى قطن فارس الذي كان وفيرا بقدر كبير ، حتى أن ساجي البلد لم يكونوا على كثير منهم كالقطن لتصنيعه ، فكان يلقى منه قدر كاف للتصدير ، وكان يمتنع بشهرة كبيرة في الخارج (٤٦٥) . وعلى العكس من ذلك كانت الكتب تسمح مجالا لقطن تركيا ، أي آسيا الصغرى (٤٦٦) ، وبعلم من قبل أن زراعة القطن كانت متقدمة بدوح حاص بين بورصة وقونية ، وأن الحصول ينقل إلى أسواق بيروت والسيص (٤٦٧) .

والاسم الذي أطلق على القطن في أقدم المصادر العربية هو بومباسيوم bombacum (٤٦٨) ، ومع ذلك فاستبداه من أواخر القرن الثالث

Polo, p. 488.

(٤٦٢)

(٤٦٣) انظر أمثلة لذلك في الفصل الخامس بالمسرحات .

Testochri (الاسطوخودوس) p. 43 et s. , Polo, texte de Roussat, (٤٦٤)

cap. 8, fin . Barbato, Viaggio in Persia, p. 28, b. 29, b.

(٤٦٥) الاسطوخودوس ، من ٨٠ ، ١١٧ : الاسطوخودوس جزء أول ، ٤٦٧ : القزويني ، في

Géogr. Ancienne, p. 43. للجزء الثاني ٢ ، من ١٦٧ ، ١٦٩ .

١٨٦ ، ١١٧ ، ولقوت من ١٦٧ ، ١٥٤ ، ٤٢ ، ٤٧٢ ، ٥٢١ ، ٥٢٨ ، ١١١ : كالتيجور من ١١٤ .

Uzz, p. 76, 188, 191.

(٤٦٦)

Hartl, p. 202 , La Broquière, n. 380; Ludolf v. Solheim, (٤٦٧)

p. 28.

Lib. jur., I, 71 et s. , Taf et Thom., III, 427

(٤٦٨)

عشر سجد من أن لآخر كلمة كوتونوم *Cottonum* (وهي مقتبسة من كلمة
تطلى العربية) ، (١٦٦٩) .

البخور (اللبان) Balsams

اللبان مصارة ميصاء لبينة الأول ، تسيل من لحاء بعض الأشجار
من نوع « البوسويليا » Boswellia . كتب بيچولتي (١٧٠٠) - ولم
تتغير الآراء في هذا الخصوص - كتب يقول أن حودة اللبان تساقط مع
بباصه وقتائه ، وأن اللبان الرديء النوع يعرف من حيث أنه مخلوط
بالثراب ، أو نقشر الشجر ، وأنه مشوش وله ثوب داكن . وفي رأيه
أن أحسن نوع منه يحصل عن طريق طوروس وبفسداد ، أما النوع
الذي يجلب من الاسكندرية فإنه رديء بصورة مخصوصة (١٧١٠) . ومن
المؤسف أن من عادة بيچولتي ألا يذكر سوى الأصناف التي تباع فيها
المادة ، لا البلاد التي تنتجها (١٧٢٢) . ومع ذلك فإن المذكرات السابقة من
الكتاب القديس ، ومما كتبه المؤلفون القبطي ، نظراً لانتشارها في عصره ،
كانت تجعل الناس يعمدون إلى اللبان على أنه من منتج بلاد العرب ،
وخاصة اليمن ، وفي المصور الوسطى ، يتحدث الرحالة والجغرافيون
العربيون بكثرة عن لبان البلاد العربية (١٧٢٢) . ولكن يسمى مصفاة عمدة
أن يعتبر ما يؤولونه في هذا الشأن ، لا على أنه شيء ذوو بعبوهم ، وأما
دليل على صحة معارفهم - ومع أن ماركو پولو لم يزر بلاد العرب ، فإنه
لم يرد أن يكون صدي لتقليد الفارسية ، وأما فطس أن يتقل بصراحة
ما سمعه من أفواه التجار بخصوص الشجرة التي تنتج اللبان ، والطريقة
التي يستخلص منها المطاوعة - فهو يذكر جهتين تنتجان لباناً « الأسف »
إوفرة الشجر Balsam ، وطبار Dufur . يقول أنه في الجهة الأولى
كان السلطان يصدر الحصول كله لحسابه الخاص ، ويقع للمنتج عشرة
بيرة ذهنية للقطار الواحد ، لم يبيعه للتجار بأربعين بيرة (١٧٤١)
وكانت الجهتان واقعيتان في منتصف الساحل الجنوبي لنفسه الجزيرة
العربية ومقاربتين كثيراً حتى تكادان مختلفان أحدهما بالأخرى فالأولى

Annal Jén., a. 1288.	(١٦٦٩)
Pegol., p. 371.	(١٧٠٠)
Uss., p. 114, 116, 121, Paul., 107 a, 118, b, 188, b et c.	(١٧١٠)
Pegol., p. 17, Caperna., p. 25; Pegol., p. 44, 49; Ann. de Jér.	(١٧١٧)
Uss., 175, Pegol., p. 44.	
Jord. Célaf., p. 87; la Carte caennaise, p. 118	(١٧١٧)
M. Follé, p. 707, 711.	(١٧٢١)

منهما وهي البحر *Czcher* أو شجر *Chedjer* ، ولكن لا يجوز الخلط بينها وبين مدينة شير *Chir* الواقعة غربا ، من ناحية عدن (١٧٥) * والمدينة الثانية اسمها ظفار (١٧٦) *Dhofar, Zafar, Dhofar* ، وقد تحدث عن هذه الأماكن القدم الجغرافيين العرب على أنها مراكز لانساج المدن (١٧٧) ، ويذكرون أيضا ميناء مرتبط *Mirbat* (١٧٨) حاسك *Hasak* (١٧٩) ، ويعلمنا النظر في هذه الأمور يرى أن مجموع هذه الأماكن يشكل قسما صغيرا من ساحل شبه الجزيرة العربية ، نجد عند بعض المؤلفين مذكورا باسم مقاطعة مهر *Mahra* (١٨٠) ، ويذكرها الثمان من كتاب أخبار الرحلات ، عاصرا السيادة البرتغالية على الهند ، وهما ياربوزا ، ومصاري *Masari* (١٨١) في سياق حديثهما عن إنتاج اللبان . هذه المجموعة من المقاطعات تبدو لي أنها تقع أمرا مؤكدا ، وبخاصة عند أن اكتشف الانجليزى ، السيد كارتير *Mr. Carter* في هذه المنطقة في غضون رحلة قام بها عند ١٨٤٤ إلى ١٨٤٦ في بلاد العرب شجرة من فصيلة بوسويليا *Bonwillia* تنجح اللبان بالتأكيد . حقا ان هذه الفصيلة وأمثالها التي تنجح لبانا حقيقيا ، نمو أيضا على ساحل الصومال الواقع قبالة الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية . وهناك نتلقى التجارة في الوقت الحاضر هذه المادة ، ومنها تقريبا . غير أن هذا لا يشيئا شيئا فيما يختص بالعصور الوسطى ، ففي تلك الآونة كان جنوب شبه الجزيرة العربية هو بلد اللبان الوحيد ، ولما كانت هناك حركة تجارية تسطه لنذية بين هذا القطر من جهة وبين بلاد ما بين النهرين ، وفارس من جهة أخرى ، في طريق الخليج الفارسي ، فابا يرى بطبيعة الحال أنه في عصر بيجولوتي كان يوجد في أسواق بلاد وترمر أحسن أنواع اللبان *

وليس هناك أى باعث على الاعتقاد بأن بلادا أخرى كانت تزود العرب باللبان . وقد رأى ماركو بولو في تانا *Tannah* (على مسافة ليست بعيدة من مدينة ميساي الحالية) لبانا ذا لون داكي ، كان موضوعا لتجارة

wrede, Reise in Hadramaut, préface de M. Mallman, p. 28. (١٧٥)

Ibid. p. 20. (١٧٦)

Reise, p. 141 . Isinchi, p. 13 et s. , Edrili, I, 48 , Merasid- (١٧٧)

Alchida, cit. par M. Reinaud dans son éditi. de la Geogr. (١٧٨)

d'Aboulfeda, II, 1, p. 124 et s. (١٧٩)

Merasid, Ic. : ٥٤ . جزء اول . (١٨٠)

(١٨١) ابن الفقيه . جزء . ٧١٤ .

(١٨٠) الاصططري . جزء . جزء ثان . ص ١٧٨ .

Barbosa, p. 222, b ; Masari, p. 28. (١٨١)

واسمة (٤٨٢) - ويقول ارساله المشهور ان هذا اللبان انتاج محل ومن ثم لم يخلط. بينه وبين صمغ جاوة (لسان جاوة) الذي لم يكن يمر بسوق تانا الا مرورا عابرا ، فنادما من سومطرة . ولكن يحسن بنا ان نتذكر ان برية الهند تحمل عددا وفيرا من الاشجار التي يحتوى سمها (مأخوذا) عن نتائج حفاتي كثيرا للبان بحيث قد يخطئ المرء فيظنه لبانا (٤٨٣) .

ضيق ان الامر يتعلق احيانا ، في مصادر العصور الوسطى (٤٨٤)
لبان يوناني *incensum graecum, incensum di Romania* ولانه ان يكون هذا خليطا من اللبان العربي و « الاستروكس ليكويده » *Stoeax liquida* الذي لم يزل مستعملا الى الآن في الكنائس اليونانية (٤٨٥)

الخلنجان Galanga

كنايات الاطباء العرب (٤٨٦) هي التي عرّفتنا بحدود الخلنجان *Galanga, ou Galgant* ويفسر هذه التسمية السبب في ان هذه المادة تحمل في اللغات اسما مشتقا من الكلمة العربية « خلنجار » *Khalandjar* التي هي ايضا مشتقة من اللغة الصينية . وعلى ما اعلم فان اول وثيقة ذكر فيها رجل غربي هذه المادة ، سجدتها في محموعة *Formulaire de Salomon III* اسقف كوستانس (٤٨٧) . انبعا رسالة ، محررها مجهول ، موجهة على الأرجح لشارل « البدين » ، والكتاب يذكر لملك العديد من الاطباء البادئة التي رسلها اليه مع خطابه ، منها برمة من القرفة ، ومن جذر الحسبان *Calangon* ، وكثير من الترميل ، والمصلكا ، والثلثل . ومن ذلك العصر ، والخلنجان مادة شائعة للذقية في العالم الروماني الجرماني طوال العصور الوسطى ، حده

Polo, p. 683. (٤٨٧)

Yule, Marco Polo, II, 331 et s. ; Flockiger, Parmacopoeia, p. 33. (٤٨٧)

Pagel, p. 92, 173, 211', Bonani, Stat. Pis, III, 592. (٤٨٤)

Humbury, Science papers, p. 139 et s. (٤٨٥)

Avicenna, éd. Fiebig, p. 366 . Issue Ibn Amran, dans (٤٨٦)

Scrap., p. 175; Ibn Bellar, I, 290 ; Ibn- Khordadbeh (p. 294) et Edrisi (I, 81). (٤٨٦)

Publ. par M. Dümmler p., 37. (٤٨٧)

مذكورا في العديد من المؤلفات الطبية (١٨٨) ، والكتب العنقية (١٨٩) - وحتى في كتب الطب والشه-بر المروى (١٩٠) - ويدخل الخلدجان في فئة العقاقير والأغذية الهيجية والمسهلة التي يتعاملها الناس بشغف في ذلك الأوان - وكان التجار الأوروبيون يجلبونها في مواسم الشرق الأدنى التي يترددون عليها عادة ، كالقسطنطينية ، وعكسا ، والإسكندرية ، ودمشق (١٩١) ، ويحضرونها إلى مسوانى إيطاليا (١٩٢) ، ومرتسا (١٩٣) ، وأساسا (١٩٤) ، ومنها تنتشر في الغرب كله .

ويتميز في مجال الصيدلة نوعان من حذر الخلدجان ، يرد الصغير منه من الصبي ، والكثير من صوب آسيا - هناك إذن ما يدعو إلى الحذر عما إذا كانت التجارة في المصنوع الوسطي تنفصم النوعين والإحالة عن ذلك بالتأكيث ، لأن ديحولوني يذكر نوعين من الخلدجان في وقت واحد ، الخفيف والثقيل (١٩٥) - ولا يخلل الحديث عن النوع الأول ، بل يكفي بالقول بأنه أقل جودة من الآخر - لما الثقيل فإنه يصعب قائله أنه من الخارج ذو لون أحمر داكن ، ومن الداخل زكي الرائحة ، يشتمل اللحم - هذا الوصف يتلهم كل الملائمة مع الخلدجان الصغير ، الثقيل اللون ، اللادع ، الداكن اللون الضارب إلى الحمرة من الخارج ، ولثائل إلى البصرة من الداخل - في حين أن الخلدجان الكثير حبيبات الورى ، لا طعم له ، ذو لون أحمر داكن أو بمسجي من الخارج ، وأصغر فائح من الداخل - كذلك يختص الموضبوع بالخلدجان الصغير في ال *Ménager de Paris* ، إذ يتحدث الكاتب قائلا أن أفضل نوع هو الأحمر الفاتح ، وعندما يقطع ، يظهر متطبا بلنسجيا ، ويضيف أنه تلبس وذو قوام صلب عند تقلمه (١٩٦) - من الثابت إذن أنه في المصنوع

- P. ex. éans Constant Afr., Opp. I, p. 372, Placardus circa (١٨٨)
insana, p. cccxcvii, b. , Glau la antidot Nicol, p. cccvii.
Hildegardis physica, lib. 2, cap. 17, Albertus Magnus, De (١٨٩)
vegetabilibus, éd. Jos en et Meyer, p. 305 etc.
Ménager de Paris, II, 112, 182, 160, 166, 172, 216 etc. , (١٩٠)
Traité de cuisine, éd. Douce d'Arcq, dans le Biblioth. de l'Ecole
des chartes, 2e série, I, 200 et ss; Copies de l'argenterie, p. 212, 232,
265 et ss.
Pegol p. 18, 27, 40, 57, 86, 90 etc. , Asclepias de Jérusalem (١٩١)
II, 175.
Pegol, p. 20, etc. ; Taf et Thom., III, 444. (١٩٢)
Bourquelot, I, 208. (١٩٣)
Capmany, Memos., II, 20, appen., p. 73. (١٩٤)
Pegol, p. 206, 275 ; Uss, p. 20 . (١٩٥)
II, 112, 220. (١٩٦)

الربط على كان الزمان من الخليجان معروفين في التجارة . كما كانت الخصائص التي تفرق بين النوعين مدروسة على وجه اليقين

ووجد ماركو بولو (٤٩٧) في نظرون رحلاته نوعي الخليجان ، ولكنه لم يفرق بينهما . والخصان الذي رآه في إقليم فر - كينج من الصين كان من النوع الصغير ، ويقول انه وجد في جزيرة حافة (٤٩٨) . وفي البغال كان من النوع الكبير ، وعند وصول البرتغاليين الى الهند وصلوا الخليجان الكبير على ساحل ملبار ، في مجاورات كيناي ، وفي جزيرة جاوة (٤٩٩) ، ولكنهم كانوا يطلقون أيضا الخليجان الصغير من النصف مباشرة ، مع الروانك ، ويعيدون تصديره الى البرتغال (٥٠٠) .

الفهرست

يرجع النوع *Rubia tinctorum* في أوروبا منذ عدة قرون وذكر في « أوامر شارلمان » المشهورة باسم *waranta* (٥٠١) . ومع ذلك كان يستورد أحيانا من الشرق . ومع ذلك صادف في سداد السبع التجارية المتداولة في عصر جيولوجي ما يسمى *Robbia di Romania* (من اليونان) ومن الاسكندرية ، وقبرص (٥٠٢) . والزاجع ان النوع الذي كانت أوروبا تنقلها عن طريق الاسكندرية كان يأتي من شبه الجزيرة العربية ، وتلقاه عن طريق قبرص حيث يرد إليها من سوريا ، ومع ذلك كان قوة جنوب شبه الجزيرة العربية يصدر بعامة عن طريق عدن الى بلاد العرس والهند (٥٠٣) . وفي عصر الانديس ، كان قوة جورجيا ، وهو من أجود الأصناف ، يصدر من هناك الى الهند ، رغم طول المسافر . فيعبر أولا بحر قزوين ، ثم يمتد في حوض *Djorjien* ويسم البحر الباقي من الرحلة بالطريق العربية (٥٠٤) . وفي حوض *Khor*

- | | |
|---|-------|
| II 422, 432, 434, 441. | (٤٩٧) |
| La Carte catalane, (p. 127). | (٤٩٨) |
| Varthema, p. 197, a ; Empell, p. 31 ; Garcia de Orto, dans Chodus, Esst., p. 211 ; Acosta, Ibid., p. 276. | (٤٩٩) |
| Chas., Esst., 1654. Halli, dans de Bry, Orient. Indien, 7e part., p. 28. | (٥٠٠) |
| Pertz, Mon. Germ. Leges, I, p. 184, 185. | (٥٠١) |
| Pagol, p. 211, 223 ; Bonani, II, 553. | (٥٠٢) |
| Varthema, p. 195 ; Corsali, p. 197, a ; Barboon, p. 292, a ; Sommer, p. 325, b, 328, a. | (٥٠٣) |
| Krist, II, 330 ; cf. Ibid. 333 ; Kaniwici, trad. Bibl., I, 1, p. 202 ; About, trad. Reinard, II, 64. | (٥٠٤) |

وهي مدينة واقعة على الحدود بين فارس وإرمينيا ، ويرسل إلى الهند نوع من « البطور الحمراء » (وهي على الأرجح جدور الفهد) ، يصنع منها الهند لوما أحمر ، وتستخدم أيضا في غوى نفسها في صناعة القنبسة (cressimi ٥٠٥) .

الزنجبيل Gingerbre

كان الزنجبيل في العصور الوسطى من أشهر التوابل المعروفة ، واستعمله شافعا كاستعمال الكافور تقريبا . ومن مألوفة القول أن تقدم هذا أدلة تثبت ذلك ، فسوف يقدمنا هذا شوطا بعيدا . على أنه لا كان الزنجبيل ميانا يسمو في بلاد كثيرة متباعدة بعضها عن بعض ، فسي المهم التثبت عن البلاد التي تنمو أوروبا منها به . وللمنمو على هذا البلاد ، لا يوجد دليلا أقصبل من بيجولوني . ففي القشرة التي يعرض بها حواصل الزنجبيل ، بعد ثلاثة أنواع ، ويقول أن نوعي منها يسوان في الهند والثالث في محالوات مكة (٥٠٦) . ومع ذلك فالزنجبيل يسمو أيضا على قربة الصين ، بل أنه منتشر بها ، يسمو بعنقس للفاية لا يصدقها المقل (٥٠٧) . ومع ذلك لا يتكلم سحولوني عنه ، مما يثبت أن إنتاج هذا البلد منه لم يكن قد وصل بعد إلى أوروبا ، ربما لبعده المسافة . أما عن الزنجبيل الذي يقول بيجولوني أنه يباع في سوق تانا ، والزنجبيل الذي رآه مسافرون آخرون في عصور أخرى في أسواق سمركند وطورس فإنه يكون واردا أيضا في الهند والصين (٥٠٨) . نضيف أيضا أنه حين يذكر بيجولوني الهند على أنها موطن الزنجبيل ، يبدو أنه لا يقصد أن تشمل هذه التسمية المسافة الهند الصينية ، ولا القسم الشرقي من الهند نفسها ، ذلك أن تفكيره لا ينصرف إلا إلى الساحل الغربي للهند . ويبدو أنه لا يعرف أن جزر الهند الصينية ، وسواحل البنغال (٥٠٩) وكرماندل (٥١٠) يمكن أن تقدم نصيبها من الزنجبيل لاستهلاك الهند من أن نوعي الزنجبيل اللذين يسوان في الهند

- Ramusio, II, 22, p. (٢٠)
 Pegol, p. 360 et s., 366. (٢١)
 Marco Polo, p. 289, 385, 386, 480, 522, 524; Adierico da (٢٢)
 Pordenone, fr. Fol. 10r, B. xxlv.
 Pegol, p. 4; Clavijo, p. 161; Ghi lala, p. 219. (٢٣)
 M. Polo, p. 422; Varthema, p. 186, a; Empoli, p. 80 (٢٤)
 Garcia de Orta, p. 212.
 Voy la lettre de Fr. Menestillo de Spolite, dans les Mss. de (٢٥)
 gel. 222, 1895, p. 113.

عابه هذا الاسم سمو جلف قاليقوت ، على مساحة تبلغ حوالي ستة إلى تسعة أميال ، ويخطي بالتقدير نظرا لجودته (٥١٦) *

كان النوع الثاني من المرججيل ، في رأي بيحولوبي هو كولومبيسو ، *nell'isola del Colombo d'India* لأنه سمو في كولومبو الهندية . هذا التعبير يحتاج إلى شرح . فالواقع أن هذه الفقرة لا تتعلق بكولومبو عاصمة جزيرة سيلان ، ولا حتى بجزيرة بلدها ، ولكن بمدينة بحرية . فلما أن بيحولوبي يستخدم كلمة *كلا* (جزيرة) بالمعنى الواسع الذي تشمله الكلمة المرادفة لها في اللغة العربية ، أو أنه وعدا أرجح ، كانت معلوماته عن موقع المدينة التي يتكلم عنها غير صحيحة . فالمبشرون من مراطشة ، وهم أودريكو دا بوردسيوس ، وجورداس كاتالامي ، وجيوفاني دي ماريوني (٥١٧) يدكرون في وقت لاخر مدينة يسمونها كالمبوم *Columbum* (كتب أودريكو بالومبوم *Polumbum* وهي ليست سوى كويلون (كولم عند العرب) على ساحل ملبار . كانت محاورات هذه المدينة نتج رجلا جيدا . وعلى أية حال فإن هذه الحقيقة يؤيدها أيضا من رجالة المصور الوسطى . بسامي دي توديل ، وعازكو بولو ، وأودريكون دا بوردسيوس ، ونسكولو كوتشي (٥١٨) . ويختلف هؤلاء فيما يظهر فقط بعض الشيء من حيث التسمية التي يتعين إطلاقها على هذا النوع . واسم كويلون يتحول فيما كتبه عازكو بولو إلى كوالون *Coilon* ، وإلى كولوين *Coloen* عند كوتشي ، وكى واحد من هؤلاء يشتق صفة المرججيل من اسم البلد الذي وجد فيه ، فيجعل الأول منه كوالومي *Colomi* ، والثاني كولوبي *Colobi* ، وشاهدت في لغة يماره المصور الوسطى على إطلاق واسم الصيغة كولومبيسو التي استخدمها سحولوبي (٥١٩) *

-
- (٥١٦) *Barbosa*, p. 211, b, 222, a ; *Costi*, p. 48; *Héren de St. Stefano*, p. 245, a ; *Vārāṇasī*, p. 142, a ; *Somnar*, p. 222, a ; *Sernig, l'ed.* p. 120, b; *Mānṣur*, p. 27; *Nidān*, p. 20.
- (٥١٧) *Oderico da Pordenone*, ad *Tule*, p. 21-22 ; *Jord. Cais.* p. 20, 22 ; *Marign.*, p. 86.
- (٥١٨) *Benq. de Tud.*, p. 140 ; *M. Polo*, p. 244; *Oder.*, p. 215 ; *Costi*, p. 46.
- (٥١٩) *Usa*, p. 20, 61, 111 ; *Chiacini*, p. 123, a ; *Romani, State*, p. 111, 201 ; *Labe*, l.c., p. 20; *Mānṣur de Paris*, II, 311, 320; *Doutt d'Arca*, p. 212 ; *Pagol*, p. 222, 220.

ويسمى بـجولوي النوع الثالث *Giungovo mitchino* (رنجييل مكة) (٥٢٠) ، ويقول انه وارد في محاورات مكة هذا المصنف معتقاً في عهد ، وينبغي تفسيره بأن الموضوع المقصود لم يكن من إنتاج الأقليم ، وإنما هو سلعة في سوق مكة (٥٢١) ، وثلاً ينبغي أن يقرأ في كلمة « محاورات » معنى واسع للغاية ، لأن الأقليم الذي يسو فيه هذا النوع من الرنجييل يشمل شبه الجزيرة العربية كلها مع جزر البحر الأحمر (٥٢٢) ، وربما أيضاً ربحار ومغشقر (٥٢٣) . هذا النوع من الرنجييل الذي يحمل هذا الاسم ويرى بالأمستردام ومنها إلى أوروبا (٥٢٤) ، قال عنه بجولوي انه أقل جودة من سائر الأنواع ، وأنه صعب ، يصعب قطعه . والغريب أن صحيفة *Ménagier de Paris* تقول عكس هذا تماماً ، فتطالع فيها أن هذا النوع له كل صفات الرنجييل الجيد ، ويسير بسرع خاص يسهله قطعه ، وأن الرنجيل الوارد من كولون ادي عنه عربة - ويبدو أن الأسماء التي ذكرها كاتب الصحيفة تدل بالفعل على أن بياناته لم تكن قائمة على تقدير شخصي ، ففي عام ١٣٩٣ ، على سبيل المثال كان تس الرطل من رنجييل كولون (كولومبيا) في السوق الفرنسية أحد عشر « صول فرنسي » *sols* ، أي حوالي ٣ ليركا من نقودنا الحالية ، وثمن « ربيع الرطل » من رنجييل مكة خمسة « صولات » أي عشرين صول . تس الرطل « أي القصب (٤٢٥) » . ويبحث سانوتو في كتابه *Diarii* كثيراً عن التوابل ، ويعطي قوائم بالأسماء . لا يجب عليها الرنجييل فقل لم يكن للرنجييل من نوع كولومبيو وجود في التجارة في العصر الذي كتب فيه ، ومن ثم لا يعرف عن طريقه سوى القيم المسجلة للرنجييل البلدي . والمكي ، وصدر النوع الثاني أقل دائماً من سعر الأول .

كان الرنجييل يباع على شسكلين . إما أخضر ، وإما مطبوخاً (بمعالجته بالسكر ...) (٥٢٦) وكان الهنود يمدون منه

-
- Sauv., *Diari*, p. ex. III, 1108, IV, 164, V, 35, XI, (٥٢٠)
 54, 104 et ss., 227 et ss., *Préface*, p. 169.
Fabel, II, 942. (٥٢١)
Voyage à la Tine, p. 145, b, 146, a, *Abou Hanifa dans l'Inde* (٥٢٢)
Beitar, I, 827, *l'Inde-al-Mogharir*, *Paris Sprenger, Post-und Reisever-*
ten, p. 132, *Abdallah*, p. 23 *Musart*, p. 26 *Châtelet*, p. 222.
Abdallah, I, c, *Wazir*, p. 146. (٥٢٣)
Pegol, p. 206, 265 ; *Umar* p. 23, 61, 111, 114, 201 ; *Paul*, (٥٢٤)
 p. 52, b, 22, a, etc.
CY le Ménagier de Paris, p. III, 226, avec *Pegol*, p. 206. (٥٢٥)
Paul, p. 124, a ; *John de Gardanne*, *ibid.* : *Umar*, p. 25. (٥٢٦)

مسحورات محفوظة (٥٢٧) ، عرستها العرب باسم « زنجبالية »
 Zindjebālyeb (٥٢٨) . يشتره البريون من الاسكتلندية وهذا ما أسموه
 Zenzoverano d'India (٥٢٩) . وفي العرب كان المطايون يصنعون مسحوقا
 منظره من الزنجبل . ومن ثم كان اسمه diazozuberoco (٥٣٠) . وفي
 العهد يستعمل الزنجبل على الأخص كنوع من السواويل ، مع اللحم
 والسك ، وينحل أيضا في تحضير الأبنية الثقيلة (٥٣١) .

صمغ الكثر : Gomme Adragant

هناك أنواع عديدة من الشجيرات من جنس الاسطرغالس
 astragales (أصابع المروس - نبات من جنس الكثر) من فصيلة
 القرنيات الفراشة - الشهل) ، تفرد خاصية معينة ، ذلك أنه اذا جرى
 حرات على جذعها ، أو حدث شق طبيعي في اللحاء - يسكب من اللب
 سائل لزج ، يتجمد للحال عند تعرضه للهواء الجوي . عند المادة تشترك
 في الحركة الجارية باسم Gomme adragante . ويذكر بيجولوني
 بلدين يؤخذ منها هذا الصمغ اباي الصور الوسطى ، بلاد الروم ،
 وبركيا ، أي اليونان ، وآسيا الصغرى (٥٣٢) . والواقع ، كانت اليونان
 في التاريخ القديم كله موطن صمغ الكثر ، ولم تزل إلى وقتنا الحاضر
 تنتج منه تشكيلة تعرف بشكلها الحبيبي أو النودي ، يطلق عليها اسم
 « صمغ كثر اللوز » ، لا أن أحسن نوع منه يأتي من وسط آسيا
 الصغرى ، ويسمى في الوقت الحاضر عى طريق ارمير أو القسطنطينية
 ولكن في عصر بيجولوني (٥٣٣) كانت سباليه Salalia في السوق الكبيرة

-
- Imb Baloutia, III, 176 . Barboas, p. 253, a . Garcia de (٥٢٧)
 p. 212.
 Silvestre de Sacy, éd. d'Abdallah, p. 812. (٥٢٨)
 Pegol, p. 258, 217 et ss ; Uss. p. 38 ; M. Hambury, Science (٥٢٩)
 papers, p. 480, 483 ; Schults, Das östliche Leben, I, 283, not. 3.
 Voy. Guist de Provin, Bible, dans les Fabliaux et contes, (٥٣٠)
 éd. Barbazan et Mian, ٧٧ ٧ ٢٤٧١ 2427 . Job. de Garandia, p. 28.
 Ménagier de Paris p. 197
 de cuisine, éd. Douet
 I, 269 et ss.
 Pegol p. 258, 276 ; Imb Beller (trad. franç.)
 p. 19 . Pegol, p. 113 ; Cf. Hamilton, Belles
 Pegol, p. 376 ; Pomet, Hist. des drogues, II, 16 (٥٣١)

لصمغ كثيرة آسيا الصغرى ، ولم يكن هذا سوى نتيجة طبيعية لوقوع هذه المدينة ، على شمال خليج ستالة بيند اللبم مشهور بكمية هذا المنتج ، وهو ببسبدا القديمة Fendi التي أصبحت منذ ثرو الأتراك آسيا الصغرى ولاية حميد Hamad (٥٢٤) ويذكر بيجولوتي أيضا سواقي يوجد فيها صمغ الكثيره قبرص والاسكندرية (٥٢٥)

وفي المصور الوسطى ، كان هذا الصمغ يستعمل لبعض أغراض ، فكان يسمى دواء ميثعلا (٥٢٦) ويبارس الشافر جيون دي برونس la Bible Quiot do Provin في قرية من شعرة الهجاني بمنازل (الكتاب للقص) يبارس قريحة الزقادة على حساب انباء هوديليه ، واثبات الادوية التي يصفونها (٥٢٧) فيلذكر ، بين ما يذكر ، في بيت الشعر رقم ٣٦٢٢ مشرونا يسميه دياراجو dyadragum . ويوجد هذا المتروپ بمصر عد مؤلفين آخرين بالشكال أصبح dyadragatum (٥٢٨) أو dyadragantem (٥٢٩) ، ويصعب ذلك الذي يستخدم صمغ التسمية الأخيرة ملاحظة فحوها أن المطايرين يطول هذه المادة على أنها دواء ميثع . بل أن الاسم نفسه يدل على أن صمغ الكثيره هو المصنوع الأساسي في المادة . ومن جهة أخرى ، كانت صناعة المصور الوسطى يستعمل هذا الصمغ في اعداد اللزورد وفي التدهيد (٥٤٠) ولم يسمي أن أحد دليلا أكيدا على استعماله كثبت في الصناعة .

صمغ اللك Gomme laque

في الهند والهند الصينية أشجار من الفصيلة السومسية (الموريبوسه) Euphorbiacées وبخاصة من نوع Alcaites lacifera Willd التي تنمو في الأرض من جنس الكوكس لاك Coccus lacca هذه الأربعة تستقر على المصون وتغطيها بطرطها ، وتخرج بذلك عصارة اللبنة الراسجة (الصمغية) التي تمتدق في الخارج ، ويختلط بها كدابة بعض

(٥٢٦) Fluckeliger and Hanbury, Pharmacographia, 2 éd., p. 178.

(٥٢٧) Pegel, p. 56, 378.

(٥٢٨) Constantinides afric, opp. I, p. 368, 383.

(٥٢٩) Fabliarux et costes, éd. Barbapen et Méas, II, 391 et 2.

(٥٣٠) Archiv. stor. ital., 3e série, XIII, 2, p. 126.

(٥٣١) Joh. de Garcondie Michenarius, éd. Géraud, suppl. au

Paris sous Philippe le Bel, p. 596, éd. Schöler ; Fluckiger, Das Noordlinger Register, p. 11.

(٥٤٠) Liber divers. art., p. 748, Mussetti. Anale. ital., II, 373, 376.

الواد السائلة الخاصة بها . ونكسها على أية حال لونها الأحمر الجليل .
ويكون على هذا النحو حول الفصوص شجرة مسيكة حمراء ، تنهى بأن
تغطي الأرضات نفسها . هذا هو صمغ اللك (٥٤٦) . وكان هذا الصمغ
مروغا من قديم الزمان على أنه مادة صياغة ، ويستعمل في تركيب
البريق أو الورديش ومعاجين التلميع . وكان صمغ اللك مادة منتشرة
كثيرا في تصارة الفصوص الوسطى (٥٤٧) ، ويتكلم عنها ييجرلوتس
بطبعة الحال ، ولكن يبدو أنه لا يعرف أن صمغ اللك هو نتاج حشرة .
ويعتبر أنها دائمة قطرية أو لمرّة معص البساتين ، ويقسها إلى أنواع
ثلاثة . اللك اسميا *lacca acorba* ، أي اللك الأخضر ، وله لون
مائل للون التوت قبل صفه . وهو جامد القلس ، (٢) اللك ماتورا
lacca matura ، أي اللك الناضج ، ويتكسر بسهولة تحت ضغط أصابع
اليد ، (٣) *la lacca communale intra acorba e matura* ، وهو نوع
وسط بين النوعين السابقين (٥٤٨) . ويصل صمغ اللك إلى السوق
إما كمادة خام ، أي بعائلته الأصلية ، ولم يزل به شغلًا من الفصوص .
مما يصفي عليه مظهرًا غير مقبول لدى المشتري (٥٤٩) . أو معرّج في
قالب بعد تلييه على النار . ومن ثم فهناك تصيب آخر ، أي *lacca cruda*
(لك خام) ، و *Lacca Cala* (لك ناضج) (٥٥٥) . وهناك أجزاء نوع يباع
على حده باسم *polvere di lacca* وهو مسحوق مكون من حبيبات مبروعة من
الجزء الخارجي من الشجرة . ونوع اسمه *fiori di lacca* ، وهو سلعة أخرى
يسك في ألبا صمغ على شكل حبات الحرور (٥٥٦) واسم صمغ اللك
نفسه يتشتب عن أصله ، فهو مشتق من الكلمة الهندية لأكسا *laksha*
أو لأكها (٥٤٧) . وإن لم يحب طهي ، فإن ينكولو كوتلي كان

(٥٤٦) Brandt et Reinsburg, Medicinale Zoologie, II, 228 et ss.

(٥٤٧) Lib. jur. I, 71 ; Taf et Thom., III, 444 , Assis de Jénus .

II, 174 . Pegol., p. 17, 44, 48 etc ; Urm., p. 111 ; Chiastel p. lxxviii,
b , Capmany, II, 2, p. 4, 17, 20 ; aguen., p. 73.

(٥٤٨) Pegol., p. 303, 314 et s., 366 et s. , Urm. et Chiastel, op. cit. :
Brandt et Reinsburg, loc. cit. p. 228.

(٥٤٩) Pegol., p. 383 . Garcia de Orta, p. 183.

(٥٥٥) Pegol., p. 397 "Lacca cruda" Lib. diverf. art Montp., lib.
I, cap. 8, p. 734.

(٥٥٦) Pegol., p. 336, 338, 358.

(٥٤٧) Lassen, Ind. Altherth., I, 317 , III, 31 et s.

أول رجاله أوروبي رأى سمع ذلك في الموضع الذي يتكون فيه (٥٤٨) . وهو اد يزوي اكتشافه هذا ، يذكر في الوقت نفسه أسماء الأسواق الرئيسية التي باع فيها هذه السلعة . ولم تتميز الأمور بمرور الزمن . هذه الأسواق ما زالت هي قاليقوت (٥٤٩) ، وكيماي (٥٥٠) . غير أن هذا لا يرشدنا إلى المكان الحقيقي المنتج لصبغ ذلك . وأقاليم ومسقط شبة الجزيرة الهندية ، وشغل مملكة برمجا Néranga متامة متميزة وكانت تنبع من هذا النوع صبغة أكثر عطاء (٥٥١) . ثم كان هناك ساحل كروماندل (٥٥٢) ، وإلى الشمال حوض نهر الجانج (٥٥٣) . غير أن البلد الذي ينتج طبقة أكبر كميات من هذه المادة هو الهند الصينية ، في إقليم بيجو (في بورما) Pegou ، ومرتبان Martaban ، وتسماريم Ténasserim ، في بورما ومملكة سيم (٥٥٤) . عشر كذلك على الكتب من سمع ذلك في جزيرة ، سوطرة ، وكان من الحاصلات المحلية ، رغم ما يقوله حارسيا دي أورنو (٥٥٥) وألك إرتاباني ، وألك السومطري مادان مبيربان ، يبدو أنهم كانوا متشككين هذا في تجارة الشرق (٥٥٦) . وعلى عكس ذلك لا أحد في تجارة العرب في العصور الوسطى مثالا لعت يلحق باسم صمغ ذلك لتحديد مصدره . أما بيجولوني فإنه يضيف أحيانا قلمت chonaholi أو gambouli (٥٥٧) باسم النوع الذي يصنف بأنه lacca matura (لك نامج) ولعل هذا تحريف لاسم كيماي الذي يكون عذته موطن لهذا النوع بالذات . كذلك لا شك في أن العرب يتلقى سمع ذلك من فالسوط على طريق عدن والإسكندرية (٥٥٨) .

- Ed. Kuntmann, p. 40 et a. (٥١٨)
 Sommaro, p. 335, b. Sernigi, p. 20, madsouri, p. 37. (٥١٩)
 Sommaro, p. 34 b ; Variberna, p. 187, a ; Sommar : p. 327, a ; 328, a ; Masmari, p. 26 ; Nikitin, p. 21. (٥٢٠)
 Barbosa, p. 317 a. (٥٢١)
 Boileiro da viagem que fez Vasco da Gama, p. 104. (٥٢٢)
 Balbi , de Brey's Reisen, p. 30. (٥٢٣)
 Variberna, p. 188, a ; Boileiro, p. 112 , Corsali, p. 140, a ; Barbosa, p. 316, b, 317, a, 323, a , Empoli, p. 09; Sommaro, p. 324, b. 325, a, 326, a. (٥٢٤)
 Boacchino, p. 103, b , Variberna, p. 187, a , Boileiro, p. 100, 113 ; Crawford, Hist of the Indian shipwrecks 171, 437 , Wiesner, Gummel-Arten, p. 243. (٥٢٥)
 Barbosa, p. 317, a; Garcia de Orta, Lc. (٥٢٦)
 F. 315, 366. (٥٢٧)
 Sommaro, p. 326, 6 ; Boileiro, p. 112 , Pegol, p. 56. , Gualdardini, Opere inedite, VI, 222 , Sernigi, p. 120, a. (٥٢٨)

ولما كان صمغ لك مرتابا، وبخاص الإثج الحل (٥٥٩) ، كما كان أعالي كجرات يشغلون مكان الصدارة في كيمياء ، فانهم يرسلون منهم طلبا لصمغ اللك من مريانا (٥٦٠) * والكاتب أن صمغ اللك الذي تنتجه الهدهد الصبغية يصل الى أوروبا عن طريق القاموط وكيمياء *

وقيل أن صمغ هذا الموضوع ، يجب أن البعض يحتل لحيانا بهو اللك lacca (صمغ اللك) وبين الجرايا grana (مدر القمر) ، فمثلا ، اللك دي رومانيا lacca di Romania (صمغ اللك من اليونان) لا يمكن انتاجه الا بواسطة الكوكس إيليسر Coccus Ilcis (قملة القمر) ، وليس الكوكس لاكا Coccus Larca

وعن استعمال صمغ اللك ، نكتفي بالقول بأنه يستعمل في صناعة الصابون ، والصقل (٥٦١) ، وفي الطب (٥٦٢) *

النبج (النيلة) Indigo

عرفت المصور القديمة مادة الصبغة التي تستخرج من نباتات من جنس الاديغوفيرا Indigofera ، وأطلقوا عليها اسما مشتقا من اسم البلد الذي يشيها * وفي المصور الوسطى كانت بغداد هي السوق الكبيرة للنبج ، ومن بين صفات النبج ، كانت جودة نبج بغداد هي الأكثر ترددا في الكتب التي يستعملها التجار ، والمؤلفات الخاصة بالتجارة والمصارف في ذلك العصر (٥٦٣) ، وأوصفت بهذه المادة بعض الكتب الخاصة بالصناعات والحرف لأنها تحتوي على لون أزرق أكثر مما تحتوي عليه مواد صناعية أخرى (٥٦٤) * وليس هناك أي دليل على أن النبج

-
- | | |
|--|-------|
| Barbosa, p. 323, a. | (٥٥٩) |
| Boncompagni, p. 338, a. | (٥٦٠) |
| Lib. divers. art. Montp., lib. I. cap. 9, p. 754 | (٥٦١) |
| Dialacca. Leckleschur, dans Röschiger, Nordlinger Register, p. 13. | (٥٦٢) |
| Pegol, p. 16, 65, 73, 111, 206, 306, 371 , Usm., p. 31, 63, 80, 111 114 | (٥٦٣) |
| Paol, p. 2, a, 79, a, 88, b, etc. , Bonaldi, State, Pis., II, 11.9 , III, 104, 113, 434, 436, 592 , Archiv. stor. L.a., 3e serie, XII, 2, p. 237, Capponi Memo., II, append , p. 73. | |
| Lib. divers. art. Montp., p. 744, 750 759 , Cennini, trad | (٥٦٤) |
| Eng. chap. 19, 47, 61 , Merrifield, Orig. treatise , p. 87, 273, 275. | |

الذي يباع في بغداد كان من إنتاج مجاورات هذه المدينة بل هناك شك في ذلك . غير أن من السلع التي يستورد في بغداد هي ولتا الحاصر ، نسيج ساج الهند (٥٦٥) . ولا مانع من الافتراض بأن الأمر كان كذلك في الزمان الماضي ، نظرا لتسهيله للتواصلات بين هذه السوى وبين الهند عن طريق الخليج الفارسي ، ومن ثم فإن الهند كانت تصدر إلى سوق بغداد جزءا على الأقل مما كان يباع بها باسم .

-- *Indaco di Baldacca, di Bacadetto, di Bagadeo di Gabbadeo*

أو بأسماء أخرى مشتقة من الاسم نفسه التي حرره اللهجات الشعبية . في جودته ، فكان هذا المحصول من سلع التصدير الهامة . ويذكر الوسطى عن إنتاج السلع . ويذكر ماركو بولو بيع حاصي المزارع الكبرى التي رآها في كويلون (كوالون) (٥٦٦) وجوزيرات (٥٦٧) ومجاورات كيباي (٤٦٨) . غير أن نبات النيلج يسو أيضا في بلاد أكثر قربا من بغداد ، ويرد على طائفتين واسع في إقليم كابول . وكانت له شهرة كبيرة ، ويصفوه منه كميات كثيرة (٤٦٩) . وفي جنوب شرقي فارس كان أصلي كرمان يزاولون بنشاط هذه الزراعة ، كما كان أهالي هرمز (المدينة القائمة على اليابسة) يحصلون في مزارعهم على محصول من السلع مسافر في جودته . فكان هذا المحصول مع سلع التصدير الهامة . ويذكر المؤلفون العرب كثيرا إنتاج الهند ونيلج كرمان في آن واحد ، ولا يفرقون كثيرا في اللاتيني ، إلا أن سلج الهند أكثر صفاه من الآخر (٥٧٠) . ثم لم تكن هناك أهمية لمعرفة المكان الحقيقي الذي يرد منه النيلج ، ذلك أنه يبدو واضحا أن منتجات الهند ، وكابولستان ، وكرمان تسلك كلها طريق بغداد ، ومنها تنتقل إلى الغرب بتسعة واحدة : نيلج بغداد (٥٧١) . لذا انتقلنا إلى النيلج الوارد من جهات أخرى . تبين لنا أنه لا وجه لمقارنة بين نيلج قبرص ونيلج بغداد (٥٧٢) . فالأول أكثر حسونة ،

Ritter, Erdk., XI, 312, 327, 328.

(٥٦٥)

P 344.

(٥٦٦)

P 360 , Nikitin, p. 23.

(٥٦٧)

P. 360 ; Nikitin, p. 3 , Conil, p. 43 ; Hieron de S. Stefano, p. 76, b De Gubernatis, p. 169.

(٥٦٨)

Erdk. I 123 In Baobab, cit dans Reinard, Mem. sur l'Inde, p. 346.

(٥٦٩)

Isidori, p. 10 , Eticel, I, 424, In Bebau IL 567 , Ariscone, cit dans Beckmann Beiträge zur Geschichte der Erfindungen, IV, p. 308.

(٥٧٠)

Pagel, p. 12.

(٥٧١)

Le géographie de l'Égypte de Chypre, par M. de Mas Latrie ,

(٥٧٢)

Pagel, p. 45.

وثمة في الأسواق أقل أربعة أصناف من بيلج بغداد (٥٧٣) * ويستدح
 الإدريسى الرايا التي لا تظهر لها لبيلج الذي يسميه بيلج ولحات مصر
 ألمانيا (٥٧٤) ، ومع ذلك يسير اساج مصر من هذا النوع أقل حوده من
 بياج الهند (٥٧٥) ورغم ذلك فإن زراعة البيلج كانت متقدمة هناك كثيرا
 بل إن ذلك كان من الحاصل التي تسترعى انتباه المسافرين
 العربيين (٥٧٦) * وفي مسحا أن لذكر أيضا في هذا الخصوص شمال
 إفريقيا (٥٧٧) ، وإسبانيا (٥٧٨) ، وصقلية (٥٧٩) ، غير أن هذه البلاد
 تقع خارج الدائرة التي تشتملها دراسة هذه وحتمًا لهذا البحث عن
 أنواع البيلج الشائعة في تجارة العصور الوسطى ، يبقى لي أن أذكر
 Vinario (vaccaro, saccharo), l'indaco sacaro del golfo

الذي يبدو لي أنه هو نفسه السابق ذكره ، باسم آس * وأخيرًا
 l'indaco nianati ، واعتري أنني لم أستطع أن أفرى موطنه ، وهو
 بالتقريب (٥٨٠) *

ولمعرفة الأوبة التي بدأت فيها التجارة نشر البيلج في العالم كله ،
 يتعين الرجوع إلى أصول العصور القديمة ، ومع ذلك ولكي يشيع تداول
 البيلج في أوروبا ، كان لابد على أقل تقدير من ظهور الدافع الجديد الذي
 أحدثته الحروب الصليبية لصلوات التجارة بين الشرق والغرب (٥٨١)
 وترجع أقدم الوثائق التي تذكر البيلج في العصور الوسطى إلى القرن
 الثاني عشر ، وتنسب إلى إيطاليا (جنوة ، فيراى) (٥٨٢) * ويشيع
 بالتالي ظهور البيلج في فرنسا عام ١٢٢٨ في قائمة من السلع المرفوعة
 لديها رسوم جبركية في مرسيليا (٥٨٣) ، وفي إنجلترا عام ١٢٧٤ على

Pegol p. 371, 398.

(٥٧٣)

I, 132 et s.

(٥٧٤)

Abdalla et éd. de Sacy, p. 28.

(٥٧٥)

Arnold, Lubec, éd. Paris, XXI, p. 238, Sigoli, p. 171

(٥٧٦)

Bonini, Stato, Pis., III, 104, 112, 484.

(٥٧٧)

(٥٧٨) ابن العوام ، جردان ، ٦ ، ص ٢٢٧ وما يليها *

Huillard-Bréholles, III t. dept. Frédéric III, vol. V, p. 371.

(٥٧٩)

Pegol p. 294, 113, Dux, p. 21, 22, 80, 111, 114. Capmany II, app. p. 73 ; Bonini, Lc., III, 512; Paul Toulmon de Montpellier p. 237

(٥٨٠)

(٥٨١) حتى نهاية القرنين الثاني والثالث في سوريا ، كانت يزرع حول لبنان

Taf et Thom., II, 232.

Lib. jur., I, 71 et s. ; Murat, Antiq., II, 894.

(٥٨٢)

Méry et Guindon I, 947, Bourquelot, p. 281.

(٥٨٣)

فاتورة (٥٨٤) ، وفي زمن أقرب إل مصرنا الحاضر ، وجدت طريقة لاستخراج لون أوريق حملي من السنبل Pappel ، ولم يردد المخرج في أن يسب لهذا الشج صعه ال Iodurum ، ولو أن السيل لا يسجل في مركبه (٥٨٥)

العلاج Ivoire

هل كان العلاج الذي يرد إل الغرب إبان المصور الوسطي يأس معظمه من الهدهد من أفريقيا ؟ أنها لمشكلة يحسن إيجاد حل لها ، ولو أن كتب التجارة في ذلك العصر لا تزودنا بأية معلومات في هذا الخصوص . ويذكر ييجولوتي العديد من الأسواق التي يمكن الحصول منها على هذه المادة - ومنها على سبيل المثال الإسكندرية ، وعكا وفامايجوستا (٥٨٦) . على أنه لا يوجد في هذا البيان أي دليل يثبت صحة ما ورد فيه من أماكن - ويشير الإدريسي إل عدس التي رأى فيها العلاج ، ولكن هذه الأسواق تختص بالتجارة العابرة ، تتلقى العلاج من أفريقيا كما تتلقاها من الهند . ويتحدث الأسطوري في ذلك عن سيراف ، والواقع أنه لابد أن يصلها علاج من الهند . ومع ذلك ينبغي ألا نسي أن هناك حركة تجارية بسيطة تربط المياه بالناسيل الشرقي الأفريقي (٥٨٧) ، ومن ثم فإن منتجات هذا البلد لابد أن تكون موجودة بوفرة في هذا البلد (٥٨٨) . على أن ثمة معلومة تقطع في هذه المسألة ، يؤيدها ثلاثة من المؤلفين الذين كتبوا في تصور مختلفة - ذلك أن الهدهد لم تكن أبدا مكتفية بها عندها ، فكانت مضطرة دائما لأن تستورد عاجا من إثيوبيا . من أجل استهلاكها الخاص (٥٨٩) - والواقع أن العلاج أكثر وفرة في إثيوبيا منه في الهند والمعروف أن العيون الأفريقي له أعيان أطول وأكث بكثير من أعيان العرب الهدهد (٥٩٠) . وأن الأنثى تعوق الذكر من هذه الساحة ، ومن ثم فإن

Cernuschi, *ibid.*, fig. p. 167.

(٥٨٤)

Segreto per colori (CV edizio), dans Merrifield, *Orig. treatise*, p. 413. et s.

(٥٨٥)

P 46, 56, 59 ; les *Antiquités de Jérusalem*, II, 178 , le *Liber Primiflorum*, p. 118.

(٥٨٦)

Masoudi, III, p. 6.

(٥٨٧)

Edrisi, I, 81 ; le *fechar*, p. 76.

(٥٨٨)

Camus, *Indicople*, éd. Montfaucon, p. 339 Masoudi III, 8 , Garcia de Orta, p. 158.

(٥٨٩)

Columa, *loc.*

(٥٩٠)

الصيداء الصيداء على واحد من هذه الحيوانات يأتيه ببيع وفيه * وعلى العكس من ذلك في الهند حيث يؤدي الغيل المستأنس منتجات متنوعة ، ومن ثم يلقى رعاية وعناية ، فهو يبيع ما حيوان مقدس ، لا يصاد ، ويرك حتى يموت مونا طبيعيا ، ويعطى دائما قتل يكثر من عاج نظيره الأفريقي .
 رشا كان الهنود يصنعون من العاج أشياء كثيرة لاستعمالهم الخاص (٥٩٦) فانهم يلبسون إلى أثيوبيا للحصول على العاج * ومن جهة أخرى كان الصينيون يستهلكون قشرا هائلا من العاج (٥٩٧) ، ولما لم يكن في مقدورهم أن يوردوا به من الهند ، فانهم يحصلون عليه من المصدر نفسه (أثيوبيا) * وفي عصر التسعوني كان الطلب على العاج شديدا في هدين البلدي فحسب ذلك في فترة هذه الفترة في البلاد الإسلامية * وعلى هذا تكون الإجابة عن السؤال الذي طرحناه فعليه دراسة من الظروف نفسها ، فالعرب لم يكن في وسعه الا بصفة استثنائية أن يحصل على عاج من الهند (٥٩٨) لأن إنتاج الهند منه غير كاف لاستهلاك الغرب ، ومن ثم فإن القسم الأكبر من العاج الذي يرد إلى أوروبا كان يأتي من الساحل الشرقي الأفريقي ، ويتحدث مازكو بولو بعقبة - دور ثر پرور نفسه هذه البقاع - عن الكميات الهائلة من العاج التي تشكس بوع حاص في اسول ديجار ، ومغشقر * ويذكر لارتينا Varthema وبلغ Zeilah على الساحل ، في مواجعة عنس على أنها من أكبر أسواق العاج (٥٩٩) .

وفي المصور الوسطى ، كان يصبح في أوروبا من العاج أشياء كثيرة (٥٩٥) ، كالأمشاط (٥٩٦) ، ومقايض السكاكين (٥٩٧) وجلود الكتب الفاخرة ، وزخارف الكنائس (٥٩٨) ، وغير ذلك * وكان يسطى بمثابة دواء باسم Spedio di Liofante (٥٩٩) زباد أعظم أو أتياب الغيل المحروكة .

-
- | | |
|--|-------|
| Garcia de Orto, I.e. , Magoudi, I.e. | (٥٩٦) |
| Magoudi, I.e. | (٥٩٧) |
| M. Polo, p. 88 | (٥٩٨) |
| M. Polo, p. 817, 826 Ramus. I, 186, a. | (٥٩٩) |
| Nico, de Pegibond, (II, 78). | (٥٩٥) |
| M. Dümmler Formulaire re Salomon, III, évêque de Constance, p. 36. | (٥٩٦) |
| Boileau, Règlements, desarts et métiers de Paris, p. 155. | (٥٩٧) |
| Boileau, Ibid et p. 158. | (٥٩٨) |
| Pegol., p. 207 , Urz p. 24, 38, 192 , Cf. Constantia. Ap. | (٥٩٩) |
| Opp., I, 890 ; Platoucius circa insula, p. 288. | |

اللدن Ladanum

السلالات من الفصيلة ميسبس *Cistus* ، ومنها ميسبس كريتيكوس *Cistus creticus* L. الذي يسو في جنوب أوروبا ، وعلى السواحل الغربية لآسيا ، تنتج مادة لزجة ذات لون داكن (١٠٠) ، وكانت قديما مضى . وبخاصة في العصور الوسطى سامة تحاربة يستوردونها الغرب (١٠١) . لما الآن فانها لم تعد معروفة الا في الشرق الأدنى . يمكن بيچولوتي ، ويأري أنها تحلب من حريرة قبرص . ويقول ابن سينا ان رائحة اللدن القادم من هناك هو الأفضل (١٠٢) . الا أنه من حيث وفرة الانتاج ، كان لكاديا الفرسة الأول ، على الأقل في الفترات الثلاثة لهذا ، الكتاب (١٠٣) ويرغم السيد اجبر *M. Unger* ان اللدن لا يجمع الا في هاتين الجريتين (١٠٤) . ونسبت افارعه ان كان يقصد بذلك العصر الحاضر ولكن اذا كان يقامه العلم هذا يشمل العصور الوسطى ، فل ان اذكر له فقرة مما كنه شهب الذين ، حول فيها هذا الجرماني الغربي المشهور ان الرائحة لتشار اليه يجمع في منطقة آسيا الصغرى يسمى « اكيرا » *Akbara* ، ومنها يصعد أكبر قدر من هذا الحصى الى البلاد للبحر (١٠٥) . وبمقارنة هذه الفقرة بفقرة أخرى نفس الجرماني (ص ٣٣٨) ومقارنته الفقرة ، نرى ان حالات معاصرة ابن بطوطة (١٠٦) ، نستنتج ان « اكيرا » هذه لم تكن سوى « بلي كسرى » *Bali Kestri* وهي موضع جوارء ابن بطوطة عند دهبه الى بروجام *Pergame* (برغمة *Pergamah* عند برومة (١٧) التي نسب اليها الحرائط الحديثة بنى الأهمية .

(١) *M. Unger et M. Kotchy* (p. 330 et s.). *Belon, Observa-*
tions, p. 15 . *Tournefort*, p. 29 et s. , *Sieber, Reise nach Kreta*, II, 85-86.

Pagol, p. 4, 17, 54, 65, 80 etc. . *Pasi*, p. 141, b. (١٠١)

Conan, ib. II, 61 *Fleming*, p. 174 , *Mac Lerie, Hist. de Chypre*, III, 497, 435. (١٠٢)

Unger et Kotchy, op. cit., p. 406 et s. , *Belon, Le : Tourne-*
fort, l.c. et p. 25. (١٠٣)

Op. cit., p. 438. (١٠٤)

Not. et exir, XIII, p. 365 et s. (١٠٥)

Les notes de M. Deffrémery dans les *Nouvelles annales des* (١٠٦)

Les notes de M. Deffrémery dan les *Nouvelles annales des* (١٠٧)
voyages, 1818, II, 21 et s.

وكان رائج اللادن يستعمل فيما يخص سى العلب ، مثلا فى تركيب
 : الدرة (٦٠٨) ، كما يستعمل فى تحبيط (البشت (٦٠٩) .

الكنتان Lila

كانت أوروبا نتج ما يكفى من الكتان ، فلا تحتاج الى طلب هذه المادة
 من جهات أخرى من العالم . ومع ذلك ، ولما لم يكن الكم هو كل شيء ،
 فانها لم يسعها الاستغناء عن كتان مصر الذى لم يكن له نظير فى أى مكان
 آخر (٦١٠) . ويسمى الكتان بوفورة على طمسول جسر النيل ، أعلى
 القاهرة (٦١١) ، وعلى فروع النهر على ساحل البحر ، وداحل
 الدلتا (٦١٢) . وكان جزء كبير من الحصول يستهلك فى البلد نفسه
 فقد كان به عدد كبير من ورش السبيج التى يصنع بها سوغ خاص اقتصد
 وفيرة (٦١٣) . ونصب الأهل ، رجالا وساء ، ثلابس الكتانية (٦١٤) .
 ومع ذلك كان الكتان العام يتيح مجالا لحركة تجارية ضخمة ، فيصدر من
 دمياط ، وبخاصة من الإسكندرية (٦١٥) الى شمال امريقيا . وجزيرة
 قبرص ، والقسطنطينية ، وإيطاليا ، واسبانيا (٦١٦) .

زهرة جوة العلب ، او زهرة البسياسة Macis

(Noix muscade العلب جوز العلب)

الترنجين ، الترنجين ، عسل الندى Manne

طالع على خريطة فرامورو (٦١٧) ، بالقرب من مكة .
 شرحا يقول ان الترنجين يوجد فى شبه الجزيرة العربية ، فى كثير من

-
- | | |
|--|-------|
| Hankel, Westenderticon, p. 210. | (٦٠٨) |
| Comptes de l'argentaria des rois de France, publ. par De | (٦٠٩) |
| p. 12. | |
| Enaut, p. 24 , Journ. asiat. Se série, XVII, 27 | (٦١٠) |
| Ibn Balouta, I, 84. | (٦١١) |
| Edrisi, I, 316, 317 . Mermaid-el-Ilhha, cit. AbouNéa, éd. | (٦١٢) |
| Reinoud, II, I, p. 141 ; Ptole, p. 347 ; Tabar, p. 77 | |
| Edrisi, I, 320 | (٦١٣) |
| Freuchabari, p. 48, 49 , Filoif, p. 381. | (٦١٤) |
| Pegol, p. 18, 86, 317 ; Philof, p. 251 , Hôe des deuses des | (٦١٥) |
| Me sine, l.c., p. 77. | |
| Ibn Balouta, l.c., Pegol, l.c. , Uzi, p. 80 Benairi, Stat. Pta, | (٦١٦) |
| III, 104 , Archiv. slav Ital., Se serie, XII, 2 part., p. 134 ; Campany, | |
| II, app., p. 78. | |
| Er Zuria, p. 48. | (٦١٧) |

أصنافها ، وأنه أحسن ترنجبي في العالم ، وأن يسمى بـ *سوسون* ، من
 منه على أوراق النباتات على ما يسقط على البجارة ، وأن الترنجبي الذي
 يجمع في البلد نفسه (هي شبه الحرية العربية ، أو في مكة) يسمى
 عشيا مكيا Mechina ، وسواء أخرج الكتب على الخريطة بأن
 هذه مادة متداولة في التجارة ، ولم تفسر الأبحاث التي أجريت في العصر
 الحديث في إثبات أن الترنجبي متوفر بهذا الاسم في بلاد العرب ، ولقد
 فيها الهاجي كاميلاوم *Alhagi Camelorum* ، وسوف يرى أن في فارس
 يتضح في هذا النبات نوع من الترنجبي ، ولكن لا أعرف ما إذا كان هذا
 النبات ينتج أيضا في بلاد العرب هذا الصنف العسلي القوام دون إجراء
 عملية صناعية . وثمة نبات آخر يمكن أن يسج الترنجبي ، ذلك هو
 ساريكس جاليكا *Tamarix gallica* المنتشر في بلاد العرب ، ولكنه
 لا يطي ترنجبا إلا في بعض وديان جبل سيناء ، ويكتسب مخلوطة وفي
 عصرنا العاشر يجمع نلو سيناء محصولهم من الترنجبي إلى مسحوق
 القنبرة (١١٨) ، فليس من المستحيل أن في العصور الوسطى أن يرسل
 ترنجبي سيناء عن طريق مكة إلى الإسكندرية ، ومنها إلى الشرق (١١٩)
 وتجد في بعض المؤلفات إشارة إلى ترنجبي سوريا (١٢٠) ، والراجع أنا
 هذا نبات نوع من الترنجبي يمر بسوريا موزا عابرا أنه الترنجبي
Terendjehtn أو لصناعة العسلي التي تنتج من الإلهاجي كاميلاوم
 الذي لم يزل يجمع اليوم في فارس ، ويروج خاص في شومان ، في
 مجاورات بخاري ، ومنها يصدر تجاريا (١٢١) .

وكان هذا الترنجبي يجمع قبل في العصور الوسطى ، وهذه حقيقة
 لا مجال للشك فيها ، وكان الأطباء العرب يعرفونه ويعرفون مصدره (١٢٢) .
 كان يباع في أسواق سمرقند ، وليرير ، والسلطانية (١٢٣) ، كما كان في
 مجاورات هذه المدن (١٢٤) ، ويؤكد غيستيل *Ghistele* أن البطريق
 الدريبي يستوردونه من فارس (١٢٥) ، ويرجح أنه يمر بحلبه

-
- | | |
|---|-------|
| M. Ruffer, <i>Exk.</i> , XIV, 882 et ss. , <i>Flückiger. Pharmacognosie</i> | (١١٨) |
| des Pflanzenreichs, p. 18 et ss | |
| <i>Ghistele</i> (p. 311). | (١١٩) |
| Paul, p. 90, b. 30, a. 118, b. 125, b. 129, a. 130, b. 132, | (١٢٠) |
| a. 133, a. <i>Pegolotti</i> , p. 13, 37, 43, 59, etc. | |
| <i>Polsk, Persien</i> , II, 376, 376. | (١٢١) |
| <i>Avicenne</i> (éd. Gildemeister, p. 174 ss s). Ibn Beljar (I, 237). | (١٢٢) |
| <i>Clavigo</i> , p. 113, 281 , <i>Ghistele</i> , p. 311. | (١٢٣) |
| <i>Edrisi</i> , II, 370 <i>Ghistel</i> , op. cit. , <i>Teurnsfurt, Voyage</i> . | (١٢٤) |
| I, 124. | |
| P. 217. | (١٢٥) |

أو اللاذقية • ولما كان التجار لا يتوعدون كثيرا في داحس البلد ، عامهم كانوا يعتبرونه من التاج مسوريا •

وفي الوقت الحاضر يستورد صيدلة بلادنا التريجي من صقلية . ويستخلصونه من دودار التريجي *Frazinus Orens* • على أنه لا يوجد دليل أكيد على أن صقلية كانت تسج في الصور الوسطى ، وقد يخطئ المرء إذا أرجح أن عصر السيادة العربية توطئ دودار التريجي في الجريز (٥٢٦) •

المصطكي Mastic

البيت الذي يسيل من جذعه وأغصانه الراسخ المسمى المصطكي هو صرب من الصمغ الصنوبرية (يستأثريا لتسكس) *Pistacia Lentiscus* ويشير من سائر أنواع هذه الفصيلة بطبيعته الشجرية والبستاشيا لتسكس يمدو بوفرة في كل البلاد التي تحيط بالبحر المتوسط • غير أن النوع الذي ينتج المصطكي لا يأتي إلا من الأرخبيل اليوناني (٦٢٧) • ولا يلقى حاية زراعية ، واستملاا مضطرا في جزيرة حيوس (٦٢٨) • وبعد أقدم الألمان لم يعرف الشرق جزيرة حيوس إلا أنها «جزيرة المصطكي» وفي الصور الوسطى كان للمنافرون الذين يمدون بالأرخبيل (بحر ايجه) لا يلوتهم أن يتوقعوا بالجزيرة ، ويذكروا في رواياتهم هذا للحصول الفريد في نوعه (٦٢٩) • وبإسناد الظار في هذا الخصوص للاسط ، كما لاحظ من من بوندلمونتي *Buondelmonti* أن زراعة المصطكي مكررة في الجنوب والجنوب الغربي من القسم المنخفض بالجزيرة (٦٣٠) الذي يسيل الطرف

- (٦٢٧) Hanbury, Science papers, n 323 et ss. ,
Flückiger and Hengery, Pharmacographia, 2 éd., 409
et ss.
(٦٢٨) Feldreich, Nutzpflanzen Griechenlands (Athènes, 1892),
p. 61 , M.M. Unger et Salsky (Die Insel Cypem, p. 421) , Flückiger,
Documenta zur Geschichte der Pharmacie, Halle, 1874, p. 31,
41, 63, Isidori, (p. 483).
(٦٢٩) Unger l.c., p. 419 et ss. , Fustel de Coulanges, Monographie
de l'île de Chio, dans les Archives des missions scientifiques, V
p. 486 et ss.
(٦٣٠) Daniel, éd. Nordoff, p. 7 . Jord. Catal., p. 64; Wllh. V
Baldensels, p. 340, Ladolf von Seibem, p. 23 , Clavijo, p. 42, Buondelmonti,
p. 118 et s. , Ghislade, p. 356 ; Tafel p. 124 et s.
M Unger (op. cit.). (٦٣٠)

المعروف بها اسما ذا دلالة ، وهو كابو ماستيكو *Capo Mastico* • ويحصل اصطاعيا على سبيل الراتنج باحراق حرات على جذع الشجرة ، وكان الرحالة وعلماء الطبيعة في العصور الوسطى يعرفون هذه الطريقة • وفي التجارة تفضل الاصطكي المتحددة بشكل جلفطات على الشجرة صمها على الاصطكي المتساقطة على الأرض ، رغم أن الأهالي يمتسون بكسر الأرض وبسط القشبة تحت القفصون لسح احتياط المادة الشبية بأية أدوات ، (١٧٣٦) •

والمرور أن الاصطكي تسعمل في صنع معجرات عطرية ، وتركيب بعض أنواع « الوريش » ، وكان قدامى الأطباء يسيرون إليها خصائص علاجية • لذلك لم يكن أهالي حيوس يخلون أية مشقة في تصريف محصول حريتهم لرئيسي ، ولا يصادون إلى الغرب إلا خربا قليلا مه • وينصب القسم الأكبر إلى الشرق • ويقول بحولوني أن أسواق الاصطكي هي الإسكندرية ودمشق ، ورأي في الإسكندرية صندوق الاصطكي يباع بسعر مائة دوكا • وكانت سجلات « الماعون » البحري الذي امتلك الجزيرة أملا طويلا بحرب بالانتماءات التي تسلكها رسالات الاصطكي • ويبدو في ذلك البحر أن رودس ، وقبرص ، ومصر ، وسوريا ، وأرمينيا ، وألمانيا الصغرى ، واليونان لم تكن تستهلك سوى ثلث المحصول (١٧٣٧) ، ولا شك أن الاصطكي كانت في السابق المتصلة لدى الشرقيين في تركيب «البان» الذي يمشغونه ، والطور التي يحرقونها •

اللوبيا Momia

يطلق اسم مومياي *Moumiaz* أو مومياهي *Mouminahi* في فارس على نوع من القطران المعدني *asphaltite* الذي اشتهر بأن له خصائص علاجية (١٧٣٧) ، وكان أحسن نوع مه يستخرج من غار يرجع أهالي البلد

(١٧٣٦) Flabertius, *Circa asiana*, p. 1001 ; Absciff, *trad. Rehaud*.

L. I, p. 223 ; Wiltz, V. *Boisduval*, p. 240.

(١٧٣٧) Fuchs, p. 376 ; Sept. art. *Gistiziani*, dans Ersch et Gruber, p. 231 ; Pegol, p. 17. 43, 52, 54, etc.

(١٧٣٨) M. Bekherl, dans le *Deutsche Archiv für Geschichte der Medicin und medicinischen Geographie*, III, 140 et ss.

Haugberger, *Früchte des Morgenlandes*, p. 407 , Potak, *Persien*, II, 274 et s.

اكتشافه الى مصر الملك مريوتوس Péricleus الأسطوري (٦٣٤) ، وضع هذا الكهف على مسافة عدة أيام الى الجنوب الشرقي من شبراخ ، في مجاورات داراب (دار أجرد) Darab, Darabgerd ، وكان المحصول يعتبر في كل الأزمان ملكا للعامل ، ومن ثم كان المزارح حاسبها لرقابة شديدة (٦٣٥) . وكان للأمرء وسندهم حتى التصرف في هذه المادة الثمينة ، ومن ثم لا تدخل في مجال التجارة الا بتصریح منهم . وفي عصر الإدريسي . كان يباع من هذه المادة في الخارج ، وكان هناك فضلا عن ذلك نوع من هذا القطران أقل جودة في أسماء أخرى من فارس حيث يباع لكل انسان أن يجمع منه ما يشاء دون أن يدفع مصرية للملك ، وكان من الجائز الاتجار في هذا النوع ، ويحصل به التاجر دائما على ربح طيب (٦٣٦) .

وتصادف أحيانا بين السلع التجارية في العصور الوسطى اسم موميا ، موميا (Mumia, Mumiola) (٦٣٧) ، لعله كان يطلق على تلك المادة الثمينة (الزفتية) السوداء ، وعلى ذلك النوع من الزيت المسمى ، ويصفها كيمبر Koempfer بأنها succus bituminosus ومع ذلك لم يذكر ييجونوي سوى سوق واحدة ساع فيها هذه المادة ، فلم يكن من المستحسن أنه يقصد شيئا آخر . ويتحدث عبد الطيف (٦٣٨) في وصفه مصر من أشخاص يمارسون التقيب في المقابر القديمة . فيجئون فيها الكثير من الأشياء الثمينة ، وعلى الأقل بقايا القشبة وأحساب يمكن الاستعانة منها . وكانوا يجمعون من داخل الجبانم ، ومواقع الأحياء في الجثث مادة سوداء ، لينة ، وهي من لفافة التوال والمطور المستعملة في التحنيط ، ويسمونها باسم الزوميا ، ويضيف المؤلف أن هذه الزوميا تختلف عن الزوميا المعدنية الطبيعية ، ويمكن أن تحصل منها . وفي عام ١٤٢٤ أجرى في القاهرة تحقيق مع أشخاص يمارسون هذه المهنة المشهورة على نطاق واسع ، فيحصلون على هذه المادة « الزوميا » بحرق حثت ترجع الى عصور

- (٦٣٤) Selligmann, Über drei höchst seltene persische Handschriften (Vienna, 1838), p. 35-38; Yaqout, p. 327.
 (٦٣٥) Istachet, p. 24; Edrisi, I, 308 et s., Yakout, I, c. Aboulfeda, (٦٣٦) Géogr., II, 2, p. 109. Chama-eddin, p. 97. Rachid-eddin, ed. Guinzbourg, p. 442. Chamaeny, introd. à. éd. du Chéréf-namé, I, 1, p. 119 et s., Suifur, Asien, VIII, 737, 741. Spiegel, Encyclopedie Alberth., I, 81.
 Koempfer, I, c. Polak, I, c. Chamaeny, I, c. p. 115. (٦٣٧)
 Pegel, p. 97, 181, 297. Bensini, Stat. Pis., III, 482. (٦٣٨)
 Ed. de Sacy, p. 197 et ss.; Chama-eddin, (p. 97). (٦٣٩)

مؤغله في القدم ، ويبيعونها للمريجة الذين يذبحون حسنة وعشرين دينارا
تبعا للقنطار الواحد منها (٦٣٩) .

وكان الأطباء العرب ، ومن يحاكونهم في العرب يستوفون بين الوصايا
المعدنية والوفاء المستخرجة من جثث قتلاء المصريين ، وينسبون إليها
بعض الخصائص العلاجية (٦٤٠) . ويبدو أن الخرافات أسهمت في
المحيط على علاء هذه المادة الشبهة المستخرجة من الجثث . وعلى أية حال
جاءها تشبه كثيرا للحصول الطبيعي بحيث يصعب التفريق بينهما .

المسك Musc

المطر البارد الذي يطلق عليه اسم المسك (٦٤١) ، أو ببساطة *Musc*
هو كما يعرف الجميع مادة حيوانية يفرزها أيل المسك الذكر (موسكس
موسكفروس) *Moschus moschiferus* ، ويحدره انتاج (جيب) أشبه
قريب من السدة . وفي القرن السادس يحكي كوسماس (٦٤٢) *Cosmas*
في أخبار رحلاته أن الناس يصيدون هذا الحيوان بقصد الحصول من
جسمه على العيب الذي يحتوي على هذا المطر اللطيف .

وتمة فصل طويل عن المسك ، مشترك في كتابات أبي زيد حسن
السيرافي والمسمودي (٦٤٣) يحتوي على وصف للعسل لصيد هذا
الحيوان . يقول هذان الكاتبان أنه عندما يؤخذ المسك من جسم الحيوان
لا يكون المطر بعد يالما ، إذ يكون كرية الرائحة وقتئذ ، ولا تزال هذه
الرائحة إلا بعد أن يجف تماما : ويكون المطر أحلى حين يتضج على جسم

Chrestomathie arabe, II, 54, de la des (٦٣٩)
criprien de l'Egypte de Mérid.

Des Belier II, 337, 349 et ss. trad. franç. III, 355 et ss. (٦٤٠)
Avicenna, éd. Pramp., p. 107, Constant. Afr., I, 312. *Malik. Platearius*,
Oliv. in antidot. Nic., p. exsolvit verso ; id. *Cirac instans*, p. exsolvit
verso.

Muschi antiquitates, Léop. 1833 ; C.F. Koeniginger, (٦٤١)
Meltemata quaedam de antiquitatibus castorei et muschi Marbourg
1862.

Ed. Monfaucon, p. 338, (٦٤٢)

Reiset, I, 114 et ss. ; *Macquod*, I, 383 et ss. (٦٤٣)

الحيوان ، ويتخلص الحيوان منه بأن يحك جسمه على الحادة (٦٤٤) . وعلى هذا النحو يجب إعادة في الهواء الطلق - وهناك أشخاص يعرفون الأماكن التي يتردد عليها الحيوان ، فيذهبون إليها بحثا عن هذه المادة ، ويجمعونها . هذا النوع الممتاز قلما يصدر ، لأن الأمراء الوطنيين يصادرونه لاستعمالهم الشخصي . ويعيش أهل المسك في منطقة واقعة بين التبت والصين - وعلى التبت يفوق دون شك في جودته عطر الصين ، وذلك لسببين : أولا لأن الحيوان يجد على السطح التبتى لعدائه نبات عطرية (٦٤٥) لا وجود لها في الصين ، وثانيا لأن أهالي التبت يتركبون المسك في الجيب الذي يتكون فيه ، ويسمونه هكذا ، في حين أن الصينيين يمدون باستخراج المسك ، وفشله ويطلقوا الفصائل التي تخصها فكرة كاملة تقريبا عن المعلومات التي كانت عند العرب بخصوص مصدر المسك . أما مطالعة ما كتبه كتّاب آخرون عالموا بالموضوع بعينه فأنها لا تفيد إلا في تبيين حدود الشك التي يعيش فيها أهل المسك بشيء من التخصيص . يقول هؤلاء أن أهل المسك يعيش أولا في التبت والصين ، كما ذكرنا بمأني ، ثم في بقاع في وسط آسيا يسكنها القرعير Kérghizes (٦٤٦) ، وفي الهند الصينية ، ومملكة مودجا Moudja التي هي على الأرجح أركا Arkan (٦٤٧) وأخيرا في حر سيلان ، وجاوة ، واليابان (٦٤٨) ، ولكنهم أنطأوا بلا شك في ذكرهم البلد الأخير . أما المسك الذي وصفه كتّاب ذلك العصر بأنه « مسك الهند » (٦٤٩) فإنه لابد يرد إما من الهند الصينية أو من المناطق الجبلية التي تمثل الحد الأقصى الشمالي لهذه .

وكان للفرس والعرب ، وهم من كبار حواة العطور ، كما يدل على ذلك ما لا حصر له من قصائد شعرائهم (٦٥٠) ، كانوا يستوردونه بطرق

-
- Edrisi, I, 189; Sim, Seth, éd. Bogd., p. 70 ; éd. Langhavel, (٦٤٤)
p. 66 et s. , Karwini, fr. Heusinger, op. cit., p. 10.
Bailin, considerations d'histoire naturelle à propos des (٦٤٥)
relat., II, 76 , Flückiger, l.c., p. 47, Heusinger, l.c., p. 22, 28 , Edrisi I.,
I, 39, 493 , Karwini , Heusinger p. 25.
Abou Dolé, p. 12, 15 , Isidore, p. 124, 126; Avicenne, éd (٦٤٦)
Plemp., p. 188, Edrisi, II, 324.
Relat., I, 31 , Macquod, I, 339 Edrisi, I, 86 ; Lassen, Ind. (٦٤٧)
Alterthumsk., I, 338 , IV, 358 et s. , MM. Reinsend (Relat., I, cvi)
et Dehaurier (Journ. asiat., 4e série, VIII, 198).
Des Khordobeh, p. 293, 294 , Edrisi, I, 72 , Karwini, éd. (٦٤٨)
Glidenstein, p. 195.
Avicenne, l.c. éd. Plempius , Heusinger p. 13, trad. Gide. (٦٤٩)
mel ter Cf. Seth. De alm., éd. Langhavel, p. 69 et s.
Macquod, I, 387 (٦٥٠)

متعددة - ومن الأسباب التي تجعل الأفضلية لسك التثبت على مسك الصين هو أن الإبحر لا يمكن وزوده إلا بطريق البحر ، ومن ثم يتحمل أُنسائه انعدام (١٥١) . ولعل هذا يثبت أن مسك الصين كان يصدر إلى الغرب عن طريق البحر وحده - وبخصوص مسك تايملايا أو وسط آسيا الذي يحدث جنوب البحر عن طريق حوض نهر الأندوس (الهند) فإن الرحلة البحرية أقصر بكثير (١٥٢) . فلو تقع أن الخليج الفارسي غير بعيد عن نهر الأندوس ، وهناك يفرغ أنسك في مياه اسمه دارى Darin بجوار البحر ، ومن ثم أطلق عليه اسم المسك الفارسي (١٥٣) . وفي عصر سابق ، كانت عن مدرك على أنها سوق من أسواق المسك ، ونحسب بهذا الاعتبار لأن الساعة ليست بعيدة بين نهر الهند ومدخل البحر الأحمر (١٥٤) . أو أن القسم الأكبر من المسك الذي يصل إلى أقاليم آسيا الغربية كان على ما يبدو طرق القوافل وحدها - وكانت فارس تتلقاه من شمال آسيا عن طريق طلاس Talas (وهي مدينة واقعة بين بحر آرل وبحيرة بخاش ، شرقي أترار Khir) ، وبحيرة Khiva (١٥٥) . أما مسك هضاب وسط آسيا العالية فانه يمر بجنى Khotan وتركستان (١٥٦) . ويحدث مسك التبت في بحسارى عن طريق أقاليم وشان Wshian وبخشان Badakshan (١٥٧) . وأخيرا فمن المؤكد أن مسك الصين لم يصدر دائما بطريق البحر ، فلابد أن القوافل كانت تحصل منه الشيء الكثير - فالأرض (١٥٨) ، على سبيل المثال كانوا يعرفون هذا العطر ، والذات أنهم لم يكونوا يتلقوه عن طريق البحر - وقد وجد كلايفو Clavijo في أسواق سمركند ، كما وجد ابن بطوطة في سوق ملوروس (١٥٩) مسك الصين الذي كان بالتأكيد مسك القوافل .

- (١٥١) Rehat, I, 115 , Maqoudi, I, 333.
 (١٥٢) 46. Meml., p. 339
 (١٥٣) Mercaud al Tibila (extr. de Yakout) cité dans le Journ. asiat., 6 série, V, p. 511.
 (١٥٤) Ibn al Wardi, p. 45.
 (١٥٥) M. Fischiger (Zur Geschichte des Moschus, n. 48).
 (١٥٦) Sprenger (Ibid) et Ishtachet, p. 124.
 (١٥٧) Ishtachet p. 124, 126 Ibn Haoukal, dans le Journal of the Royal Society, XX, p. 106 , Idrial, I, 478, 483, 482
 (١٥٨) Moja de Klaprene Géographie, trad. Saint Morin,
 M. ouire sur l'Arménie II, 377
 (١٥٩) Clavijo, p. 181 , Ibn Batouta, III, 180 ;
 Cf. Viggo d'un marchand che da nella Persia, dans Ramusio, II, 63, b.

ويصل المسك الى سواحل البحر المتوسط بجميع الطرق التي ذكرناها
 و - ويشير بيجولوتي الى وجوده في سوق الاسكندرية (٦٦٠) * وقبل
 ذلك برص بعيد ، ظهر المسك في تمريرة جندرك عكا (٦٦١) *

وعند القرنين السادس والسابع كان بعض الأطباء اليونانيين يوصون
 باستخدام المسك (٦٦٢) - وكان أطباء مدرسة ساليرنو يصفونه كثيرا
 مرصاهم تقريبا بالإطباء العرب (٦٦٣) ومع ذلك قلنا بجدة مذكورا صم
 السلع التجارية في القرون الوسطى * ولا شك أن سعره كان مرتعا جدا ،
 بحيث كان استعماله محدودا للغاية ، اللهم إلا في مجال الطب * وهي قائمة
 حرارة ملك فرنسا ، المحررة في عام ١٤١٨ نجد غلبة مسك فضية على
 سكر ثمانية (٦٦٤) * وكان المسك من العناصر المستعملة في بلاد فرنسا
 لتعطير الأمراء (٦٦٥) *

ونادرا ما توغل الرحالة افرقيون الى البلاد التي يصفون منها المسك *
 ويقول ديمير دي توديل Benarro de Tudele (٦٦٦) ان المسك من
 منتجات التبت ، ولكنه عرف ذلك بالسمع فقط * ويستثنى من ذلك
 ماركو بولو الذي رأى بعينه الحيوان الذي يفرز المسك ، وذلك في كثير
 من أدلته الصريح ، وفي التبت ، وأعطى عنه وصفا غير دقيق - فهو يروي
 كيف يصاد الحمار ، ويعرفنا باسمه بلغة منولية gadon ، ويقول ان
 المسك الذي يصر أحسن مسك في العالم مسك سنجي Singay ، أي
 مسنجي هو Singay-tes ، وهي مدينة مجاورة لسوكوكو نور
 Keukou-Nour (٦٦٧) * ويقول المشر جودانس كاتالاني عبارات عامة
 ان أميراهودية الجان الأكبر (أي الصين) هي التي ستج أحسن
 المسك (٦٦٨) *

- | | |
|---|-------|
| P 27 "yumbile". | (٦٦) |
| Auzie de Jérus, II, 74. | (٦٦١) |
| Hausinger, op. cit., p. 29 et s., et Flückiger, op. cit., p. 38. | (٦٦٢) |
| Constant. Afr., Opp., I, 364 , Placerville, Circa Instans. | (٦٦٣) |
| p. ccxiii, au verso , Fouquier, loc. cit., p. 22. | |
| Doucet d'Arceq., Chole, II, 363. | (٦٦٤) |
| Doucet d'Arceq., Comptes de l'argenterie, p. 19 , Inventaire du | (٦٦٥) |
| meuble de Charles V, éd. Labarte, p. 102, 218, 223, 255, 313, 336 | |
| Ed. Asher, p. 118, 120. | (٦٦٦) |
| Ed. Pouthier, p. 204, 208, 209, 375 et s., 385. | (٦٦٧) |
| Jord. Catal., p. 88. | (٦٦٨) |

وفي العصر ائدى وطه فيه البرتغاليون مساندتهم في الهند ، كان حراً ، من اسك المرسل الى العرب يصدر أولاً عن طريق البحر الى ملقا ، ومنها يعاد تصديره الى الهند ، ثم الى الاسكندرية ، اما عن طريق عدن (٥٦٩) او الخليج الفارسي وبيروت (٦٧٠) . وجزء آخر يتخذ الطرق البرية ، انطلاقاً من موطنه الأصلي حتى هرمز (٦٧١) ، ومن جهة أخرى كان ميسماً يسبحو Pegou ، ونسبايرم Tidasserim صيدوان لذلك من داخل الهند الصينية (٦٧٢) .

الاهليلج Myrobalans

الاهليلج ثمرة ذات نواة ، من جنس البرقوق ، كان في العصور الوسطى ، صفاً (٦٧٣) ، أو مسكراً (٦٧٤) سبعة من السلع المستوردة أكثر شيوعاً مما هو في وقتنا الحاضر ، وكان للعروب ، في التجارة (٦٧٥) ، وفي حواصط المطايرين (٦٧٦) حصة أنواع من الاهليلج ، واما لجد عدم التعرفه فيما كتبه الأطباء أو عليه الطبيعة الشرقيون (٦٧٧) ، وكذا من كتابات العربيين الذين أتبع لهم دراسة منتجات الهند في عهد السيادة البرتغالية - وها هو التقسيم الذي أجراه المؤلفون

-
- Cersell, p. 190. a , Barbosa, p. 292, a. 216, b. 317, b, 320, (٦٧٦)
b. Sommer, p. 337, a.
Gubernatis, Viaggiat. Ital. p. 132, 160, 164. (٦٧٠)
Barbosa p. 264, a. (٦٧١)
Roteiro, p. 111 et a. Masuri, p. 22; Barbosa, p. 316, b, 317, (٦٧٢)
a ; Sommer, p. 334, b. 336, a. Federici, p. 220.
"Microbalans studi" ; Uss, p. 22. (٦٧٥)
Microbalans confiti, confetti, in conserva di Zucchero (٦٧٤)
Pegou, p. 184 et -, 181, 287, 369, 377; Uss, p. 27, 54 , Paul, p. 6,
a. 90, b. 82, a. 109, b. 118, b.
Pegou, p. 266, 287 , Uss, p. 18, 182; Paul, p. 90, b ; Domalot. (٦٧٤)
State, Pis., III 427 etc.
Fischlger, p. 7. (٦٧٦)
Abou Messour Mowaffik, trad. Seligmann, p. 22 et a., 45 . (٦٧٧)
Mohammed Hossein Chirazi, cité par M. Fleming dans les Asiat.
researches, XI, 182 et a. Avicenne, Canon I, 2, ed. Piemp., p. 111 ;
Ibn Hethir, I, 96 et a., 407 , II ; 872 , trad. française, II, 393-397.

١ - موروبالامي اميليتسي *Mirobalani emblica* ويطلق عليها المؤلفون الهنود القدامى في الكثير من الأحيان اسم آمالاكا *amala* أو *amala* ، ويسميه العرب امليج *amilej* ، وتشكل مجموعة متميزة .
 لان الشجرة التي تنتميها من الفصيلة البوسية (أو البوربيونية) وهي *Phyllanthus emblica* في حين تسمى الأنواع الأخرى على اشجار فصيلة البوسيات *Combretaceae* .

٢ - *Mirobalani bellirici* ، وبالغربية مليج *belliedj* وهي ثمرة الـ *terminali bellirica* Forst (١٧٨) .

٣ - موروبالامي شيبولي *Mirobalani chebuli* (كيبولي ، كابل) .
 شيبولي *Chebuli, chebuli, chebulu* () ، وهو ثمرة الترمباليا شيبولا *Terminalia Chebula* Retz ويسمى

٤ - موروبالامي إيندي *Mirobalani indi* وهو مماثل للأنواع السابقة . ولكنه أكبر حجماً بعض الشيء لأنه يجمع قبل أن يتم نضجه (١٧٩) .

٥ - موروبالامي ستريري *Mirobalani citrini* ، ويسمى كذلك لأن لونه أصفر ليموني عندما يكون نبتاً ، وأصفر ضارب إلى الحمرة حينما يكون جافاً ، ويستعمل منه النوعان السابقان معهما الدلكي ، ويبدو في الشجرة التي تحمل الموروبالامي ستريري هي نوع من الترمباليا شيبولا (١٨٠)

وتسمى اشجار الموروبالان (الاماليج) اسامها في الهند : وكولم في الجنوب على ساحل ملبار هي الأعلى موضح وتسمح لنا بمصادر المصور الوسطى بأن تتقضي هذه الاشجار ، ومع ذلك فهي هناك نادرة (١٨١) .
 وفي الشمال وجدت هذه الاشجار في أفغانستان ، في مجاورات كابول (١٨٢) . ثم أنه لا جدوى من محاولة إيجاد علاقة اشتقاقية بين الثمت « شيبولي » (أو كابل) *Chebuli* وبين اسم أحد الأنواع التي

Avicenna, I.c. p. 77 , Ibn Awan, trad. Glénen-Béuliet, II. (١٧٨)

2, p. 337, Devis, I.c., p. 64.

Ainslie, I.c., I, 227-232. (١٧٩)

Ainslie, I.c. ; Wright and Walker-Arnot , I, 313 , Erno t (١٨٠)

Meyer, dans la Linnéa, XI, 678.

Abou Dolaf, p. 25. (١٨١)

Ibn Khordadbeh, p. 246 , Abou Dolaf, p. 22 , Edrisi, I, 182 , (١٨٢)

Yakout, p. 470 ; Chamaeddin, p. 246.

Abou'léda (Géogr., II, 2, p. 248).

ذكرها بما يليه ويبي عاصمة أفغانستان (كابول) (٦٨٣) . وهي السبع
التي كان إقليم خراسان مقترما بتسليمها كل سنة لبلاط بغداد شعبة من
الإهليلج ولها رطلا (٦٨٤) ، والنتيجة الطبيعية التي يمكن استخلاصها
من هذه المعلومة هي أن شجرة البروبالان كانت تنمو في هذه
الاقليم . ومع ذلك فمن المشكوك فيه أن شجرة لغرية الإبيات مثل هذه
لشجرة قد نأقلت في هضبة صحراوية ذات مناخ شديد البرودة كهضبة
خراسان . ومن الأرجح أن نرى في هذه الحقيقة دليلا على وجود نيار
استيراد كبير يشبه من الهند إلى فارس متحدا الطريق البحري الكبير ،
طريق كابول وهرات Kandahar وهو نيار تجاري يستورد الثروة التي سعدنا
عنها بوع حصص . ونفس هذا المصدر الصراحي ، الذي استلينا منه
المعلومة السابق ذكرها يذكر لنا إقليم الهند بأنه مكعب بأن يورد سوا
للسلاط ١٥٠ رطلا من حشب الصبر . غير أن الثابت أن تربة هذا
الاقليم لم يكن بها صبر بالرة ، ولكن هذه المادة كانت موجودة بوفرة في
أسواق هذه البلد . الثابت إذن أن علماء بغداد هم يكتفوا بتارام الأقاليم
الناعبة لهم بتوريد منتجاتهم الخاصة ، وأما كان على سكان خراسان أن
يؤفوا بالجرية المفروضة عليهم ، لا نأشأ الإهليلج من غابانهم أو حدائقهم
وأما بوسمه من أسواقهم . وكانت أوروبا تستورد الإهليلج للإلام
لاستهلاكها عن طريق عدن والإسكندرية (٦٨٥) ، وتستلم فقط ثلثا من
الهند مجمعة أو مصنوعة (في السكر أو النحل أو البص ، الخ) من موطنها .
بعض تصديرها (٦٨٦) ، وتندو لشجار الإهليلج كلها بلا نظم في غابات
سبلل ملبار (٦٨٧) ، وعاصمة في قسوانى ثالبوط (٦٨٨)
وبانكالا Badoni ، على بعد خمسة وعشرين ميلا منجلوريا شمال
مجلور Mangalore (٦٨٩) وهي أقل وفرة في كنبالور
Cannore (٦٩٠) وبوسه عام ، وعلى الأقل في عهد السيادة البرتغالية ،

- | | |
|--|-------|
| Leclerc, éd. d'Ibn-Battar, III, 399. | (٦٨٣) |
| Ibn Khaldoun, Préface, 1ère part (Not et exte, XXX)
p. 345. | (٦٨٤) |
| Edrisi, I, 81 , Ibn al Wardi, p. 43, Pegol, p. 57; Barbosa
p. 310, 8 ; Corsali, p. 179, a. | (٦٨٥) |
| García de la C. , Barbosa, I 300, a. | (٦٨٦) |
| Summaria, p. 323, a. | (٦٨٧) |
| Summaria, p. 333, a. | (٦٨٨) |
| Conti, v. 68 , Varthema, p. 182, a, Barbosa, p. 311 b ; F.
Alvarez, p. 124, a , Masani, p. 27 | |
| Barbosa, p. 300, a . Corsali, p. 178, b, 179, a , García de
Orto, La | (٦٨٩) |
| Varthema, p. 188, b , Barbosa, p. 311, a. | (٦٩٠) |

كانت ثمار المعلقة الواقعة شمالا ، بين ديبول Daboul وكيباي Cambaye (٦٩١) تفصل لأغراض التصدير ، لأنها كانت أقل عرضة للتلوث (٦٩٢) .

ويحب أهل الهند ثمار الإهليلج لما لها من خواص تساعد على هضم الطعام ، وخاصة طيبة خفيفة : وكانت هذه الثمرة ، منذ أقدم الأزمان مصدر من عناصر الأكليل الذي عندهم (٦٩٣) . وكان من العقاقير المفصلة عند الأطباء الهنوس مركب من أنواع الإهليلج الثلاثة يسدونه تيسالاً *Triphala* أو ثريفا *Triphala* (٦٩٤) . وقد أدخل العرب هذه المقار في دستور عقاقيرهم (الأثريدي) ، أسوة بالكثير من ثمار الهند ، وأدخلوه في عدد كبير من التركيبات . فكانوا يخلطونه مثلا ببعض التوابل لمعالجة خواصها الهضمية (٦٩٥) .

ومن العرب انتقلت أنواع الإهليلج كدواء إلى البيزنطيين الذين أدرجوها في دساتير عقاقيرهم في أوائل القرن الثاني عشر (٦٩٦) ، وإلى العربيين حيث صارت عندهم من العقاقير المشهورة طبيا بتأثير مدرسة سالerno (٦٩٧) . وبعد أن جعل الأطباء يصنعون لربماهم مستحضرات وأقراصا من الإهليلج ، التزمت التجارة بتزويدهم بهذه المادة . وفي وسعنا أن نتحقق من طريق السجلات التجارية في الحصور الوسطى أن الإهليلجات كانت تصل إلى أوروبا عن طريق إيطاليا ، ومنها تنتشر حتى تصل إلى الفلاندر (بروج) (٦٩٨) . نجدها أيضا في بيروت بعض الأمراء إلى جانب ثمار أو توابل أجنبية أخرى (٦٩٩) . على أنه ليس من الثابت أن هذا الهاضوم (عقار يساعد على هضم الطعام) لم يكن الناس يتعاملونه إلا كدواء ، لربما كان يقدم على المائدة للتحلية . ولم تعد هذه الثمار

-
- | | |
|--|-------|
| Confé (p. 48). | (٦٩١) |
| García de Orta, I, 1. | (٦٩٢) |
| Serap., p. 188, in Ibn Belzar, trad. Southeymer, I, 78. | (٦٩٣) |
| Royal, p. 38. | (٦٩٤) |
| Ibn Belzar, I, 78 et s., 143 et s., 539 et ss. | (٦٩٥) |
| Häffner, Geschichte der Botanik, III, 375, 398. | (٦٩٦) |
| Constantinus Africanus, Opp., I, 243 ; Pieterius, Circa instaura. | (٦٩٧) |
| مثل ذكر العقارات التي وردت بها هذه الثمرة في بداية هذا العهد . | (٦٩٨) |
| Laborde, les ducs de Bourgogne, III, 302 , Douet d'Aroq | (٦٩٩) |
| (Comptes de l'argenterie des rois de France au XIVe siècle, p. 338, 340) ; La "Vie" de Laurent de Médicis, par Fabroni, II, 537. | |

معروفة في العرب في وقتنا الحاضر منذ أن أصبحت من دساتير العقاقير الطبية ، ولم تعد تستعمل إلا استثناء في الدباجة والصمغة (٧٠٠)

جسوة النفس *Mara de gallie*

المعروف أن « الجال » (جذيرة المعنى) *Cynips galloe tinctoriae* حشرة تنتج لبغيتها نتوءات على أغصان أشجار البوط ، وعنها ما يستعمل في الصمغة . وهي طبيعة هذه النتوءات أنها تضم كمية من الدباغ *tannin* ولها خصائص قابضة تجعل منها مصغرا مصفا في الطب . وفي بعض الصمغات (٧٠١) - وتعرف هذه المادة بجسوة النفس ، وكانت تشكل في المعمور الوسطى مبلجة تجارية مهمة (٧٠٢) - وكان المطلوب أن تكون ثقيلة ذات لون ضارب إلى البهرة أما الأصغر منها فكان يعتبر ردي النوع ، وكان يستورد من اليونان وآسيا الصغرى ، ويؤخذ حاص من هذا البلد الآخر (٧٠٣) - وكانت سوق الإسكندرية تنقل هذه المادة من جاليبول ، وبالاتيا ، وستالية ، وكادييلور (٧٠٤) ، ومن لم يكن القول بأن أوروبا كانت تستورد هذه المادة من هذه الجوالي - وقد تسمى لنا أن تتعرف على شحنة من حود النفس صندرها من حريرة حيوس إلى بروج تاسر جنوى ، غير أن هذه حالة فردية (٧٠٥) .

جسوة الطيب *noix muscade* ، والبسباسية

يقول السيد مارتينوس M. Martius (٧٠٦) في مقالاته في تاريخ جسوة الطيب والبسباسية أن هاتين المادتين كانتا معروفتين منذ قديم الزمان .

-
- Winkel, Warenlexicon, p. 87, Flückiger, Frankfurter Liste, (٧٠) p. 13 et 1
Merrifield, p. 328 et ss, (٧١)
Pegol, p. 16, 41, 49, 66, 94, 98, 101, etc.; Lib. jur, I, 71 et s. (٧٢)
(Dor re 1160), Taf et Thom., III, 444.
Pegol, p. 16, 396, 399, 372, Misc. distor Ital., X, 74, 77, (٧٣)
Frankf. Liste, p. 8.
Pegol, p. 371 et s. (٧٤)
Atti della Soc. ligure di storia patria, V, 404, (٧٥)
Sitzungsberichte der Münchener Akad., 1860, p. 182 et ss., et (٧٦)
nouveau Repert., für Pharmacie, vol. IX (1860), p. 328 et ss.

ومن قبل اعتبر الطيب سيميون سيث Simon Seth الذي عاش في أواخر عهد الإمبراطورية البيزنطية أول كاتب اغريقي أشار إشارة صريحة إلى جورة الطيب (٧٠٧) * وبمرعه ببخصة عقود ذكر كاتب غربي ، وهو كوستانتينوس أفريكانوس Constantinus Africanus جورة الطيب والتسمية ، ذكرهما باسميهما (٧٠٨) * وكان الإنسان من أشباع العرب في مجال الطيب وكانت هاتان المادتان من السلع التجارية الشائعة عند العرب منذ زمن بعيد * ولم يكن ميسورا العثور فيما كتبه الجغرافيون العرب على معلومات أكيدة في السند الذي ينسب فيه جورة الطيب ، فهم يكتفون بأن يذكروا بمبارات عامة الهند ، أو البلاد التي تطل على المحيط الهندي ، أو جرد بشار كروج والصنف Kardenj et Soud (وهي أجزاء من المحيط الهندي) ، وإذا ذكروا أحيانا ، وبوع خاص بعض الجزر ، فإن ما يصرفونه منها يكشف عن مفاهيم غير مطقة ، فيصعب البحث على أساس معلومات غامضة على هذا النحو (٧٠٩) * ونجد الجهالة نفسها فيما يتعلق بطبيعة الشجرة ، حتى لقد خيل لأبي بطوطة أن جورة الطيب هي ثمرة القرغص (٧١٠) * وفي أواخر القرن الثالث عشر ، حين بدأ الرحالة الغربيون يظهرون بكثرة في الشرق الأقصى ، سطعت الأصواء شيئا فشيئا على هذا الموضوع ، هو وغيره من الموضوعات ومع ذلك لم يعرف المولى إلحقلي جورة الطيب عند البداية * ويعتد ماوكو بولو المنتجات التي تشكل ثروة سكان جزيرة جاوة الكبرى ، فذكر سور الطيب عند « الكتاب » ، والمخمس ، وكيش القرمل ، وغير ذلك من التوابل (٧١١) * وتساءل البعض كثيرا عما إذا كان اسم جاوة الكبرى يمثل في خاطره الجزيرة التي سميناها حاليا جاوة ، أو بورنيو (٧١٢) * ولم تجد هذه المسألة حلا لها ، وعلى أية حال ، وبالنظر إلى تخلف الحضارة في هذه المناطق في عصر الرحالة المشهور ، فإنا نلحظ بحق أن زراعة سور الطيب قد انتقلت في تلك الآونة من الدائرة الصيفية التي تشمل الحرر الصغيرة التي دلت بها إلى إحدى الحرر الكبرى في الأوجيبيل الهندي ، وهو عمل تولاه فيها بعد المستعمرون الأوروبيون وتكامل بالتحاح ولعلنا نعرف الجنس الذي تمتعته

- De alimentis, éd. Bogdan., p. 55 et r. , ed. Longhaval, p. 55 , (٧٠٧)
Meyer, Gesch. der Botanik, III, 368
Opera, I, 335 (٧٠٨)
Relakour, p. 143 , Marquadi, I, 341 , Ibn Kordadbeh, p. 294 ; (٧٠٩)
Edisat, I, 89, 93
IV, 348, (٧١)
p. 561 (٧١١)
M. Paschel, Gesch. der Erdk., p. 186 et s. (٧١٢)

عبارات مازكو بولو تأتي بجملة يقول أن هذه الأنواع كلها كانت من حاصلات ثروة جاوة الكبرى . هذه الأشياء التي كان مازكو بولو يجمعها سكان الجزيرة على أيها ، ما الذي يفسر من أن نعلم بأن بعضها منتجات محلية ، والبعض الآخر أجنبية ، وأن جور الطيب وكبش القرمل ينشيان إلى الطائفة الإثنية (أي الأجنبية) . ولما أن سلف هذه المجموعة بشأن أعداد البشرين اوديكو دابوديهوي ، وجورداكوس كاتالاي ، والفلورسي حواماني ذا إيبويل ، إذ نطالع في أحبارهم ، بين ما نطالع أن جوة الطيب كانت موجودة هي جاوة ، ولكننا نشك في أنهم حافظوا في تعدادهم المنتجات الواردة إلى جاوة ، لما من جزر أخرى من الأرخبيل ، أو من الهند الصينية ، بين هذه المنتجات وبين منتجات الجزيرة نفسها (٧١٣) . والخريطة التفاضلية الشهيرة ، وهي من أعمال القرن الرابع عشر تنسب إلى جزيرة سومطرة اسم جاوة ، أو بالأصح جاوا Java ، وفي شرح هذه المنتجات على الخريطة نجد كلمة son masade (٧١٤) ، ويسفوها بها أيضا أن هناك خلط بين المنتجات المحلية والمنتجات الأجنبية . ويبدو من المسح ، على الأقل أثبات أن توطئ جور الطيب الذي يباشره الأسطول في الوقت الحاضر يحتاج هي جزيرة سومطرة (٧١٥) كان به سواقي في العصور الوسطى ، فهذا أمر غير مستحيل . وكان نيكونو كونتي (في القرن الثامن عشر) أول من اكتشف في مجال البحث في الموطئ البعدي لجور الطيب أن أسدا لم يوفق في ذلك ، إذا لم يمتد بحثه إلى أعداد كامة . وأبدي أنه يمكن العثور على هذا الموطن شرقا في الأرخبيل الهندي ، لا في سومطرة ، ولا في جاوة الصغرى ، ولا في بورنيو (جاوة الكبرى) ، ولكن في جزيرة يسميها سنداي Sandai (٧١٦) . وهو نفسه لم يصل حتى هذا الذي ، وتفسيراته في ذلك غير واضحة . ومن البنجيل تقريبا التخصيم بأسم الجزيرة التي يشع إليها . فإن اعتبرنا بطل هذا الاسم (سنداي) ، ونصورها من ثمة جزيرة من حرد الأسود Sande ، جانا يكون قد تجاوزا محيط الدائرة التي يسوقها جور الطيب بالفعل ، وإن لبنا داخل هذه الدائرة ، لا نجد فيها أسماء مماثلة لأسم سنداي ، ولست أدري على أية معلومات استند إليها السيد ميجر.

Oferico de Pordenone, p. XVII , Jord. Catal., p. 51, et note (٧١٣)
de M. Yule sur ce passage , Engel, p. 51.

Ed. Burbon et Tassu, p. 137. (٧١٤)

Marsden, History of Sumatra (1811), p. 148 et ss. (٧١٥)

Cooli, p. 46 ; et Carte de Fra Mauro (éd. Zurlo, p. 46). (٧١٦)

Major (٧١٧) في تاركيم على جزيرة مسداي هي عسكها جزيرة بورو Boaro ، إلا أن موقع هذه الأخيرة عند الطرف الغربي لمجموعة حرر أمبوسا Ambosca (شرقى اندونيسيا - المترجم) يؤكد كثيرا الرأي الذي أبداه العالم الإنجليزي - والواقع أن جورة الطيب لم تكن سمو هي جرد باندا من كانت تمتد حتى جرد أمبوسا وجرد الملوك - ويتعين البحث عن الموضع الحقيقي لجورة الطيب في هذه المجموعات الثلاث (٧١٨) . وفي عهد سيادة البرتغال في الهند ، كانت جزيرة باندا الكبرى تعتبر ، وهي وبعض الجرد المجاورة لها المركز الكبير لإنتاج جوزة الطيب (٧١٩) ، ولم تزل كذلك حتى وقتنا الحاضر ، خاصة وأن الهولنديين اعتمدوا باعتماد كل لشجار جرد الطيب التي اكتشفوها في سائر جزر المنطقة (٧٢٠) .

وكثيرا ما نجد فيما كيه المؤلفون اسم « البسياسة » *macis* إلى جانب اسم جورة الطيب ، والآن يسمونها *Muskatblüthe* (أو زهرة حور الطيب) (٧٢١) ، ويرجع أصل هذه التسمية إلى فكرة خاطئة كانت شائعة في العصور الوسطى ، في الشرق وفي الغرب (٧٢٢) . إذ ارتأى للبعض بعمارة أن البسياسة هي زهرة حور الطيب ، ولكنها في الواقع سحابة ، أو غشاء يحيط بالبدوة (بدرة جورة الطيب) ، وهي نفسها مشابهة لباب وقشرة النمر - وعندما تنضج الثمرة فوق الشجرة تكون البسياسة ذات لون أحمر أرجواني يتحول إلى أصفر برتقالي حين تنزع من الجودة ونجف في الشمس ، وعندما تصبح صلبة تتناولها التجارة - وقد عرفت طبيعة البسياسة الحقيقية منذ زمن بعيد (٧٢٣) ، ويشهها مولفها ،

-
- India in the 16th century (Mishlay Society, no 22), Lon (٧١٧)
1887 p. lxxv
Crawford, Hist. of the Indian archipelago, I, 506 et (٧١٨)
Vethoma, p. 167, b , De Gubernatis, Viaggiatori Ital., (٧١٩)
p. 159, 170 , Sereno, p. 227 : Barbosa, p. 319, b, 323, b , Pigafetta,
p. 115 Federici, p. 301, b, 307, a ; Garcia de Orta, p. 178 et a.
Crawford, l.c. (٧٢٠)
"Muskaten blomen" dans les hanse-Recesse, 2e part., vol. II. (٧٢١)
p. 236
Jeuq. de Vitry, l.c. , Platearles, l.c. , Isaac Ibn Ounran dans (٧٢٢)
Serapion, p. 121
p. ccl , Ibn Batouta, IV, 245, Crawford, l.c., I, 506 et a
Jeuq. de Vitry, p. 1160 , Platearles, Glossa in solidol. Nic., (٧٢٣)

وبلايربوس بلفرة المسددة (٧٢٤) . ويعطيها غارتيا ، وباربورا ،
ومايسيلياو ترانسيلفانو (٧٢٥) . وييجانينا (٧٢٦) . وجارسياني أورتو
أوساغا أدق (٧٢٧) .

ويصف مابرو حوزة الطيب واليسباسة ضمن التوابل الرثغة التي
يفضل للحصول عليها دفع علفت النقل طويل المدى بالطرق البرية ، عل
تربتها لحاظر النقل البحري . هائل المادتين كانا ليران في الأصل
مدينة بمسداد . ولجيا بعد بطورس (٧٢٨) . وتوجد في أسواق
طورس ، والسلطانية ، وسمرقند (٧٢٩) . وهذا أمر طبيعي . ولكي نسيم
أيضا وجودها في سوق الاسكندرية (٧٣٠) مما يثبت أهمها كالا كثيرا
ما يتغلغل عبر المحيط الهندي . ثم إن الادريسي (٧٣١) يذكرها ضمن
السلع المستوردة من شرق آسيا إلى عدن . وأسيرا ، تشير بعض المصادر
إلى وجودها في عكا ، في عصر السيادة اللاتينية ، وتدلها صفات إلى
هناك بطريق أو يآشر (٧٣٢) .

وكانت هناك دائما فروق بين سعر حوزة الطيب وسعر اليسباسة
كانت اليسباسة ، وهي أرق وأندر من حوزة الطيب تباع في الهند بسعر
يوريد خمسة أو ستة أضعاف السعر الذي تباع به حوزة الطيب في زمن
ماربورا (٧٣٣) ، وثلاثة أضعاف الثمن في عصر جارسياني أورتو (٧٣٤)
وقد دون مابرو في صحيفته أسعار مختلف السلع في سوق الاسكندرية،
حصل عليها من لتجارير المرسلة إلى البندقية . وبعد من وقت لآخر أسعار
حوزة الطيب واليسباسة ، وسعر الأشرة أعلى دائما من سعر الأول .
وارتفع هذا السعر عامي ١٥١٠ ، ١٥١١ وبع أكثر من ضعفه (٧٣٥) .

-
- P. 233. (٧١٤)
Danz Hamada, I, 267, b, 319, b, 347, a, 383 a. (٧٢٥)
Ed. Amoretti (1890), p. 148. (٧٢٦)
P. 178 et a. (٧٢٧)
Sacr. Sid. erur; p. 22, 23. (٧٢٨)
Ghislaet, p. 310; Clavijo, p. 113, 191. (٧٢٩)
Pegol. p. 87. (٧٣٠)
I, 21. (٧٣١)
Atala de Jérua, I, 174. (٧٣٢)
P. 319, b, 322, b. (٧٣٣)
P. 172. Crowford, I, c. III, 403. (٧٣٤)
Sacrut, Diar, IV 150, V, 36, VI, 84, XI, 67 et 84, 104 et 84. (٧٣٥)
1027 et 84, XII, 135 et 84 307 et 84.

ولا يصحرا دون شك أن يعرف ما إذا كان هذا التفاوت في الأسعار موجودا في الغرب ، فتجد في حسابات بلاط فرنسا في العصور الوسطى أن السعر للسجل نصف رطل من جودرة اسطوخودوس كان douze deniers (التي عشر درهم - أو فلس ، نقد روماني ثم فرنسي - المترجم) (٧٣٦) في حين أن نصف « الرباع » أي ثلث الرطل من البسباسية كان يباع بسعر لا يقل عن ثلاثة إلى أربعة دراهم (٧٣٧) .

وفي العصور الوسطى كان جور الطيب والبسباسية يستعملان كثيرا في فنون الطبخ ، أولا باعتبارهم من النوازل للأطعمة ، ثم كمسح في إعداد البسباسية للمطر (٧٣٨) . ونطالع في كتاب عن الطبخ الأندلسي في القرن الخامس عشر بعنوان Buch von guter Speise أنه يجب تسحق « عشبي جيد » أو يوضع به حشذان galbanum ، وفلفل ، وريجنيل ، وكمون ، وكيش قرمفل ، وبسباسية muscat-Blumen (٧٣٩) .

السلال . Perles

كانت مصائد اللؤلؤ ، كما هي في وقتنا الحاضر متركزة في مواقع من المحيط الهادي الخليج الفارسي ، ولقصيق التي يفصل الهند عن جزيرة سيلان . وسوف تقتصر في حديثنا عن المواقع الأولى ناركيز حاسا بعض الأوصاف للثغائرة هنا وهناك (٧٤٠) .

فإذا دخل المرء الخليج الفارسي ، فإلأ أولا فسا بعد مشيقي هرمز ، ساحل القراصنة ، حيث كان هناك في عصر الاندلس مدينة اسمها ظفار Djoffar (٧٤١) . وإلى الأمام من هذا الساحل مجموعة من الجزر معروفة لدى الجغرافيين العرب باسم Kithir أو قطر Kotor (٧٤٢)

Douet d'Areq, p. 218.	(٧٣٧)
Menagier de Paris, II, 111, Flückiger and Hanbury, Pharmacographia, 2e éd., p. 302 et s.	(٧٣٧)
Menagier, l.c., p. 112, 140, 153, 160, 230, 236, 248 et s., 275 etc , Schultz, Das bühische Leben, I, 306.	(٧٣٨)
Bibliothek des III. Vereins, IX, 11.	(٧٣٩)
Edrisi, I, 181 et s. Ismaeliri, p. 17 , Al-Birouni, dans le Journ. asiat., 4e série, IV, 207 , Edrisi, I, 171.	(٧٤٠)
Ritter, Asien, XII, 379, 389.	(٧٤١)
Ibid. p. 380.	(٧٤٢)

عنه المندوعة من المجر (٧١٣) مع قنطرة (٧١٤) كانت معلقة في المصور
الوسطى سبب وجود أرضعة المجازات ذات الثلاث في مجاوراتها ، ولم يؤخذ
يستخدمها حتى وقتنا الحاضر سكان الموحى المجاورة (٧١٥) * وبالمصور
قيل في الخليلج الفارسي ، يقابل المنة أرضعة لآل أخرى أكثر شهرة
تلك هي جزيرة البصريين ، كان الاسم الحقيقي لهذه الجزيرة في المصور
الوسطى أقال Aval ، ولم تكن البحرين سوى المدينة الرئيسة بها *
وفي كل سنة ، في فصل صيد اللؤلؤ ، يتقابل صيغا بجوار البلاد المجاورة ،
فيستأجرون مراكب تستغل غطاسين وصيادين ، وينطلق الأسطول *
ويتكون عادة من عدد كبير من المراكب ، يبحر عن رصيف لآل * وعندما
يجد المراكب الرصيف تلقى مراسيها ، ويحمل القوم الرصيف ثم ينطلقون
إلى رصيف آخر ، وهكذا دواليك ، وتلقى مراكب في عرس البحر ، ليل
نهار ، حتى ينتهي التجار الذين استأجروا من من ألياسهم * وعندما
يعدون إلى البر ، يعررون لأقنصم ، ويصلون منها ثلاث ثلثات حسب
حجمها ، ويبيعون جزءا منها ، ويحملون معهم الباقي (٧١٦) نادرا لم يتم
المرء كثيرا عن حرية البحرين ، يصادف مدينة لآل أخرى في مواجهة بلدة
القطيف (٧١٧) * نذكر أيضا ، على الصلة المقابلة من الخليج ، في مواجهة
بلدة بوشهر Abouchehr جزيرة جارك Karck (كراك Karck) حيث
ساحت قروسة لبعض فيها مضي أن يجد بين اللؤلؤ القليلة القيمة عيشات
ناخرة (٧١٨) * وهناك أيضا ناحية الترقى مسالك حرر لار Lar (حاليا
بوشهر Bouchah) (٧١٩) وكيش Kich (حاليا كي Kish) (٧٢٠) *

ويقع مركز كبير لصيد اللؤلؤ بين جزيرة ميلان ، وشبه القارة
الهندية ، وقد تحدث عنها الكتاب في كل المصور * وفي المصور الوسطى

-
- Maqoudi, I, 328, cf., ibid. 329 ; Edrisi, I, 187. (٧١٧)
Edrisi, I, 187; Barbosa, p. 264, s.; Zeno, p. 81, 88 ; Gardes (٧١٨)
Orto, p. 223.
Ritter, op. cit., p. 381 et ss., d'après, Whitelock (٧١٩)
Edrisi, I, 373 et ss. ; Ibn Balu'a, II, 344 et ss., Aboulfeda, (٧٢٠)
(Géogr., II, 2, p. 139) Barbosa, p. 263, s., 294, s.
Aboulm., Géogr., II, 1, p. 138 ; Banj de Tushé, p. 137 (٧١٧)
Maqoudi, I, 328, 329 ; Baluchri, p. 18, 93 ; Kazzini, ibid. (٧١٨)
Elzé, I, 1, p. 235 ; Aboulf., Géogr., II, 2, p. 139; Tushé dans
Ravus, Specimen, p. 88 ; cf. Clément-Mullet, dans le Journ. asiat.,
6e série, XT, 26.
Yaqout, p. 301 et s. ; Cf. Ritter, VIII, 773. (٧١٩)
Ibn Khordadbeh, p. 282; Edrisi, I, 163 ; Yaqout, p. 300 . (٧٢٠)
Aboulf., Géogr., II, 2, p. 138 et s. ; Ibn Balu'a, IV, 183 et s.

ذكر اقدم جغرافيين العرب ارضة اللؤلؤ عند ساحل سيلان (٧٥١) .
وقد اعتقد البعض في زمن البيروني ، أي في النصف الأول من القرن
الخامس عشر أنها قد نظبت (٧٥٢) ، إلا أن الادريسي ذكر اللؤلؤ العاليه
التي تصاد في سيلان ، وفي الآونة التي نواجه فيها الميشر جوداموس
كانت لا تزال هي الهند ، كان الصيد في هذه الأنحاء يعطي من جديد نتائج عظيمة
حتى كان يشغل أكثر من أربعة آلاف زورق خلال ثلاثة شهور من
السنة (٧٥٣) وهنا ، كما في الخليج الفارسي ، كانت الأرضة موزعة
على طول ساطع حليج ماز Mashar ، وتنتد على الشاطئ الأيمن ، أي
على الشاطئ الغربي لسيلان ، من جزيرة ماز حتى شيلو Chilo (٧٥٤) .
وبين هذين الموقعين تقوم بلدة بوتلام Poulam ، ويؤكد السيد بولي
Bulle (٧٥٥) أن هذه البلدة هي نفسها بلدة بتلار Betelar التي ينطق
مها صاندر اللؤلؤ في عصر مازكو بولو . وكان ملوك مازار Mashar
يعتبرون هذه الأرضة ملكا خاصا لهم ، ويحتفظون لأنفسهم حصة مهم من
منتجات الصيد ، وكان تجار مازار - وليس سيلان - هم الذين يشتغلون
بهذا العمل (٧٥٦) .

ويبدو أن الأمور تغيرت بعد ذلك ، فحين زار ابن بطوطة سيلان كان
مالكه لصائد أكبر من سيلان ، فبالله الرحالة الدائع الصيد وهو يشتدحه
أن لا يمس قيس أقل قيمة من لؤلؤ سيلان (٧٥٧) .

وحتى القرن الرابع عشر ، لم يكن معروفًا سوى مصائد لؤلؤ سيلان ،
أي في الجانب الأيسر من حليج ماز ، وابتداء من القرن الخامس عشر
والسادس عشر أحدث شهرتها تدوى أمام شهرة أرضة كاتل (٧٥٨) .
ولم تزل إطلال هذه المدينة ظاهرة في الموقع المسى « كاتل القديمة »

- (٧٥١) Reisl., p. 5, 8 , Maqoud, I, 223 , Ibn Khordadbeh, p. 226;
Isidori., p. 58.
(٧٥٢) Journ. asiat., 6 série, IV, 287.
(٧٥٣) Edrial, I, 72 , Jord. Catal. p. 49.
(٧٥٤) Bolet., A. I., VI, 161 ; Federici (p. 360).
(٧٥٥) Yule, Marco Polo, II, 274, traduction et commentaire.
(٧٥٦) Polo, éd. Pavthier, II, 663 et ss.
(٧٥٧) IV, 198 et s. ; Odeiro da Pordomane (p. 225).
(٧٥٨) Conil, p. 38 , Boletiro, p. 169 , Varthema, p. 183, a , Barbosa,
p. 361, 314 b ; Sempoll, p. 72.

Vieux Kayl على بعد ميل ايجليري ونصف ميل أعلا مصب نهر مامرايارى
 Tamsamani بقاطمة بينفيللى Tuscally (٧٥٩) * وبعد ان سميت
 هذه المدينة رسا طويلا بأحدية كبيرة كمينه بحرى - وموقع بجارى ، أصابها
 الحراب بسبب تراكم الرمال فلهذا تسمى بحرى - مما أهدم الرقا عن
 البحر ، فهجرا سكانها ، ولم يبق اسمها يشير الى لوصفة اللآلئ فى هذه
 الساحة من الخليج ، فحل محلها توتوكورى Toutocorin في هذا الخصوص *
 ثم ان لوصفة اللآلئ هذه لم تكن تصارع فى امتدادها أرضه ساحل
 سيلان (٧٦٠) * وعند وصول البرتغاليين كانت مصائد ، كبل ، فى اوج
 ازدهارها ، وكانت أساطيل الصيد تبحر مياها مرتين فى السنة ، وتغنى
 لاستغلال مصائد ساحل سيلان وكان ملك كولم ، ومعه مدينه كايلا
 قد امر مصائد هذا البحر فى الخليج فتاجر عربى كبير ، وأقام وكلاء عنه
 يشرف على مصائد سيلان ، ويحفظ هو نفسه بكل اللآلئ الكبيرة ،
 أما الصغيرة فتسلم لتجار كايلا الذين اشتهروا بمهارتهم فى مسح المواجر
 والاتجار بها (٧٦١) *

ولسنا نتوقع لندقق مسألة ما اذا كان الغرب يتلقى لآلئ من
 الهند . ذلك لأن اللآلئ التى توجد فى أسواق مكة (٧٦٢) والإسكندرية (٧٦٣)
 كان معظمها يأتي من هناك دون شك . أما اللآلئ الواردة من الخليج الفارسي
 الى فارس ، وبلاد ما بين النهرين ، وآسيا الصغرى ، وسوريا فربما تكون
 قد صيدت فى الهند ، وبجلبت فى السفن التى تبحر الخليج * ومع ذلك
 فالأرجح من حيث العدد أن لآلئ الخليج الفارسي كانت تحتل المكانة الأولى
 فى السوق الأوروبية . ومى تدويل قديم لمذكرات ماركو بولو (٧٦٤) ،
 قد يكون هو نفسه مؤلفه ، يبالغ أن معظم اللآلئ الواردة من الهند الى البلاد
 المسيحية كانت تنقب فى بغداد * وعلى عكس ذلك ، يندى كاتب لاحق ،
 هو كلانيجر أن أمدا لم يرجع فى أى مكان أنه ينقب اللآلئ ويصنع منها حلجا
 مثلما يحرق ذلك فى هرم ، ولابد من القول بأنه يعتمد فى رأيه هذا على
 شهادة التجار المسيحيين والعرب بالإسراع ، ويصف الكاتب صناعة الحلج

M. Yule : Marco Polo, II, 201 et s.

Ritter, Asien, VI, 10 et s., 162.

Barbier, p. 314, a, b. ; Huet, p. 171 et s.

Varijama, p. 181.

Ferd., p. 37.

Touto dans Ramusio, II, 8, b.

(٧٥٩)

(٧٦٠)

(٧٦١)

(٧٦٢)

(٧٦٣)

(٧٦٤)

من اللؤلؤ في طورس (٧٦٥) • وكانت طورس • والسبيلانية •
وسمرقند • ويفضاد مدعا تجارية كبيرة على اتصال دائم بالخليج الفارسي •
كما كانت أيضا السوق الرئيسية لتجارة اللؤلؤ (٧٦٦)

وفي عصر ييجولوتي تحطمت تجارة اللؤلؤ بسيرة حطيرة في العرب
معمل قوايين الحد في النفقات المالية التي سبقتها الأمراء وسلطات
التي (٧٦٧) • ثم إن أسعارها أصبحت شديدة الارتفاع • فلا يسمح
بامتثالها على نطاق واسع • ومع ذلك كشفت دراسة قوائم الجرد لدى
ملوك فرنسا للسيد دوييه دارك M. Douet d'Arceq في حقيقين هامتين :
أولا أن عزلاء الأمراء يملكون كميات هائلة من اللؤلؤ (٧٦٨) • وثانياً أن
هذه اللؤلؤ كلها ليست من أصل شرقي • فقد ورد بعضها من
استكتلدا (٧٦٩) •

الأحجار الكريمة (٧٧٠)

لم يكن معروفًا في العالم • قبل اكتشاف البرازيل • وإرتياد حبال
الأورال غير قارة واحدة تحتوي على طبقات من الأحجار الكريمة • تلك هي
آسيا • بالإضافة إلى مصر • إلا أن مصر كان تصفها من حيث المواقع آميويًا •
ولسبداً بها في بحثنا عن الأماكن التي بها تلك الطبقات •

كان في مصر العليا مناجم زمرد • استغلت على نطاق واسع في
الصور القديمة • ومنذ عصر متأخر كانت منتجات هذه المناجم تصدّر إلى
الهند (٧٧١) • يقول المسعودي أنه كان يستخرج هناك نوعان من الزمرد

-
- Clavijo, p. 118. (٧٦٥)
Pagol, p. 8, 328 • Clavijo, p. 116, 191 • Khazine, p. 413. (٧٦٧)
Ramusio, II, 83, b. • Trifacchi dans Clément-Mollet, Essai sur la
minéralogie arabe Journ. asiat., 6e série, XL, 303 — 309
Pagol, p. 306. (٧٦٧)
Douet d'Arceq, p. 366. (٧٦٨)
l'aveugle de Charles V, roi de France, dans la Revue
archéologique, 1850, p. 306, 307, et éd. Labarte, p. 35, 49 etc (٧٦٩)
Lacroix et Seré, Hist. de l'orfèvrerie - joaillerie (Paris, 1935)
p. 46.
M. Clément-Mollet, Essai sur la minéralogie arabe, publié (٧٧٠)
dans le Journ. asiat., 6e série, XI
Cosmas, éd. Montfaucon, p. 329 • Relat., I, 183. (٧٧١)

موقع يباع للوحد البلاد الشرقية على المحيط ، كاهنه ، والمسد ، والجبسة ،
والصبي ، وكان هؤلاء الملوك يحبون التبري بالرمرد ، وكان يسمى لذلك
« بحري » ، أما النوع الآخر فكان يطلبه بالحاج ملوك أوروبا ،
ومن ثم كان اسمه « مفسري » ، Maghribi (٧٧٢) وكانت مساحة
الرمرد هذه واقعة على حدود مصر والنوبة (٧٧٢) عند بقعة اسمها
« حربة » Kharbah في إقليم نطش Khat على مسيرة مسيرة أيام من
حاصره هذا الإقليم ، كوتوس القديم Koptos (٧٧٤) ، على بعد عشرين
أسوان تقريبا (٧٧٥) ، وسط سلسلة الجبال الممتدة في الصحراء بين
البحر والبحر الأحمر (٧٧٦) ، وكان الإقليم ينتمي إلى قبيلة لندة Bedjah
الندوية ، ولكن المناجم كانت تستعمل لحساب سلاطين مصر الذين كانوا
يقيمون بها عمالا حتى عام ١٢٥٩ ، وفي هذا العصر أصبحت هذه المناجم
بمسبب قلة عائنها دون شك (٧٧٧) ، وكانت أرض مصر تنقسم إلى
الزمرد ، « والبريل » beryl ، ذرية النصارى (الزمرد الربيعاني) ، ثم
« الباقوت الأحمر » rubis ، ففي عام ١٢٧٠ اكتشف منجم منه بالقرب من
قرية تارا Thara على بضعة فراسخ جنوب القاهرة (٧٧٨) ، وربما كان
يورد من هناك « الباقوت الإسكندرية » الذي كثيرا ما ورد ذكره في مصادر
المصادر الوسطى (٧٧٩) .

ونستقل إلى آسيا ، إذ كانت طبقات الأحجار الكريمة متوفرة للغاية
حتى ليستحيل علينا أن نعدد كل ما ورد ذكره في مصادر المصادر
الوسطى ، فيتبع علينا أن نقتصر على الأكثر أهمية منها ، ومن هذه الناحية
كانت فارس البلد الذي يتبع ماكر حطوة ، كان القبور (العبروج)

-
- | | |
|--|-------|
| Magoudi, III, 44 et s. | (٧٧٢) |
| Clément-Mullet, I, s. p. 73. | (٧٧٢) |
| Magoudi, III, 43 et s. | (٧٧٣) |
| Clément-Mullet, l.c. p. 72, 73, not 1, Bériz 2, 38. | (٧٧٤) |
| En Bethar trad. Dory dans la Zeitschrift der deutschen
magarischen Ges., VIII, 100, Teifschl, op. cit. | (٧٧٥) |
| Quatremère, Mémoires sur l'Égypte, 173 et ss. , Chems-
eddine, p. 326, Wilh. von Böklenstein, p. 248 Nils de Foggéonast,
II, 41 Coloschandi (l.c., p. 13). | (٧٧٧) |
| Mohammed ben Mazar, Traité des pierres précieuses,
dans Hammar, Funder des Orient, VI, 112 , M. Clément-Mullet,
l.c., p. 43. | (٧٧٨) |
| Duclot d'Aras, Comptes de l'argenterie, I, 109, II, 30
Inventaire du mobilier de Charles V, ed. Labarte (1873),
p. 18, 19. | (٧٧٩) |

موجوداً في أقاليم كرمان (٧٨٠) ، وخراسان ، وكان أجيد أنواعه موجوداً في الأقاليم الأخير ، في محاورات بيساير (٧٨١) . وكانت هناك طبقت أرضية من هذا الحجر الكريم في المناطق الجبلية لسهل جيرون العلوي وبهرس سيمون وهي المروحة باسم فرغانة Ferghana ، وبدرشيان Badakshan (٧٨٢) ، واشتهر هذا الإقليم الأخير بسوغ حاص باللازورد الذي كان مستعملاً فيما مضى في صن الأصباغ (٧٨٣) ، وسوغ من الناقوت الأحمر ، أو بالأحرى أنواع « اللؤلؤ » التي مستخدم عنها بعد قديم . والحق يقال أن لازورد لم يكن ينتمي إلى هذا الإقليم وحده ، فقد وجد في أماكن أخرى ، لا داعي لذكرها من باب الإيجاز . غير أن لازورد بدرشيان كان يحظى بالتقدير ، ويصدر إلى جميع أنحاء العالم ، كما يشهد بذلك الإدريسي . ومن ثم يحق لنا أن نسمي بأنه ينتمي بسبب كبره في تركيب « الحجر الأزرق السماوي » بوجه عام ، وبخاصة اللازورد الأساجوسي ، وكذا « لازورد بسماند » الذي كان شائعاً جداً في ثقافة المصور الوسطى (٧٨٤) ، ويستعمله دائماً الرسامون الغربيون (٧٨٥) . كانت تلك المناطق الجبلية منتجاً أيضاً نوعاً من الباقوت الأحمر الذي يصدر إلى الغرب . وهذا أمر لا ريب فيه . وفي مؤلفات الكتب الغربية في المصور الوسطى ، كثيراً ما ورد ذكر الأحجار الكريمة (٧٨٦) ، كان ثمة حجر منها لا يتوهم أن يوهوا به ، ذلك هو

- Polo, p. 72 , Yule, Marco Polo, I, 87 , Fra Mauro, p. 43 : (٧٨٠)
 Mohammed ben Mansour, op. cit., p. 122, Améby, Traveis, I, 211
 Ibn Haoukal, trad. Anderson, Journ. of the Bengal Soc., (٧٨١)
 (1853), p. 154. Édrisi, II, 125, Moh. ben Mansour, op. cit. : Tadjakh,
 dans Clément-Mullet, p. 153 et s., Clavijo, p. 128, Ritter Erdk.,
 325-328.
 Istakhri, p. 190, 193 , Aboulf., Géogr., II, 3, p. 218 ; Cf. (٧٨٢)
 Ritter Erdk., VII, 671, 738, 748, 760 , VII, 325 ; Clément-Mullet,
 p. 183 et s.
 Ibn Haoukal, op. cit., p. 188 , Istakhri, p. 190 , Édrisi, (٧٨٣)
 I 678 et Aboulf., Géogr., II, 3, p. 218 , Chahabeddin, p. 243
 et s., 246 . Ibn Batouta, III, 50 ; Polo, p. 120 Clément-Mullet,
 p. 188.
 Bourquelot, Faïca, I, 260 , Pegol., p. 280, 373 Utr., p. 17, (٧٨٤)
 48, 192, Dig. Gemini, p. 156 et s. Pegol., p. 373.
 Liber diversar. nri Montp., p. 743 , Dig. op. cit., p. 156 et s. , (٧٨٥)
 Merrifield, ussm, p. 340 et ss.
 Pegol., p. 207 Utr., p. 232 et ss. (٧٨٦)

• الباقوتة النوردية اللون ، rubus haleis ، أو balais لفظ ، وبالإيطالية balaisco . وباللاتينية balastus ، والاسم مقتبس مباشرة من اسم إقليم بلخشان أو بلخشان (٧٨٧) . وتوجد بالمثل شرقي هذا الإقليم ، في جبال أقل ارتفاعا من الجبال التي يستخرج منها اللارود (٧٨٨) وكانت للمناجم التي يستخرج منها أحجار الباقوت هذه صفة الاستغلال (٧٨٩) . ثم إن ملوك البلد كانوا يحتفلون لأعيادهم بالحق الطاقى على النصف في محصولها ، ولا يتركون للتجارة إلا مقادير صغيرة منها ، وهي طريقة مشابهة للمعامل على سعر مربع لها (٧٩٠) . ومن ثم كانت هذه التجارة الكريمة ماهرة للغاية ، وسلطنة بشفة • ومن حيث علم المبادن سمي هذه الأحجار (الباقوت) إلى مجموعة « الملح » (الاسبيسل) spinelles ، وتصف من حيث الصلابة والبريق في درجة أدنى من الباقوت نفسه (الكوروسم الأحمر) coruscans rouges ، ومع ذلك تتميز بلون أحمر خافت يميل بالآكثر إلى اللون النوردي (٧٩١) ، وبقيت أسعارها في السوق الأوروبية أكثر انحصاراً بدرجة محسوسة من أسعار الباقوت الأصلي ، وبخاصة عندما تكون مثقوبة (٧٩٢) ، وهي حالتها بوجه عام (٧٩٣) • وكثيراً ما تكشف عن وجودها في دوائر الحرد الخاصة ببيوت الأمراء ، وهي حسابات الملوك (٧٩٤) •

كانت بلاد الهند في كل الأزمان موطناً لثمن أنواع الأحجار الكريمة • ولتبدأ بالهند نفسها • لسوق كنبلي تتلقى من داخل شبه الجزيرة حليديديات raldedolines ، وكورتالين (عقيق أحمر) Coralline • وبجاذبات (٧٩٥) • ويسمى أن الكورتالين كان يصدر بكميات كبيرة

- Ibn Haukal, op. cit., p. 165 , Edrizi, I, 178 . Chahab-eddin, (٧٨٧)
p. 348 et s. ; Ibn Balasra III, 58, 86; Cherif eddin, Hist. de Tin-
bourbec, III, 387, Pagan, p. 118 et . Clavio, p. 182 et s. Clément,
Mallet, p. 115 et s. , les notes de Quarenère, dans son édition de
Makrid, II, ., p. 71, et dans cell d'Abdelrazzak, Not et ext., XIV, I,
p. 222 et s. 498 et ss.
Le carte no 3 jointe à l'éd. de Marco Polo de M. Yule (٧٨٨)
Polo, I, 189.
Chahab-eddin, p. 248, (٧٨٩)
Polo, I, s. (٧٩٠)
Clément-Mallet, I, s. p. 112, Barbou, p. 224, b Kluge, (٧٩١)
Société d'histoire, p. 384 et ss.
Pagan, p. 307 (٧٩٢)
Ibn, p. 218. (٧٩٣)
Les compte de M. Douet d'Arce, p. 124, 158, 188. (٧٩٤)
Corti, p. 27 , Vanthouren, p. 137, a , Corail, p. 170, b , (٧٩٥)
Rassios, p. 207, b. Garcia de Oria, p. 222.

الى أوروبا عن طريق مصر (٧٩٦) . والى عجساورات ممسمةان
 Sinoan (أعلا بوميساي) وكبهي في ولايات بنهيرا ، ملك مانكير
 Balhara de Manik , كان يوجد . على الأذل في زمن السعدوي (٧٩٧) .
 طبقات أرضية في زمرد ، تماثل في جماتها زمرد مصر العليا ، وتصل
 الى منه عن طريق عدن ومواس أخرى في جنوب بلاد العرب . ويطلق عليها
 صناع الجواهر وتجارها اسم « الملكة » mekki . والى الجنوب في
 مرتعات غات Ghata حلف سواس كيارا Canara (غرب الهند) ،
 وهليار ، بيد « صالير » (لادورد - ياقوت لودي) التي يوجد في الحديقة
 من صافير Saphir سيات (٧٩٨) غير أنه من بين كل الاحجار الكريمة التي
 عديها حتى الآن ، لم يكن واحد منها يضارع أمهها كلها ، وهو الماس .
 كانت طبقات الماس موجودة في القسم الشرقي من الهند ، في خمس
 مقاطعات متباعدة ، منصورة بين حوض نهر بينر Ponnair والمجرى الأوسط
 لنهر الجانج Gange اي بين حطى المرس ١٤ ، ٢٥ شمالا . نهل كانت
 كل الطبقات المعروفة حاليا موجودة هناك أيضا في العصور الوسطى ؟
 ربما كان من الخطأ تأكيد ذلك . يذكر ماركو بولو أن البلد الوحيد الذي
 يوجد به الماس - ولعله مخطئ في ذلك في العصر الذي كتب فيه - مملكة
 مونتفلي Montfeli التي أطلق عليها مؤلفون آخرون اسم امراطورية
 Telingana (٧٩٩) (تلينجانا) . ويسبب اليها دون سبب معقول اسم
 ميناء مونتابالي Montapali, Montapalle . ويقع هذا الميناء حويلي مصاب
 نهر كريشنا Krishna . وكان له في ذلك الأولان أهمية أكبر مما له في
 الوقت الحاضر ، ويظهر على الخريطة الفطالية باسم Buttila (٨٠٠) .
 ويتردد اسم كرشا أو كيشا Kishna كثيرا في كتابات المؤلفين اللاتقيين
 لماركو بولو ، ودائما في خصوص الماس . وعلة ذلك أن مجامع الماس التي
 أفضت شهرة عالمية على مدينة كولكوندا Golkonda توجد في المجرى
 المتوسط والعلوي من هذا النهر (٨٠١) . ومن جهة أخرى ، يذكر كونفي
 الذي راو بيساحور Buzagor القديمة أنه كان يوجد ماسات على مسافة

- (٧٩٦) Barbosa, l.c.
 (٧٩٧) Mapaud, III, 47 et s ; cf. I, 177, Lassen, loc. citata, II, 255 not., III, 171, 433 et s., 536 et s.
 (٧٩٨) Barbosa, p. 322, s. , Garcia de Orta, p. 321.
 (٧٩٩) Valentino (da) Moravia (1538) dans de Gubernatis, p. 170.
 (٨٠٠) M. Yule (II, 287)
 (٨٠١) Riner Ersk., VI, 380.

وهي منطقة مونتفلي أو مونتفول أو مونتفولي ، وهي القواقع في مونتفلي مانان .
 وهو اسم حديثة نسبية حلت محل اسم القديم فهي غنية وبناء توارثت قرب مصب نهر
 الكيشا ، تتبع مملكة كولكوندا والتي كانت تشتهر ببنيد ماسو ليهاتام . (المرجع) .

خمسة عشر يوما شمال هذه المدينة (٢٨) . هذا البيان يعبر تماما عن موقع مباح الماس التي استعمل عليها في الجرى المتوسط لنهر كوشا ، غربي حوكوتا (٨٠٢) . ويسير بعض الكتاب المعاصرين لهذه السياح البرتغالية بين ماسات المنجم القديم التابع لمملكة الدكي Dekan وماسات منجم اكتشف حديثا في مملكة تارسينجا Naranga التي كانت عاصمتها مدينة يمساحور التي دارها كوشي ، ويقولون ان ماسات المنجم الاول كانت تفوق جودتها ماسات المنجم الثاني ، ولكنهم لا يحددون بالتفصيل موقع أي من المنجمين (٨٠٤) . وصفت أيضا ، بعد ماسات مملكة تارسينجا ماسات صغراء من مجاورات بايكاب Paleacate ، وهي حاليا بوليكانت Poilcant شمالي مدراس (٨٠٥) . يشت هذا أنه من القرن السادس عشر كانت تستغل طبقات الماس الموجودة في أقصى الجنوب ، والمعروفة حاليا في الهند (٨٠٦) . ويوجه عالم فان اناج ماسم الماس في الصخور اللوسفي كان أكثر مما هو عليه في الوقت الحاضر . وكان للثروب لي هارك الهند المسلمين كانوا يملكون وحدهم كميات هائلة من الماس (٨٠٧) . ومهما كانت ضخامة هذه الكميات عامة لم يكن يصل منها الى العرب الا القدر اليسير . ومع ذلك فلم يكن ثمة أمير في أوروبا لا يملك بعض الماسات ضمن حليته .

وهي بلاط فرنسا ، وبخاصة برجنديا ، كان الصانع للهرة الذين يقطعون الماس ويصقلونه لا يكتفون عن ممارسة حرفتهم هذه . وفي مارس وبروج ، على سبيل المثال كانوا يشكلون طائفة خاصة . ويعرض عليها پاربوزا قائمة بأثمان الأحجار الكريمة الرئيسية في مستهل القرن السادس عشر (٨٠٨) ، ونتج بها فرقا هائلا لصفائح الماس . ولم يكن الأمر كذلك في القرن الثالث عشر حين استعمل النبهاني Teifochi عن نس الأحجار الكريمة في أسواق بغداد والقاهرة . فقد كان متوسط ثمن الباقوت الأسمر والاحمر وقتئذ أعلى من ثمن الماس (٨٠٩) . وبخصوص الباقوت الأسمر ، يبقى علينا أن نبحث في موطنه الأصلي . والمعروف أن أرض ميلان تخرق

- (٨٠٢) P. ٥٧ : Cf. p. ٥٧ , Ederici (p. ٣٨٧. n) et Garcia de Orta (p. ٢١٨) , Elliot, Hist. of India, IV, ١٥٧
(٨٠٣) M. Las sen, Ind. Alterth., IV, ١٥٥ , M. Ritter, l.c.
(٨٠٤) Barbosa, p. ٣٢١, b , Garcia de Orta, l.c., cf. Barbosa, p. ٣٥١. Viterbo, p. ١٣٨, a.
(٨٠٥) Orsini, p. ١٨٥, a.
(٨٠٦) Ritter, VI, ٣٨٥ et s.
(٨٠٧) Leberd, Notice des émaux, II, ٣٤٧ et ss.
(٨٠٨) ٣٥١, b-٣٥٢, b.
(٨٠٩) Colonial-Museum, p. ٥١٥ et s.

على مجموعة لا حصر لها من الأحجار الكريمة ، وبعضها ذو قيمة كبيرة .
وتتركز الطمنان الأساسية في المجموعة الجبلية القاميه وسط الجزيرة ،
وتشرف عليها قمة آدم Adām (٨١٠) . والسيول التي تنشق من هذه
الحدال تجلب معها الأحجار الكريمة ، وترسيبها في الوديان والسهول حتى
شاطئ البحر . وفي القسم الجنوبي من الجزيرة ، يكفي كشمس زمال
الجداول أو طلي السهول للكشف عن الأحجار من كل نوع ، فيما عدا
الساس ، على عكس ما يردده بعض المؤلفين (٨١١) . من ذلك النمل
(الياقوت الأحمر) ، واللانور (الياقوت الأزرق) ، والوريجد (الياقوت
الأصفر) ، والبيجدي ، والبلحتي ، والجيشيت ، وعبي الهير (٨١٢) .
الحج (٨١٣) . وليس أي حجر من هذه الأحجار من منتجات صلال . ومع
ذلك كان الياقوت الأحمر يحظى بتقدير عظيم حتى أن كومساس Comas
لا يذكر سواء بين منتجات الجزيرة (٨١٤) ، كما أن بيلانودي Bileoni
يسمى الجزيرة نفسها جزيرة الياقوت (٨١٥) . ومع ذلك لم يكن الياقوت
وقيرا ، ولم يكن موجودا خارج دائرة صولة النمايه (٨١٦) ، ولم يكن
له مع ذلك حظ في جودته ، ولذا كان يقتصر شيء من تألق الألوان
ولماتيا ، فإن السجاليين كانوا يمالجون هذا النقص بتعريض الحجر لضخ
ساعات لجسم مفند ، وهي تجربة يقاومها الياقوت الحقيقي فلا يتغير بفضل
صلالته التي تتوق صلاية الناس (٨١٧) . ولم يكن ياقوت الهند الصببية

- Edrisi, I, 71 et s. , Karwāl dans Glirneisier, p. 126, loc (٨١٠)
manuel de l'histoire de pierres de Telfach, publi par
Élément-Muller, l.c., p. 40 et s. ; Mohammed ben Mansour dans
les Firdz des Orienta, VI, 126.
Ben Khordadbeh, p. 285 , Edrisi, I, 71 et s. , Karwāl dans (٨١١)
Glirneisier p. 123 , Odeiro de Perdenoe, p. 222.
(٨١٢) حجر كرم أو صخرة . فيها خط ولطخ له تأثير المسح في عين الفير .
Reist, p. 5 , Quatremaire dans le Journal des savants ; (٨١٣)
dec. 1646, p. 519; Ibn Batouta IV, 113 et s. , M. Polo, p. 506
Coul, p. 39 ; Hien ts S. Stefano, p. 345, b ; Varthema, p. 163.
١ , Cornall, p. 173, b 120, a, 184, a ; Barbose, p. 314, a, etc
Ternant, Ceylon, 4e éd., I (1800), p. 31-40.
Ed. Montfaucon, p. 326 et s. (٨١٤)
Journ. Asiat., 4e série, V 183 et s. (٨١٥)
Roiere, p. 109; Ibn Batouta, l.c. (٨١٦)
Telfach, l.c., p. 48 , Ketz et Tadj-Sjor, ibid p. 48 et s. (٨١٧)
Barbose, p. 314, a, 321, a , Kluge, Eds'ginkunda, p. 120 et s.

يعد دودا هو مؤمن بقال المسكينين Slings'ce اللذين واصل سبلان يقسموه
بعضهم أكثر القسم التي على الجبل اليه لا تلي انه كما يمتلك اسلكتون . (انراجع)

في حاجة لأن تحرى له هذه الجربة ، لأنه يملك يريحا أحمر قويا ، ولكن
 ياقوت سيلان اشتهر بأنه أكثر صلاحة وأغلي ثمنًا .

وفي مستهل القرن السادس عشر ، علم العرب (٨١٨) أن الهند
 الصينية تصدر أيضا إلى الهند ياقوت ذا قيمة كبيرة حيث يحصل ليهما •
 ومكان التصدير هو بيجو Pegou • ولكن باعمان النظر يتبين أن هذا
 الياقوت يأتي من منطقة أما Ava ، أو من حبال كاساي Capelas ،
 أو كابلانجام Capelangom ، شرقي هذه المدينة • ويحتوي أرض الهند
 الصينية أيضا على بلخش أو صابير (ياقوت أزرق) (٨١٩) •

عند الأحجار الكريمة الواردة من الهند الصينية ، إذ تنقل إلى أسواق
 باليكاك ، شمال مدراس ، فانها تختلط هناك بالأحجار الكريمة الواردة
 من سيلان ، وماسبات الهند Decan • هذا الجمع من الأحجار الكريمة
 الواردة من جهات مختلفة جعل من هذه المدينة أهم سوق في الهند
 لهذه السلع (٨٢٠) بل وأهم على كل حال من سوق قاليقوط المتخصصة في
 الأحجار الكريمة الواردة من سيلان (٨٢١) • وإذا أردنا البحث عن الأسواق
 الرئيسة التي تمارس فيها هذه التجارة ، متجهين من الشرق إلى الغرب ،
 نجد أسواقا في قارس ، وهرمز ، وشيراز ، وطورس (٨٢٢) (تبريز) ،
 والسلطانية (٨٢٣) ، وبغداد (في بلاد ما بين النهرين) (٨٢٤) ،
 وحلب (٨٢٥) ، ودمشق (٨٢٦) في سوريا ، والقاهرة (٨٢٧) ،
 والاسكندرية (٨٢٨) ، في مصر ، وأخيرا على مشارف أوروبا ، القسطنطينية .

Eller et Sékiao (p. 348, h) ; Holslap, p. 113, M. Polo, p. 506. (٨١٨)

Varthema, p. 104, a, 168, b ; Cornall, p. 179 b ; Barbosa
 p. 301, a, 314, a, 315, b, 515, b, 317, a, 238, b; 321, a,
 Semagar, p. 234, b ; Pedacel, p. 335, a, b; Servet, p. 263. (٨١٩)

Varthema, p. 104, a ; Cornall, p. 179 b ; Barbosa, p. 315, b. (٨٢٠)

Rotelo, p. 88 ; Semiel, p. 170, a, b. (٨٢١)

Barbosa, p. 294, a ; Varthema, p. 100, b ; M. Polo, p. 60. (٨٢٢)

Ibn Batouta II, 120 ; Ghisfela, p. 310; Clavijo, p. 114.

Clement-Mullet, p. 596. (٨٢٣)

Ghisfela, p. 321 ; Poul, p. 176, b ; 179, a ; 180, a. (٨٢٤)

Ludolf von Sulhem, p. 98; Wöhl von Doltensele, p. 234. (٨٢٥)

Clement-Mullet, I, c. ; Freccobaldi, p. 41 ; Guezl, p. 380. (٨٢٦)

Nice de Poggibonsi, II, 80 et a.

Dei Fabri, III, 177. (٨٢٧)

Pagel, p. 307. (٨٢٨)

أو بالأحرى ييرا ، وحمد ييجولوتي (٨٢٩) قيمة الأسجار الكريمة تبعه
لمسرحها في هذا الموضع ، في حين أن التيفاشي Tifachi اتخذ أساسا
لقيمتها الأسعار التي كانت تدفع في رعه (القرن الثالث عشر) في مقدار
والتساهرة (٨٣٠) .

وفي المصور الوسطى كان التجار الغربيون يتصلون بهذه الأسواق
ارضاء لكبار السادة النبلاء ، الكسبي ، والعلمانيين الذين كانوا شديدى
الولع بالمجوهرات . وكان الصائغة وتجار الجواهر يتولون تصنيع هذه
الأسجار الكريمة ، ويكفى لمعرفة الأشياء التي يستعملونها في صنعها تصفح
قوائم كود يودت الأمراء والكنايس ، أو مشاهدة متحفاتهم في متاحصا ،
فهي تكشف عن براعتهم وحذقهم . ولا يدخل في موضوعنا البحث عن
مريد من التفاصيل ، فذلك من شأن تاريخ الصناعات ، الذي يتكفى عما يدل
من محاولات في العرب لتقليد الأسجار الكريمة واللؤلؤ (٨٣١)

الفلل (الأسود والأبيض)

الفلل هو العينة (نورة لحماية كالعنية - المترجم) للبقعة لبيات
يسمى بجرام *Piper nigrum* ، اسود اللون حين يجفف في الشمس دون
أن يبرق جلده ، وأبيض حين يبرق أولا جلده . ويكفى وضع كليات لوصف
هذا النوع الأخير . فالفلل الأبيض قلما ذكرته المصادر التي رجسا
اليها ، مما يثبت أنه لم يكن معروفا في العرب في المصور الوسطى ،
كما في الوقت الحاضر كان يمد له هوة في الشرق . وفي هذه البلاد كان
يفضله على ما يبدو كثير من الأشخاص بدوى أن طعمه أقل لدا ، وأنه
أقل اجهادا لمعدة من النوع الآخر (٨٣٢) . وقد رأى ماركو بولو كميات
كبيرة منه في أرخبيل مالبريا (٨٣٣) ، والراجح أنه كان يصدر من هناك
إلى الصين حيث لم يزل مرغوبا فيه إلى وقتنا الحاضر (٨٣٤) .

-
- Clément-Mullet, l.c. (٨٢٩)
Merrifield, Orig. ireslie, p. 307 et ss. (٨٣٠)
Pegol., p. 297 , Utz., p. 36 , Benaim, Hist. Pis., II, 437, (٨٣١)
Bourenclot Foirez, p. 281 , Douet d'aroz. Comptes de l'argenterie.
p. 226
Marston, Hist. of Sumatra, 2e éd., Lond 1811, p. 136. (٨٣٢)
Meyen, Pflanzen-geographie, p. 467, Bot. Beitar, II, 268.
Marco Polo, p. 560. (٨٣٣)
Fickiger and Hanbury, Pharmacographia, 2e édition, (٨٣٤)
p. 361.

والملفل الأسود له حلك أسود متفلس وتشيخ عنه أقرب القصص
 عند العرب ، وحسب عبد الأوروبيين ، أن كان السمس يحنى أو الارمى إلى
 يسو عليها تمش فيها الاعاصي ، ولا يصرف أحد كيف يطردنها سوى
 بالشمال البئر ، فيسود الملفل وتجب بدورها (٨٢٥) . وتصور آخرون أن
 الملفل يسمى (٨٢٦) . ومع ذلك ظهرت حقيقة شيئا مشينا ، مع اوريداد
 عند القرحاء الذي سموا بـ *يرور* بـ *الغفل* . وفي الشرق اسمهم
 اس بطوطه (٨٢٧) وفي العرب مشفون مثل جورناس كاتالاني ،
 وأوندريكو ديوردوني ، ومدريولا ، وجار مثل ديكلو كوني . ويرون
 دي ساد حنيغانو (٨٢٨) . اسم كل هؤلاء ، بشر أخبارهم في اداعة
 افكار أصبح شيئا هذا للحصول الطبيعي لهم . وعرف من ذلك الحين أن
 انشيس وحدها نسب دورا ، وذلك حين تطرح بدور الغفل على حصر
 أو يوح بعد امتاطها من الباب ، وعرضا على أشعة الشمس المحرقة ،
 فتجده هذا اللون الأسود ، والظفر المتفلس . كذلك أصبح هؤلاء أن
 شجيرة الغفل بيضاء تتسنى بتعلق بالأشجار ، مثل الكرم (شجرة الصب)
 في إيطاليا ، والصلاب . كذلك عرفوا نوع خاص المنطقة التي يأتي منها .
 ومدها . فضلا عن ذلك كانت هناك بيانات ترجع إلى عبور سابقة .
 لمعرفة أن ساحل مينار كان الموطن الحقيقي للغفل كان يكنى الزحرج
 إلى أمار رحلة معروفة برحلة « اريابوس *Ariabon* » . وكذلك تمتد أواسط
 القرن السادس كتب كورعاس ، في أعقاب رحلته إلى الهند مذكرات يكتلم
 فيها عن بلد الغفل الذي يسميه بلد « ميل » *Mile* . ويذكر فيه حصة
 عوامي (٨٢٩) يصدر هذا الحصول منها . ولتحت الأسماء التي يذكرها .
 من السهل أن تعرف في مانجاروت *Mangarut* على مدينة مانجلور
 الحالية ، وفي بودوباتانا *Pudopatana* على بودفانان *Bodifanana*
 لاني بطوطه ، وتقع على مسافة غير مهمة من تلليشيري *Tellikerry* (٨٣٠) .
 وتشابه الأسماء يجعل من السهل لتقريباً التعرف على الأماكن . ولم يكن
 العرب القدامى يجهلون من أين يأتيهم الملفل الذي يتفقون على طريق

- (٨٢٥) Jacq. de Willy, p. 1038; Harf, p. 146.
 (٨٢٦) Da Badula, IV, 77 Jord. Calai., p. 43. et Marignola,
 p. 89.
 (٨٢٧) Da Badula, IV, 79 et s., Edrisi, I, 172, Aboulfeda.
 Géogr. II, 2, p. 115.
 (٨٢٨) Jord. Calai. loc. , Odoardo da Pordenone, p. xl, xlii ,
 Marignola, loc. ; Conil, p. 48 , Hier di S. Stefano, p. 348 s.
 (٨٢٩) Montfaucon, Collectio nova Patrum, II, 327
 (٨٣٠) Yule, Cathay, II, 451, 453 Deleuwer, Journal asia, 4 série,
 VII 158.

مسيراف وعبد (٨٤٦) فمنهم من عهد يمين كان اسم ملبار مرادفا لملك الغافل (٨٤٧) *

كان مازكو بولو أول رحالة عربي وصف الهند عيانا ، وتبين له أن زراعة الغفل منتشرة في ممالك كثيرة متناثرة على طول الساحل الغربي لشبه الجزيرة ، أي ليس في مملكة ميار وحدها ، ولكن أيضا في ممالك اسمها جوريرات Garurat ، وايلى Ely ، وكوالى Colun (٨٤٧)

غافلا كان يتخسد بما سماها مملكة حوريرات اقليم كمرات الحال Goudjerato ، فانه يكون بذلك الكاتب الوحيد الذي زعم أن زراعة الغفل تمتد أيضا مساحة بعيدة نحو الشمال بل لقد انهم الادريس نفسه بالتألفه حين روى أن شجيرة الغافل تدور بوفرة في جزيرة تقع في مواهة يارونش Barotch ، أي في منطقة حنج كباى (٨٤٤) ، غير أن مازكو بولو يقول أن هذه الشجرة لا وجود لها في تانا (بالقرب من يوحياى) (٨٤٥) Tansh وفي التوسع ، بالمثل البطر في فكره ، أن ترى أن حدود مملكة جوزيرات واقعة بين تانا وبين ملبار ، أي أنه يجهلها جنوبي تانا ، ومن ثم فلا علاقة لها بتكرات ، أو لعل مازكو بولو لم يتمكن بشأنها الا لما سمعه عنها ، واعتقد أنها تقع بعيدا إلى الجنوب ، أعيد من حقيقتها (٨٤٦) * وربما يتضمن بمملكة ايلى ، ما ذكره ايها لا يتبع مجالا للمناقشة ؛ فإن اسم هذه المملكة موجود في اسم رعى جبل ديلى Mount Dely ، شمالي كاتور * واخترا ما وصف زراعة الغفل في مملكة كوالى (كويلوم ، كولام) يحمل كل خصائص الملاحظة الشخصية وكان سامي دى ثوديل يعرف أنه شجيرة الغفل توجد بوفرة في مجاورات هذه المدينة (٨٤٧) * وربما بعد نواف اثان من الشريرى الرعيان افرسسكان، اودريكو دا يورديومى ، حين كان خاضعا إلى الصين (١٣٢٤ - ١٣٢٥) ، وميرليولا عند عودته من الصين ، توخا عند كويلون ، املعا عند مورو بها ، والثامى أقام بها أكثر من سنة (١٣٤٨ - ١٣٤٩) (٨٤٨) ، وسحت لها عرسه كافة لتأمة سو

Istachof, p. 74 ; Eörsi, I, 54, 172.

(٨٤١)

Im Klosterbuch, p. 284.

(٨٤٢)

M Polo, p. 244, 248, 252, 260.

(٨٤٣)

I, 173 .

(٨٤٤)

M Polo, p. 261.

(٨٤٥)

M Yulc, II, 335 et s.

(٨٤٦)

Bezj de tudéle, éd. Asher, p. 126.

(٨٤٧)

M. Gernanz, Die Kirche der Thomaschristen, p. 194, 199 et s.

(٨٤٨)

هذه الثمرة حتى تمام نضجها ، ويحفظ عليها الكميات التي تصدر منها
 (لـ العالم بأنفسه « ٨٤٩)

ولذا أخذنا بما يفوقه اودريكو دا بوردنيوس ، فلم يكن أكبر إنتاج
 للفلفل قاصرا على سواحي كويلون ، وأما يمتد على طول الساحل ،
 شمال المدينة الى مسافة تقدر بمسيرة ثمانية عشر يوما فهو يقول ان
 الساحل كله (٨٥٠) من فلامندريا Flandria الى مسجيدى Cynglin
 معطى بغاية من شجيرات الفلفل المتلاصقة على انه لا يسمى ان يحد هذا
 الكلام على علاقته ، ذلك لاني شجرة الفلفل محتاج لكي تكبر الى صوره
 وهواه (٨٥١) . ويعد مدينة فلامندريا هذه ليست الا مدينة مدمرية
 Flandria التي ذكرها كل من الادريسي وابن بطوطة ، وهي
 جهة زالت من الخرائط منذ زمن بعيد ، وتقع على بعد حوالي
 عشرين ميلا انجليزيا شمسال قانيقوط (٨٥٢) . ويعتقد
 السيد بول أن مسجيدى تقابل كراجانور Cranganor (٨٥٣) ،
 ورأى أنها بالبحري كايان كولام Kayan Koulam حتى بعد صحة أميال
 شمال كويلون . وتبيننا مصادر أخرى بأن مجاورات هذه المدينة تنتج
 كمية كبيرة من الفلفل (٨٥٤) . واد تتمد على هذا النحو الاقليم الذي
 يمتد فيه هذه الزراعة أعلى درجة من الوفرة والاتساع ، تلاحظ أنه
 يوجد بين هذين المدينتين كوشين وقاليقوط (٨٥٥) ، وهما مدينتان أهم أكبر
 درجة من الأهمية هي تايونغ تجارة الفلفل . ومع ذلك لمالكيت أن زراعة
 الفلفل لا تنحصر كلها في الحدود التي ذكرناها ، إنما كانت تجارتها تزاوّل
 فقط في أماكن قليلة . بكثافة واحدة ، ولم تشغل في أية جهات أخرى
 دون القطاع مساحات شاسعة مائية . ففي الجنوب مثلا كانت حله الزراعة
 بته حتى رأس قومورين (٨٥٦) أو بالأصح حتى جرياني Djérban
 في مواجهة جزيرة سيلان (٨٥٧) .

-
- | | |
|--|-------|
| Oderico, p. xi, xii, Marignola, p. 88 et s., 113, 115. | (٨٤٩) |
| LaC., p. xii, Moissari, p. 33. | (٨٥٠) |
| Hüter, Erdk., V, 289. | (٨٥١) |
| Yulo, Cañay, I, 75, II, 488 et s. | (٨٥٢) |
| Ind. I, p. 75 II, p. 402, Roistero, p. 136 Gdynozus, Nouv. orbis, éd. de 1868, p. 207; Moissari, p. 37 | (٨٥٣) |
| Varthema, p. 38, a, Barbosa, p. 312, b; Sommarin. | (٨٥٤) |
| p. 203, a. | |
| Des Barrois, IV 77, Conli, p. 48, Hôren de S. Slemon. | (٨٥٥) |
| p. 345, s., Moissari, p. 37 | |
| Garcia de Orta, p. 131. | (٨٥٦) |
| Edric, I, 179, 184. | (٨٥٧) |

ومن جهة أخرى ، وجدت شمال مدرايه شجيرات اللؤلؤ متناثرة
 في مملكة كامبور (A88) ، ثم في مملكة إيل ، كما يقول ماركو بولو ،
 وفي مجاورات مانجور (A89) ، وبانيكالا Batecala (A٩٠) ، حيث
 كان الانتاج غزيرا . وكلما تقدم لثـ شمال مملكة كاندا Chandra أصبحت
 بالتدريج أكثر صخرة ، حتى تتلاشى تماما . وبالمسبة لعرب يشكل كل
 هذا الجزء من الساحل ملبار ، ويحصلون هذه الشمال عند سنداير
 Sindabour الذي يقابل موقعه على الأرجح مدينة جوا Goa
 الحالية (A٩١) .

كاتب خريطة ميلان منج اللؤلؤ هي أيضا . وهذه حقيقة ثابتة
 عند زمن مول في التلم (A٩٢) . والراجع أنها تالفى ساسل ملبار في
 توريد أوروبا بما تحتاج اليه من . وفي الفترة التي كان فيها البرتغاليون
 يحكمون ملبار . ويكررون في أديهم تجارة اللؤلؤ في تلك المنطقة ، كان
 ثمة مهربون جريثون يحصلون الى مكة لؤلؤ سومطرة (A٩٣) ، ومن هناك
 يمشون دون شك الى أوروبا . فضلا عن ذلك ، كانت منتجات المناطق
 الواقعة بعد الهند تتخذ غالبا ويوجه عام طريق الصين (A٩٤) . وقد تعبر
 أدواي الصينيين (A٩٥) ، ولكنهم كانوا في ذلك العصر شديدى الولع
 باللؤلؤ ، اذ كانوا يلقون بسهولة خمسة عشر دوكا لصابع واحد لم يكن
 يتكبد في سومطرة سوى أربعة دوكات (A٩٦) . وقدو ماركو بولو أنه
 في مقابل البسطة التي تقام في الهند متجهة الى الاسكندرية ، أو بالأحرى
 الى العرب ، سائلة شحنة في اللؤلؤ ، تنج عائلة سفينة أو أكثر شحنة
 (القلل الى الصين (A٩٧) .

Varthema, p. 158, b , Barbosa, p. 311, a	García de Orto, (A88)
Le ; Ibn Batouta IV, 84.	
Ibn Batouta, IV, 93.	(A89)
Memoir, p. 38.	(A٩٠)
Yue, Chaiy, II, 444 et a, 450. Corail. p. 179, a.	(A٩١)
Ibn Khordadbeh, p. 335.	(A٩٢)
Corail, p. 49 , Bonetolli, p. 105, b	Hier et E. Stefano, (A٩٣)
p. 345 b , Varthema, p. 118, b , Semmaris, p. 344, b , Corail,	
p. 185, a , Barbosa, p. 318, b, 322, b , Subramaniam, Vagg. d. l.	
p. 158.	
Pola, p. 850 , Somer, p. 332, a , Cirah, p. 189, a, Barbosa	(A٩4)
p. 317, b	García de Orto, p. 181 et ac
Yule, Polo, II, 106.	(A٩٥)
Barbosa, p. 320, b.	(A٩٦)
Marco Polo, p. 331 , Empoli p. 87	(A٩٧)

ومع ذلك ، لم تكن كميات القطن التي تأتي بها التجارة إلى أوروبا قليلة ، ولم يكن ثمة طريق بدي أو بحري يتجه من الشرق إلى الغرب لا يمر به القطن بقدر ما - لذلك مات تصنيع وقسا إن حاولوا أن يشر في كتب التجارة والتصريفات الجبركية على أسماء كل الأسواق التي توجد فيها هذه المادة - وقد رأينا في سياق دراستنا هذه أن مصر كانت تشتهر من حيث « الترابزيت » المرتبة الأولى مع كل ما في هذا الوصف من مزايا ومساوي - وفي الغرب ، احتكرت البندقيه القسم الأكبر من هذه التجارة إلى اليوم الذي استولت فيه البرتغال على تجارة الهند بوجه عام - غير أنه لم يكن ثمة مدينة ، كبيرة كانت أو صغيرة لم تكن لتجارة القطن فيها خروج - يخصص المظهر عن المظاري (٨٦٨) ، لم يكن ثمة تاجر يسافر من أجل أعماله لا يحمل معه قفلا ، ولو لسلك رسوم الترابزيت أو المصول - وبالفعل كانت هذه الرسوم من كثير من الاتهامات المحددة بالقطن والقطن ، وحتى بالقطن وحده (٨٦٩) - وكان اليهود يدفعون غراماتهم ومصارفهم كغيرهم من القطن ، دافوا أن هذا كبيرا منهم يرثون التجارة (٨٧٠) ، وكان من المسلم به بوجه عام ، ودون حاجة إلى التيسار ، أن كل انسياس ، حتى ولو لم يكن من أهل التجارة ، عنده قفلا في بيته - وثمة خرافة كانت تصبى بالقطن من البورجوازيين ، والفلاحين ، ورجال الدين ، وغرامات يحكم بها على هؤلاء فيدفعونها بالقطن بدلا من النقود (٨٧١) - وقد أثبت السيد كاتليه Cassio في كتابه « تاريخ جوا » ، والسيد تشيرازي M. Gibran في كتابه « الاقتصاد السياسي في المصو الوسيط » ، والسيد ليبر M. Leber في كتابه الذي ذكرناه من قبل ، أنتموا قوائم الأسعار لاختلاف الأغذية المستعملة في عصرهم ، وأدى السيد روجرر M. Rogers (٨٧٢) العمل نفسه بالنسبة لاجتراء ويؤكد لنا هؤلاء أنه إذا أردنا كتابة تاريخ التغيرات التي طرأت على أسعار القطن ، فليس هناك من هذه القوائم ما سلك به معلومات وإلية بقدر ما نملك من معلومات من القطن - ومنها كانت هذه السلسلة واسعة الانتشار ،

Gérard, Paris sous Philippe le Bel, p. 381, Bédier, Bédier (٨٦٤)

glissements sur les arts et métiers de Paris, p. 322

Reumann, Siedewesen des Mittelalters, I, 29 et s. (٨٦٩)

Catal ar Juddien, dans Frisch et Gruber, p. 112, Doppelring (٨٧٠)

Hist. du commerce entre le Levant et l'Europe, I, 288 et s. ,

Michel, Hist. du commerce de Bordeaux, II, 414 et s. (٨٧١)

Leber, Essai sur l'appropriation de la fortune privée au moyen âge, 2 éd., p. 108. Loh. Jur. I, 134, 145.

A history of agriculture and prices in England, vol. I, (٨٧٢)

p. 435 et ss., vol II, p. 543 et ss.

هناك ثمة ما يوجه عام كان مرتفعا على الدوام ، بحيث لم يكن في متناول الطبقات الفقيرة ، على الأقل بصورة إيجابية (٨٧٢) . لذلك كان يتخذ منه حدايا (٨٧٤) : فقد اعتقدت الجمهورية أنها كانت سلبية حيال الامبراطور صرى الخامس حتى تمهلت بترويقه مسجونا بقميصين وطبلا من القفل (٨٧٥) .

وفي المصور الموصفي ، كان الناس يخشون الأطعمة المخبلة ، وكل ما يمتد الناس على الشراب ، ومن ثم كان القفل مطلوباً بالضرورة : فكان يوصح به مع اللحم والسمك (٨٧٦) لتتبدلها ، كما كان الناس مولعين بالصالحه المخبلة بالقفل (٨٧٧) . وكان القفل يوضح حتى في الحلوى (٨٧٨) .

القفل الطويل (الفليفلة ، القفل الأحمر)

بعد أن تكلمنا عن القفل المستدير Peter tondo كما يسمى أحيانا (٨٧٩) وهو النوع الذي كان موضوع الباب السابق ، ينبغي علينا أن نقول بفتح كلمات عن القفل الطويل : وهو أيضا ثمره فلفلية Pieper officinarum Cet de Coad وثمره نباتات أخرى من نفس الفصيلة ذات الانتعاج الأقل حسودة . وكان « كوكشي » أول من لاحظ من الرحالة الغربيين وجود القفل الطويل في سومطرة : ومعلم المصادر التي تكلمت عنه تذكر عوطا له أولا بمومطرة ، وبخاصة منطقة

-
- Rogers, L.c., I, 627 ; Leber, L.c., p. 88, 89. (٨٧٢)
 Jaffé, Biblioth. rer. german., III, 110, 156, 190. (٨٧٣)
 Chartes du 25 mai 1111 Valentinelli Register, série partie, p. 416, dans les Abb. der Hist. Cl. der München Akad., IX (1856), p. 418. (٨٧٤)
 Radulf de Diceto, éd. Twissden, p. 628 , Schulz. Das Hgische Leben, I, 283, 288 et s. (٨٧٥)
 Ekkesh, L.c. p. 154 , Quoi de Provins, la Biblio, éd. (٨٧٦)
 Barbozan et saïon. Fabliaux et contes, II, V 1540 et s. , Schulz, L.c., I, 234 et s., not. 387
 Rogers, L.c., I, 627 (٨٧٨)
 Pegol. p. 297, Urz., p. 56. (٨٧٩)

يبدو *Fedle* شمساً الجريفة ، ثم جساوه (٨٨٠) - ويقول جارسيا دي دورتو ، ومؤمنون آخرون أن موطن المفضل الطويل هو البشمال (٨٨١) - ولا كان هذا الاقبح الهندي ، وجريفا جافة وسوطة أيس على أوروبا من البلاد المنتجة للعسل الأسود ، فإن هذا سبب كان بل يترك أن المفضل الطويل كان أكثر ندرة في الأحمر في أسواق الغرب (٨٨٢) ، ومع ذلك كان من الضروري أن يكون موجوداً منه في حوايت المطاير (٨٨٣) ، وكثيراً ما كان يستعمل في الطبخ (٨٨٤)

الراوند *Raiubarbe*

تفيد بعض المعلومات الحديثة بأن الراوند الحقيقي هو جذر نبات . *Rheum officinale Bailon* ، واسواع أخرى من الـ « روم » من نفس العائلة لم تنح الفرصة حتى الآن لتحديد خصائصها النباتية (٨٨٥) - وكان العرب يعرفون الراوند تمام المعرفة ، ولا يجهلون أنه يأتي من الصين ، ويباع عندهم باسم راوند فارس ، أو راوند الترك - إلا أن الأطباء العرب كانوا يعرفون تمام المعرفة أنه في الحقيقة نوع واحد من الراوند ، يرد من الصين ، وأنه قد أطلق عليه هذا الاسم لأنه يرد عن طريق فارس ، وبلاد الترك (٨٨٦) - وليس ثمة شك في أنه المعبر الذي لم تكن فيه طرق القوافل في وسط آسيا متاحة للتجارة الأوروبية ، كان هؤلاء يتسلمون الراوند من العرب - وفي وسعنا ، بالرجوع إل هذه السلسلة في قوائم جمارك عكا (٨٨٧) أن نؤكد دون تردد

- Conti, p. 42 ; Heron di S. S. Stefano, p. 345, b; Cornali, (٨٨٠)
p. 136, a , Verthema, p. 166, b , Barbasa, p. 316, b , Federici,
p. 287, a.
Garcia de Orta, p. 182 ; Masani, p. 36 ; Federici, loc. Jord. (٨٨١)
Cabel, (p. 46).
Pagot, p. 14, 37, 68, 80, 211, 218, 219, 297 , Benassi, Stat. (٨٨٢)
Pie, III 532 , Douet d'Arny, Comptes de l'argenterie, p. 236
p. 236 , Bourquelot, Foires, p. 221 , Capmany, Mem., II, app
p. 78.
Fückiger, Frankfurter Liste p. 11 , Nördlinger Regionen. (٨٨٣)
p. 3.
Ménaigier de Paris, passim ; Traité de cuisine, dans la (٨٨٤)
Bibliothèque de l'École de charles, 3 série, J, 309 et ss.
Fückiger und Hambury, Pharmacographia, 26d., p. 491 (٨٨٥)
et ss.
Edrisi, I, 167; Ibn Beljar, I, 462. (٨٨٦)
Arta de Jérua, II, 178. (٨٨٧)

أنه لا يأتي من أي مصدر آخر، ويعطي بحولوني وصفا دقيقا عنه (٨٨٨).
وعندما ألف كتابه كانت طرق وسط آسيا قد انفتحت بالفعل للتجارة .
وهي أوائل الرحالة الذين تحروا على ارتياد هذه الطرق جريوم
دي روبروك Guill de Rubrouck . إذ رأى الراوند يستعمله
كمناء راجع يراول التلطيپ ، ويقيم في بلاد مجو Mangou
جان المورل (٨٨٩) . وتعقب ماركو پولو آثاره ، وجاورها فعب صخرة
منغوليا ، ودخل الصين حيث عاش عدة سنوات ، وأطلق على أول إقليم
عصى وطائفة قدماء اسم تانجوت Tangut وهي تقابل على وجه
التقريب إقليم كاسو Kansou الحال ، ووجد هناك المرونة . وعلم
أنه من حاصلات جمال ذلك القطر (٨٩٠) ويحدث أودريكو دا بوردنومي
بصارات المذبح عن حاصلات إقليم آخر اسمه « كاسسبان » Cassan ،
ويقول أن الرواند شائع هناك (٨٩١) . ولابد أن إقليم كاسسبان
(كشان Keshan) القديم هنا يقابل ، ولو جريبا إقليم شان سي
الحال Chan-si . ولترجع أحسبا إلى شياهد ثالث . لاحق في
الواقع للمصور الوسيط . ففي العصر الذي عاش فيه - راموريو
Ramusio ، الذي كان يجمع مهمة أحبار الرحلات ، رأى في
البنطقة تاجر راوند من مواعلي جيان Ghian اسمه وحاجي محمد
أيد تماما لمعلومات ماركو پولو - فهذا التاجر قام برحلات عديدة إلى الصين
ولكنه لم يتجاوز مدينتي Succu و Campien الواقعين على
الحدود إلى الصينيين لم يسبحوا للقوافل بالتحدم بعدها ، وذكر أن
الراوند ينمو على الجبال الصخرية في مملكات Succu (٨٩٢) .
هذه المدينة هي سوكور Succu التي ذكرها ماركو پولو ، وهي
حاليا مو شاو Sou-shao . أما كامبيون ، فإنها تقابل كامسبو
Campieu حاضرة تاسحوب ، في أحسار ماركو پولو (٨٩٣) . وهي
حاليا كان شاو Kan-cho ، أو كان تشيو Kan-tcheu ،
والديتان تشيان إقليم كان مو الحال . وهكذا يشير اثنان من مصادرنا
إلى إقليم كان مو (٨٩٤) ، ومصدر واحد إلى إقليم شان سي Chen-si .

Pegel, p. 377	(٨٨٨)
Guill de Rubrouck, p. 232, 234, 245.	(٨٨٩)
Marco Polo, p. 168.	(٨٩٠)
Yule, Cathay, I, p. 148 . II, app. 1, p. xxxvi.	(٨٩١)
Ramusio, Navigazioni viaggi, II, 14, b-18, b.	(٨٩٢)
M. Polo, p. 168.	(٨٩٣)
M. Pichéger l.c., p. 8 , "grande géographie de la chine"	(٨٩٤)

وقد أثبتت الأبحاث الحديثة أن الراوند الحقيقي هو الراوند الآتي من
 هذير الإقليمين ، ومن إقليم ثالث إلى الجنوب منهما ، هو إقليم سي تشوان
 Sé-tchouan لأن موطنه هو الجبال الشاهقة التي تشكل سلسلة
 بايانكارا Bayankara مررها (٨٦٥) . ويوجد الراوند أيضا على
 الهضاب المرتفعة شمال السب ، وكان الإنديسي يزرعه في جبل (٨٩٦) .
 ففي عصره كان الراوند يصدر من هناك إلى جهات بعيدة ، غير أن هذه
 الحركة التجارية لم يعد لها وجود . ويبدو أن اساطير المرتفعة هي أنسب
 الأماكن لسمو الراوند . وقد زعم البعض أنه ينمو أيضا على شاطئ البحر ،
 إلا أن أحدا لم يتحقق من صحة ذلك في وقتنا الحاضر ، إذ يقول ماركو بولو
 أنه يوجد في الجبال المجاورة لسيجوي Sigi (سويو ، سر شساو
 Sou-sou, Sou-cheo) جنوب مصب نهر كيانج (٨٩٧) ، إلا أن السيد
 يول Vide يشك في صحة ذلك ، حتى في عصر الرحالة ذائع الصيت .
 فهل لنا أن نعرف الطرق التي كان الراوند يسلكها عند وروده من جبال
 الصين الشاهقة إلى الغرب ؟ يروى لنا حنجي محمد بعض المعلومات عن
 جبل المسير الذي اصعد في هذا المسجل . على الأقل في العصور
 السادس عشر . نجد أن أجرى مشرواته في كانبيو ، وهي سكوير ،
 احتار صحراء جوبي ، مارا بواحة خميل Khami ، ثم مسار بمحاذاته
 أنفق الجوبي لجبال بيان شان حتى كاشغر Kashgar ، ومن هناك
 وصل إلى سمرقند وبخاري ، وأخيرا عاد إلى وطنه عن طريق هرات
 والسامكانية . وفي عصر سابق كان على القوافل أن تحل الراوند عن
 طريق كاشغار إلى تابا ، وقد وصف بيچولوتي هذا الطريق
 وعندما تجتاز القوافل وسط آسيا ، تتوقف في مدن عديدة
 حيث تترك جزءا من حمولتها . وللمسة بعض الكتابات الحديثة
 بدوع ما ذكروا من أسواق الراوند مسمرقند ، وهرات ، وطورس
 (ترمير) (٨٩٨) . ولا يذكر بيچولوتي في هذا الخصوص سوى بعض
 مواضع البحر المتوسط مثل بيرا ، والإسكندرية . وقاماسوستا (٨٩٩) .
 وربما كانت بيرا تتلقى الراوند من مابا أو طريرون ، كما تفعل قداموسوتا
 من حلب ، ولكن بالأجمال كانت القوافل تستقبل قوافل تجار وسط
 آسيا . على حين ، يضعنا اسم الإسكندرية (٩٠٠) على طريق آخر فهو

Richtofen, aus Petermann, Mittheilungen.	(٨٩٥)
Erft, I, 484. voy M. Sprenger dans Flückiger, l.c., p. 10.	(٨٩٦)
P 469, M. Flückiger l.c., p. 13.	(٨٩٧)
Clevis, p. 181. Varthema, p. 156, b. ; Ghazala, p. 310 ;	(٨٩٨)
Ramusio, II, 83, b.	
Poggi, p. 18, 87, 88.	(٨٩٩)
Rotaio chez Vasco da Gama, p. 118.	(٩٠٠)

يجعلنا نذكر في أنه في ذلك العصر كان الراوند يصدر أصيالياً من الصين عن طريق البحر ، كما كان يحدث حيناً بعد في عصر السيادة البرتغالية على الهند (١٦) - بقي أن نعرف ما إذا كان بعض تجار الراوند ينقلون هذا الطريق ، وهذا أمر مشكوك فيه ، لأنه في المسلم به ، كما يذهبنا جازسيا دي أورنو (١٠٢) أن الراوند لا يتحمل مسافراً طويلاً - ويقول فيديريشي Federici الذي كان على دراية بتجارة تصدير المنتجات الصينية بطريق البحر - أن الراوند تملكه القوافل الكبيرة التي يجتاز بلاد العربى (١٠٣) .

واسم الراوند قليلاً يوجد في كتب تحارة العصور الوسطى : ومع ذلك فإنه كان على وجه اليقين منتشراً في قسم كبير من أوروبا (١٠٤) .

الزعفران Safran

يطلق اسم الزعفران Safran على عنبسهم رهرة الكركس سايفس Crocus sativus للصبغة . كان هذا النبات منتشراً في العصور الوسطى في كل أنحاء آسيا وأوروبا (١٠٥) ، وكان موطنه الشرق الأدنى ، ومنه استوطى في إسبانيا منذ القرن العاشر ، وطنه بها العرب على الأرجح (١٠٦) . وثبتا قديماً انتشر في مناطق بلاد أوروبا ، أما لأنه أرسل إليها من إسبانيا مباشرة ، وأما على أثر العلاقات التي توطئت في الحروب الصليبية بين الشرق والغرب - يبدو أن الغربيين لم يكونوا بحاجة للأهاب إلى الشرق للحصول على الزعفران ، وكان في

-
- Cornali, p. 132, a. ; Barbeau p. 292, a, 315, b 317 h. (١٠١)
b. 320, b. 323. b. ; Alvarez, p. 138, a. ; Gubernatis, Viaggiatori Ital.,
p. 169, 184. (١٠٢)
Ed. Glusius, p. 297. (١٠٣)
Federici, p. 89, b. (١٠٤)
Bancini, Stat. Pis., III, 108, 116 ; Chénier, p. lxxvii, a, b ; (١٠٥)
Capmany II esp., p. 74 ; Bourquelot, Potres de Champagne,
p. 298 ; Merrifield, Orig. Jrestles, p. 89 ; Mon. Hung. hist. Acta
externa I, 348. (١٠٦)
Ritter, Enchk. Kleinasiens, I, 736 et ss. ; Bochemann, Beitr. (١٠٧)
Zur Gesch. der Erbknd., II, 79 et ss. ; Fittiger und Hanbury,
Pharmacographia 2 64 p. 323 et s. (١٠٨)
Maqoudi, I, 367 ; Ibn al-Awwam, Livre de l'agriculture, (١٠٩)
trad. Clément-Ruflot, II, 116 et ss., Calendrier de Cordoue (ou
98, éd. Doty, Leyde, 1873, p. 23, 108.

أسواق مبرا دعفران إيطاليا وقطالونيا (٩٠٧) وكذا الأناضول في
السفلية برعفران بوليا ، وكلايريا ، ورومانيا (٩٠٨) . ومع ذلك يذكر
سجولوتي وجوده في كل أسواق الشرق الأدنى التي يرتادها التجار
الفرديون ، ولعله كان هناك بمثابة محطة للاستيراد ، لا للتصدير . ولقد
تبين أن مصر وقبرص كانتا تجلبان من الغرب جزءا على الأقل من رادعنا
من الرعفران (٩٠٩) هذا صحيح ، إلا أن صفات هذه المادة المسجودة
لم تكن تفي بكل الحاجات . ويقع المسعودي رعفران اسبانيا في مرتبة
أدنى من مرتبة رعفران الشرق (٩١٠) . وثبة فرسي ، صاحب دراسة
في تصدير الأولون ، في القرن الثالث عشر غالبا ، وهو يبر دوسانت
أوبير *Pierre de Saint-Omer* يدعى بأن إنتاج بلد من الرعفران
ردي ، في حين أن إنتاج اسبانيا وإيطاليا جيد ، ولكنه يضيف قائلا أن
أحسن صف من الرعفران - حسب شهادة إيريفور *Isidore*
هو رعفران قتيقة *Citice* (٩١١) . ولم يكن رعفران قتيقة هذا
معروفا في الكتب وحده ، فقد كان العرب يستوردونه . وهذه الفترات
الأولى من المصور الوسطى كان المصورون يستعملونه للرسائل
الرمزية (٩١٢) . أما رعفران كوريكوس *Korykos* فكان مشهورا
بسوق خاص : فس وابن *Plin* ، وسترابون *Strabon* حتى فليكي
قائري (٩١٣) *Félix Fabri d'Ulm* ، اتفق كل لكتاب الذين كتبوا عنه
على امتداد لونه الأصفر اللهب الجميل ، وعطره . وكذلك كان في
قرن نوع ممتاز من الرعفران ، وبخاصة في مجاورات اصفهان ،
وهلاند (٩١٤) ، وحلوان *Holwan* . ولهما كانت أوروبا تستهلك
دائما كمية من منتجات الشرق من الرعفران ، وهي أجود ما تزرعه
أوروبا منه .

- (٩٠٧) *Pegol*, p. 211 , *Bonaini*, *Stal. Pis.*, III, 24, 293, 302.
(٩٠٨) *Greif*, *Journal de Luc. Bern* (1890), p. 22 et s. note.
(٩٠٩) *Pitol*, p. 260, 274 *Paul*, p. 210 et s.
(٩١٠) *Marconi*, I, 380.
(٩١١) *Moritz*, *Orig. israel.*, p. 121-123.
(٩١٢) *Moritz*, *Antiq. ital.*, II, 328.
(٩١٣) *Plin*, *Hist. nat.*, XIII, 2 , XXXI, 17 *Strabon*, éd. Müller et
Dübner, p. 352 , *Fabri*, éd. Hauser, III, 215 ; *Ben Balouta*, II,
320 *Phall*, p. 271.
(٩١٤) *Ben-Hayon*, in *Uylenbroek*, p. 3-7 , *KazWin*, *ibid.*, p. 24
in *Edrisi*, II, 148 , *AbouHéda*, *Geogr.*, II, p. 162, 163, 164, 168 ,
Ben-al-Kawm, *l.c.*, II, 118.

وكان الأطباء العرب (٩١٥) يوصون باستخدام الرعفران كدواء .
كما كان يستعمل كثيرا في طب المصور الوسطى ، وفي الطب الصيني
الطبيعي (٩١٦) ، وفي التصوير كلون (٩١٧) ، وأحيانا في الروائع
الطبية (٩١٨) .

السقمونية Scammonee

باجسواء حرات في جذر نبات « كوفولتوليس مسقمونيا »
Convolvus Scammonea ، وهو نبات متسلق منتشر في شمال
مصر ، وفي آسيا الصغرى كلها ، يسيل مائل أبيض يتخذ تنريصه
للوهاء قوام الدرنج . والسقمونية مسهل قوي ، ودواء معروف عن قدم
الرومان ، وأكثر استعمالا في طب المصور الوسطى ، والقليل من مواد
المبيدلة البحتة هي التي تتردد اسمها أكثر من هذه الثلاثة في مصادر
تاريخ التجارة (٩١٩) . وفي المصور الوسطى ، كانت مسقمونية إيطالية
تعتبر أحسن الأنواع (٩٢٠) . وقد رأى بروك *Rauwolfi* مسقمونية
في حواصت حلب (٩٢١) . ويقول بيلون *Belon* أنه عن طريق حلب
أيضا تصل السقمونية إلى الغرب (٩٢٢) . وفي المصادر التي
رجعنا إليها ، نجد محصول آسيا الصغرى هذا كثيرا مذكورا باسماء
scammone d. Siria, soriana, d'Antiochia وفي مرة واحدة
صناديقا التسمية *Scammonea Turchesca* (٩٢٣) . وفي
Libell of policy أنه في حوالي عام ١٦٠٠ كان السمارقة
والفلورنسيون هم الذين جلبوا السقمونية إلى إنجلترا . وفي

- | | |
|--|-------|
| <i>Des Beller, I, 350 et ss.</i> | (٩١٩) |
| <i>Deuquielot, Fables de Champagne, I, 280.</i> | (٩٢٠) |
| <i>Cornu trad. fig. cap. 49.</i> | (٩٢١) |
| <i>Michel, Cammonee de l'afrique de sole I, 78 et s., II, 460.</i> | (٩٢٢) |
| <i>Pego, p. 14, 37, 55, 60, 175, 171, 211, 219, 135, 227, 300,</i>
<i>375, 1101, p. 58, 152, 151, n. 45, n. 84, p. 172, n. 178, n. 180, b,</i>
<i>183, n. 1, Pego, p. 375, Hergul, III, 150, 115, Douel d'Arcy, p. 401</i> | (٩٢٣) |
| <i>Alau Mansour Mawalik ed Seignem, 2ème partie,</i>
<i>p. 30, 83, Des Beller, II, 31 trad. fran., Not et extr. XXV, 1,</i>
<i>p. 280.</i> | (٩٢٤) |
| <i>Morgenlind, Reise, p. 126.</i> | (٩٢٥) |
| <i>Obere, p. 281</i> | (٩٢٦) |
| <i>Urs, p. 182.</i> | (٩٢٧) |

الفترة التالية من المصنوع نفسه ، حدد كلمة *diagrydion* ، وقد صرح السيد هيرزبيرج *M. Herzberg* (ص ١١٧) آخر ناشر لهذا الكتاب بأنه لم يستطع تفسير هذه الكلمة . إنها الديابريديوم أو الدياكريديوم *le Diagrydium, le Dinkrydium* وهو عصار من صنفلة السمبوتية ، كان كثيراً ما يستبدل بتلك المادة (٩٢٤) .

التحريم العام

لقد أوضحنا عند بداية دراستنا هذه التطور التدريجي لانتاج الحرير في اتجاه الغرب ، وبمرور الزمن امتدت هذه الحركة حتى وصلت الغرب ، حيث هزمت زراعته الثوب ، وتربية دود القز . وعرف عسوب اسبانيا وصقلية بنوع خاص إقامة قواعده واسعة للصناعة الحرير في هذين البلدين ما ن سرورا بهما انتاج المادة الأولية . ففي الأندلس على سبيل المثال لم تكن حول مدينة جاشي *Jashi* أقل من ثلاثة آلاف ناحية يزاول أهلها تربية دود القز (٩٢٥) ؛ وكانت مملكة غرناطة تنتج كميات من الحرير الضخام تكفي لتسمل العديد من نسيجي البرية ، ويبقى لديها بعد ذلك ما يكفي لتصدير (٩٢٦) . وفي إيطاليا ، كان الانتاج المحلي لم ير في هذه ، وكانت المادة الأولية التي تسلمها لنساجي نوكا ، وفودوسا ، وجورا ، والبندقية غير كافية من حيث الكم والكيف . وفي فرنسا لم تأت المحاولات الحديثة التي بدأت في أواخر العصور الوسطى لإدخال تربية دود القز بأية صيغة مدروسة بالنسبة للصناعة . وبالتالي ، كانت التجارة ، بما لها من علاقات مع الشرق الأدنى قادرة على أن تزود الصناعة البرية بالمواد الأولية بكميات وفيرة ، وبأصناف جيدة لتجملها قادرة على منافسة المصانع الشرقية . وقد رأينا أن الحويين كانوا يسمانهم يحتا من الحرير في جبال، منذ أواخر القرن الثالث عشر (٩٢٧) . وفي القرن الخامس عشر جعلوا يترددون هم ولبناتدة على شاطئ *Cherniki*

Förstiger Die Prähistorie List, p. 46.

(٩٢٤)

Bérisi, Description de l'Afrique et de l'Espagne, éd. Dem. et Goeje, p. 248.

(٩٢٥)

Boutquet, Poëme re Champagne, I, 307 ; Conde, Hist. de la domination de les Arbes en Espana, III, 38 et s. ; Della dordina dei Fiorofini, II, 117

(٩٢٦)

Yaqout, éd. Barbier de Meynard, p. 107, Chirgh-edjén, p. 294 ; Clavijo, p. 114 et s.

(٩٢٧)

فيبقى أولا أن نلقي نظرة صوب جنوب وجنوب غربي بحر قزوين
لنلتفت على أصلي مختلف أسوار البحر التي تصادف أسماها من
مصادر العصور الوسطى . ولكن تكون لدينا فكرة عن تنوعها
يكفي أن نطلع كتب الجغرافيا ، وروايات Uzzano ، والأشخاص من
فلورنسا ، وشريعات بيرا ، ووثائق لوكا ، وكلها راجعة بالملومات
في هذا الخصوص . السبب في ذلك هو أن مصطلحات تسكاثيا
كانت تستعمل بالأخص مراراً وتكراراً من البحار (١٢٨) . والأسم
الذي يظهر غالباً هو سيتا جيللا *seta ghella* أي حرير جيللا .
ومصادف أحياناً أسماء مشابهة ، هو سيتا ليجي *seta leggi* .
ويرى السيد پول (١٢٩) في ذلك شيئاً ما ، ولكن ، واعتقد
أن هذا خطأ ، وأن الموضوع يتعلق بحرير لاجدان *Lahdjan* وهي
مدينة واقعة في المنطقة التي تحصل هذا الاسم ، غربي سفيرود
Sefroud ، وهي جزء من حبلان ، ومنطقة لاهيجستان هذه تنتج
وتصدر من العصور الوسطى حريراً ممتازاً ، ولم يزل تنتج إلى وقتنا
الحاضر (١٣٠) . وقد أكد هذه الواقعة كثير من المؤلفين (١٣١) .

ولذا نحن وجهنا أنظارنا من جيلان صوب الشرق ، وهذا إقليم
مارندران *Mazenderan* (طبرستان) ، وحاصره أمل *Amol* .
وأيلاً ، دون أن أحشأ أية معارضة أن هذا الإقليم هو الوطني الأصلي
لجيات سيتا مازندروني *seta mazedroni* (١٣٢) ، وسيتا أمال
seta amal ، ولهذا الرأي ما يثبت ، خاصة وأن الاصطلاح
يقول أن طبرستان (مارندران) هي من بين كل البلاد الإسلامية التي تنتج
أكبر قدر من الحرير (١٣٣) . ومن الخطأ أن نشق اسم سيتا برسيا
شيري *seta persichei* من اسم بجا - هرار *Pendja-Hérar*
وهي ناحية من مجاورات سارية *Sari* (١٣٤) . والثابت على العكس

(١٢٨) Pegol, p. 215, 228, 281 et 2. Ucc., n. 153, Bontani, Sin.

Pi inedit III 893.

(١٢٩) Marco Polo, I, 58.

(١٣٠) Spiegel, Erna. Alerth, I, 77, Bükör, Enik., VIII 644.

(١٣١) Yankout, éd. Hachier de Meynard, p. 503, Abouléda, Géogr.

II 2, p. 172, Chéhab-eddin, p. 398.

(١٣٢) Barbato (Viaggio in Persia, dans les Viaggi alla Terra,

١٤٨).

(١٣٣) Isfahani, p. 409, Yankout, p. 392, Abouléda, Géogr., II, 2.

p. 55.

(١٣٤) Dorn, dans les Mém. de l'Acad. de S. Pétersbourg. XXIII

(1877).

من ذلك أن السيتا مستراني ، مستراياجي ، مستراياتيسا
 seta strava, stravaga, stravagina (... strava)
 اسمها من اسم المدينة المروية استراباد (Strava) (٩٣٦)
 بحجرة لأرويه المكونة في الجنوب الشرقي لبحر قروبي . هنا نفس حدود
 السهوب ، ولابد من العودة إلى الوراء ، والاحتفال إلى السائل الغربي ،
 شيدو مطلق طالس Tach ، وحاميتها مكردي Lenikordn ، وكأنها قد
 أعطت اسمها لسيثا بالائي ، أو تانيا (tania) seta talani ، ويجعل
 فرغورو موطن هذا النوع من الحرير شمالاً ، في السهل الذي تقوم عليه
 مدينة محمود آباد Mahmoudabad ، وهي مدينة ثم بعد لها الآن وحرد ،
 وكانت واقعة على شاطئ البحر (٩٣٧) ، بجوار مصب نهر الكر
 Kou (٩٣٨) . وإلى الغرب من هذه المنطقة ، خاص الأرامى ،
 سج منطقة أرا Arax نوعين مختلفين من الحرير ، استمار أحياناً اسمه
 seta canary, chanary (Al) في قصر كانار Canar الواقع في سهل
 قراباغ Karabagh وسط مراعي ثوث ، أما الآخر باستمار اسمه
 seta sechi ou sechi Chiki (٩٣٩) -
 وبالقرب من حدود جورجيا كان أمالي جانجا (جيرة) Gadjra Djanja
 - حيا البرديت بول Elisabethpol يروون باسم seta gagna
 جيرة حرير من صلب ممتاز (٩٤٠) ، كان أمالي لوكا يستعملونه
 كثيراً (٩٤١) . وكان مصابو لوكا يستوردون الحرير أيضاً من
 جورجيا (٩٤٢) التي ستج الحرير بوفرة . ولكننا على هذا النحو تقترب
 كلها من البحر الأسود : فلنعد إلى المنطقة بحر قزوين .

- (٩٣٩) Uex., p. 192 ; Della decima, II, 117 ; Paul, p. 45 etc. , Ger-
 laro. etc. p. 47, b.
 (٩٣٦) Strava, dans Barbare, I.c., p. 42, 47, b. 48.
 (٩٣٧) Angiolillo, dans Hamusia, II, 72, b 1.
 (٩٣٨) Sedjk-bafaham, Olog. Works, p. 73 , Dom, dans le Bulletin
 de l'Acad. de S. Pétersb., IV (1862), p. 364.
 (٩٣٩) Zaria, Fra Mauro, p. 48.
 (٩٤٠) Ibid., p. 46 , Angiolillo I.c. p. 73, b , Pagol, p. 301.
 (٩٤١) Zaria, I.c. ; Uex., q. 192.
 (٩٤٢) Dom. Geogr. caucas., dans les Mémoires de l'Acad. de S.
 Pétersb., Sciences polil., 1^{re} série, VII (1838), p. 593 , Dubois re
 Mont péreux, IV, 104.
 (٩٤٣) Bini, I Lascetti a Venezia a Venezia, I 45 et s.
 (٩٤٤) Bini, I.c. , M. Polo, p. 41.

في حوالي عام ١٦٠٠ كانت مدينة شمشاحي (شيمكا) Chamaki, Chemaka ومجاورتها تصدر جنوبا كميات من الحرير تكفي ٢٠٠٠٠٠ حمولة بفال (٩٤٥) . وبخصوص حقبة العمود الوسطى ، لا يسعنا إلا أن نرجع في ذلك الى شهادة حيواني برزو Roy-Gonzalez ، وزي جوماليرا Grov. Barbaro ، وكلافيجو Clavijo ويوس فان جيسنتل Joos van Ghistels (٩٤٦) ولكنا لا نجد في كتب التجارة ذكرا لأي نوع من الحرير يذكرنا بهذا النوع (٩٤٧) . الا أن النامت أن بعض تجار الحرير الجزيين والتجارة كانوا يمارسون تجارتهم هناك ، وقد موه كلافيجو حراسة بذلك . وفي أواخر العمود الوسطى ، حين أصبحت الطرق التجارية في منطقة البحر الأسود التي سدها الترك غير صالحة للاستخدام ، كان حرق شمشاحي / وشروان Cherman يوجه عام يصدر بطريق القوافل ، ويصل بعد أن يقطع طريقا طويلا ملتصقا الى حلب ودمشق حيث يسحق في نطاق طرقه الغربيين بسهولة (٩٤٨) . يذكر أيضا كابل Kabala (٩٤٩) في شمال غربي شمشاحي : ويمتدح حين الله القروي (٩٥٠) كثيرا حرق هذه المنطقة . وكانت تيسارة الغرب تستسلم هذا الحرير باسم seta-cavallini (٩٥١) . ومن بين جميع البلاد التي كانت أوروبا تطلب منها الحرير ، لم يكن ثمة بلاد تمونها بأنواع كثيرة من الحرير مثل منطقة قروين (٩٥٢) . وفي نمكايا أن الملصق في بعضه ستور ما بقي لنا أن نقوله في هذا الموضوع . فحرير الصين الذي لابد أن يفكر المرء فيه حين يبحث في هذه الصناعة لم يكن يسلم ، ولا يمكن أن يسلم كميات كبيرة منه الى الصناعة الغربية ، ولا ضرورة للبحث عن سبب لذلك سوى بعد الشقة ، ومع ذلك جاني اعتقد أن حرير شانتوجا (كابتوجا) Seta Chutuja (capuja) (٩٥٣) لابد أنه كان يأتي من

-
- | | |
|--|-------|
| Dorn, Lc., p. 332, Ahmed Rassy. | (٩٤٥) |
| Barluno, Lc., p. 48, b . Clavijo, p. 114, Ghistels, p. 311. | (٩٤٦) |
| Cuntarini (Viaggi alla Tana, p. 38). | (٩٤٧) |
| Senuf., Dize., IV, 182, IV, 484. | (٩٤٨) |
| D'Oha en, Peuples du Caucase, p. 174, Dorn, Coptia, dans les Mém. de l'Acad. de S. Pétersb. XXIII (carte). | (٩٤٩) |
| Dorn, Geogr. caucase, Lc., p. 458. | (٩٥٠) |
| Un., p. 182. | (٩٥١) |
| Barbaro, p. 48. | (٩٥٢) |
| Pegol p. 382 ; Blini, p. 48. | (٩٥٣) |

كانت (إلى العصر) ، أما حرير مرداسيا *Setu mardascia* (٩٥٤) فإن اسمه يذكرنا ببلد عربي فيه دود القز عند رعي غنوس في القدم ، ذلك هو إقليم صنديانة *Segdiano* ، وذاك طريقنا إذا ثبت أن هذا النوع من الحرير يرد من مرو شامدجان *Merv Chabdan* وهو مركز واحة تقع على حدود صنديانة ، من ناحية إيران ، يربوها بهو المزاب *Mougrab* ، وكان في كل زمان يسج ويصدر كميات من الحرير (٩٥٥) . وكانت فارس تسج أيضا كمية اصافية من الحرير (٩٥٦) ، ومن ثم لم تكن أسواقها الكبيرة في طورس والسلطانية ، أو مصامها بحاجة عند الانتصاب - إلى أن تستورد الحرير من الخارج ، ومع ذلك كان يوجد في أسواق السلطانية حرير من جبال وشماخ (٩٥٧) . وكان ساجو يرد *Yead* يستعملون حرير استراباد ومناطق أخرى تشرف على بحر قزوين (٩٥٨) . ولما أن نذكر في خصوص إنتاج حرير فارس أولا يرد نفسها ، ثم سرت في كردستان ، ومرد *Mermad* في آذربيجان ، وهرات في خراسان وهذا أخرى كثيرة (٩٥٩) ، ويتبع لنا هذا أن نصل إلى موطى حرير كوكسما *Setu Columna* في صولتانيسا *Soldann* ، وكان يستعمل بكثرة في لوكا . واثبتت الوثائق ذلك فلا بد أن هذا الحرير كان عازيا . ولما أن نقول الشيء المنسب إلى حرير كولورام *seta colouam* (لعله الخراساني) (٩٦٠) نجد أيضا في وثائق بيرا ، ولوكا حرير ، وصوريا *Seta oriano* (٩٦١) ويتلف السيد بيري *M. Biri* أنه يمكن ربط علاقة بين هذا الاسم وبين اسم مدينة سوريا *Soria* واسمائها - غير أن هذا غير صحيح ، ففي الأماكن التي أن هذا الحرير مصدره سوريا ، ويتكفي أن نرجع في ذلك إلى ما سبق أن ذكرناه من إنتاج الحرير في طرابلس وأماكن أخرى في هذا البلد . وكان حرير

"Zibz mardasc", dans les Houts-Receus, loc. cit., II, 336 (٩٥٤)

Beachet, p. 117; Abouléda, Géogr., III, 2, p. 188 (٩٥٥)

Joad, Catal, p. 40; Chatelet, p. 313 (٩٥٦)

Clavijo, p. 114 (٩٥٧)

Barbara, Viggio in Persia, p. 42 (٩٥٨)

M. Barbier de Meynard, Yalout, p. 213, 224, 6., Ibn Batouta, II, 75 , Chatelet, p. 303, 303 (٩٥٩)

Erd, p. 47, 49 , Aboul, Géogr., II, 2, p. 188, 197 (٩٦٠)

Boulton, Etale. Pis., III, 683; Uitz, p. 38; Bial, p. 50 (٩٦١)

أسيا الصغرى يدخل في التجارة باسم *seta turci* (وليس *turci*)
أو *Turchia* ، وأحيانا يحدد المؤلف اسم المصدر ، فيقول :
سمره (أرمج) ، وفيثاذقيا ، وماسترا *Manastra* (٩٦٢) .
وهناك أحيانا اسم يرد كثيرا وهو *seta di Romania* ، ويبدو
أن القمت *rustica* (ريفي ، فلاحي) الذي يكثر أحيانا بهذا
الاسم يشير إلى أحد هذا الحرير لم يكن جيد الصنف ، وكان ، كما يدل
عنه اسمه يستعمل في ذلك القسم من أوروبا الذي يدخل ضمن التسمية
العامة *Levant* (ليعانت ، الشرق الأدنى) ، وهذا أيضا ، تنوه
المصادر ببيع حصص ، ومن وجهة النظر التي نهضها بعض الأماكن ، مثل
قبريا *Vénia* (بيرويا القديمة *Beroea*) ، وكانا لييري
Cavalieri ، وبتراس *Patras* ، وكلايرسا *Clareza* (٩٦٢) .
ومن اليسود التوسع في هذه القائمة ، بما لما سبق أن ذكرناه بخصوص
إنتاج الحرير في المورة ، ودوقية اثينا .

التوتية Tuto

يطلق اسم التوتية ، إما على ركاز الترك بالحالة التي يخرج بها
من السجم (توتية طبيعية) ، أو أكسيد الترك المحلول بالمخلفات المعدنية
بمراحلي الأوران ، والتي تعامل على أنها معادن حديدية تحتوي على ريك
(توتية صناعية) ، وقد عرف العرب التوتية في هذين الشكلين ووصفوها
وعهم عرفها العرب (٩٦٤) . ونجد هذا الاسم كثيرا في قوائم السلع
التجارية في المصور الوسطى (٩٦٥) ، يصححه بمسألة عبارة : من
الاسكندرية ، (٩٦٦) . ومع ذلك يصعب الاعتقاد بأن هذا الوصف
يشير إلى مصدر هذه المادة ؛ وقد أبدى هذه الملاحظة السيد جارسس
دي أورتو (٩٦٧) . وأرض مصر لا تحتوي على معادن (؟) ، ومن ثم كانت

- (٩٦٧) Pagol., p. 242, 301 , Beaum., III, 593 , Binl., p. 47, 52 .
Chehab-eddin, dans le Nouv. annal. des voy., 1831, II, 22 . et
Hase. nol., dans Lebeau, XIX, 593 et s.
Binl. p. 48 et s. ; Arch. stor. Ital., 4 série, IV, 16. (٩٦٢)
Ibn Belkar, I, 211 et ss. , Ariconae, ér Pompion p. 233 : (٩٦٢)
Séveraire de Sacy, Christianisme arabe. 2e éd., III, 453 et ss .
Hopp, Gesch. der Chemie, IV, 114 et s.
Pagol., p. 47, 114, 35, 220, 320, 399, 378 Um p. 114. (٩٦٥)
Pagol., p. 398 , Pt I, p. 50, b, 63, b, 107, a, 114, a, 116 a. (٩٦٦)
118 b, 282, s.
Clusius, Exot., p. 368. (٩٦٧)

النوتياء تأتيها من جهات بعيدة ، من فارس ، أو الهند ، أو الصين . وليس من شك في أن حارس كانت تستغل ثروات أرضها بصفة تفوق ما تبديه حاليا في هذا المسبيل . مكنت الدسم ، ومن لم إلان صهر الحديث مركرة بـوع حاص في القليم كرمش (٩٦٨) * وقد رأى ماركو بولو مسابك في مدينة بهذا الاقليم ، سمعها كوييسم Cohnasa (كوييسان Koubensa) منتج مونيكا وحسف مسبونم Spodum (٩٦٩) * وكقاعدة عامة ، عندما يصانف اللز فيما كتبه مؤلف عربي كلمة نوتياء ، يقرأ في اعتقادها مائرة كلمة كرمش على أنها موطها الأصل (٩٧٠) * ولد كتب حارسيا دي اورتو بالهس أن النوتياء التي يصال اجها من الاسكندرية ترد في لوانع من كرمش * وفي مجاورات أصهان كـت سـمـلـ مـاجـم رـتـ (نوتياء طـبـيـعـيـة) (٩٧١) * ويؤكده حارسيا دي اورتو خطأ انه لا توجد نوتياء في الهند * ولكن كل العرب يعرفون نوتياء ترد من الهند ، وذكرها كتابهم كثيرا (٩٧٢) * يذكر أيضا ، وبنوع خاص كالة Kalah ، هي شبه حريرة ملقبا ، وكان بها مصانع تصالـج التصدير (٩٧٣) وأخيرا كانت الصين تصدر نوعا من النوتياء . يطلق عنه في فارس اسم حجر لصبي ، أو حديد الصيني Khara! Sin! (Ahar Sin! (٩٧٤) وكان الأطباء العرب يسمون الـ نـوتـيـاء حـصـاصـي قـاـبـيـة ، وجمعة ، وممشة ، ويستعملونها في معالجة أمراض العيون (٩٧٥) *

الجنوار Zedour

الجنوار (بالحرية جنوار أو زيدوار ، وتسمى أحيانا بـحريف

-
- Maquét, I, 343 , Istachri, p. 79 cit. (٩٧٦)
M. Polo, p. 63 : Carte de Fra Mauro ; Yule, Marco Polo, (٩٧٦)
I, 117 et s.
Abou Mansour Mawa'ik, trad. Seligmann, I, 30 Avicenne. (٩٧)
c. , Yakout, p. 483, 335 , Mohammed ben Mousseur, dans Faidjir
des Orientis, VI, 141
Abou'Iseda, Géog., II, 3, p. 175. (٩٧٧)
Avicenne, i.e. Ibn Boïar, i.e. , Mohammed ben Mammour
op. cit., (٩٧٧)
Abou Dowl, p. 28. (٩٧٧)
Kao'Wan, trad. Étché, I, 1 p. 427 , Silvestre de Sacy. c (٩٧٤)
Ibn Beljar, op. cit., Gellius, Lex., s. v. Tulla , Marco Polo. (٩٧٥)
I, 83, et Yule, Marco, Polo, I, 113.

مسيترومال (٩٧٦) ، أو مسيترومال (citroval, citoral) هو جذر
 * الكوركوما ريدواريا رومسكو Curcuma Zedoaria Roscoe
 وهو مادة تصبغ عادة مذكورة في كتب التجارة ، وفي تعريفات الجمارك
 في المصور الوسطى (٩٧٧) . وكان التجار الغربيون يتوجهون الى موانئ
 الشرق الأدنى للحصول عليها ، حيث تباع لهم على أنها من منتجات الشرق
 الأقصى . ويبدو أن اللغة الشج للجندوار (٩٧٨) هو بوجه عام القسم
 الشرقي من الهند . وقد وجد كوسي Conli البسات الذي يسج
 الجندوار في مجوزات قديميوطا ، ويؤكد باربوسا Barbosa ملاحظة
 هذا الزجالة (٩٧٩) ، ويضيف أن المولى الحقيقي لهذا البسات هو
 كسابور Cadabour . انى يصل المرء اليها بمحاذاة الشاطئ صوب
 الشمال (٩٨٠) ، ويوجد أيضا في جاوة ومدغشقر .

ويصلح الأطباء العرب باستعمال هذا الجذر المر كثيرًا في
 اسسوم (٩٨١) . ومن ثم يستخدم في الصلابة بصفة على التأثيرات الصارة
 الناتجة من استنشاق السواد الرئوية (٩٨٢) . وهو من جهة أخرى
 يعتبر بمثابة مادة مسهلة لمعوله للمشي المشط للحمية : ومن ثم لا يقتصر
 استعماله على مجال الطب (٩٨٣) . إذ يضاف أحيانا الى الأطعمة والأشربة
 بمثابة تابل من التوابل (٩٨٤) .

-
- Ibn Belar , M. Amari, dans les *Atti della Società Ligure*, (٩٧٦)
 V, 335 trad. en français par M. Leclerc, dans *Nel et extr.*, XXV,
 p. 332.
 Pugh, p. 17, 49, 68, 64, 86 . Cassanay, II 20 , append, (٩٧٧)
 p. 73 , Boutequiot, Foire , I, p. 287
 Ed. Runstmann, p. 48. (٩٧٨)
 Bézant, p. 27 (٩٧٩)
 Marbaso, p. 311, a, b. 323 b. (٩٨٠)
 Ibn Belar, I. 242 , Miscoe floribus. Ed. Choulant, p. 117. (٩٨١)
 Theophrastus, Divers. art. Schenkel éd. Heclogier p. 187 (٩٨٢)
 M. Amari, vol. 2 Ibn Belar. (٩٨٣)
 Mönigier de Paris, II. 219 , Hoefer, Hist. de la Chimie, I, (٩٨٤)
 374.

ثالثاً - المنتجات المصنوعة

الخيوط الذهبية والفضية

كان يصنع في المصور الوسطى خيوط ذهبية وفضية لها مظهر الخيوط المعدنية المسجونة بتأثير الحرارة ، ومن ثم أطلق عليها أسماء : الذهب المبرول ، والفضة المبرولة ، ولم يكتشف سر هذه الصناعة الا في وقتنا الحاضر ، إذ كانت هذه بمسألة خيوط في الكتان معالجة بتلاب رقيق للعناية من انفساء الخنازير او الخراف ، ومكسوة بطبقة من الذهب (١) ، فكانت تستعمل لتطريز أرواحيات زخرفية او حواف (حواشي) على ثياب او بسط ، او تسمج في القماش نفسه ، فينتج التروكار (الديساج) ، وكانت قبرص أشهر مركز لإنتاج هذه الخيوط (٢) ، ومن ثم كان اسم « ذهب قبرص » مرادفاً لذهب المبرول . وكان في سجع الحرير ، والتطريز قد استورد من الشرق الى الغرب وكانت عبارة *Mysterium aus filati* الواردة في صك حوى

(١) *Premer. Culturgeschichte des Orients*, II, 384 , Laborde,
Notice des bijoux, bijoux et objets divers exposés dans les galeries
du musée du Louvre, 3e part (1853) p. 410 et s; 413.

(٢) *Double diAroq. Comptes de l'argenterie léra aérie*,
p 35, 152, 190, 200 et s. , Pegol. - p. 48 (et p. 42, 46) *Uex*, p. 191 ;
Mus Lafric. Hist. et Chymie, II, 448, 535.

نرجع الى نفس المصدر (٢) . ولقد سجلت صناعة حيوط الذهب والفضة
 لوك وپيريس من القرن الثالث عشر (٣) . وفي جنوا اكتسب هذا الفرع
 من الصناعة أهمية كبيرة حتى وصفته السجلات تحت حديثها لصالح
 الطبقات الفقيرة والتجارة ، واتخذت إجراءات رادعة ضد العشي (٤) .
 وكان في السندية وميلانو صناع للحيوط الذهبية والفضية (٥) . وبعد
 أن عدد پيدينو دى Benedetto Dei الماورى الكنى الإيطالية
 الأربع التى ذكرناها أعما ، قال إنه ينبغي أن يضاف الى هذه القائمة
 مسقط رأسه الذى يوجد فيه فرادة ثلاثين مشغلا متخصصا فى صنع
 الصناعة (٦) . وقد زدهى هذا الفرع من الصناعة ، أولا لمناخات المواد
 المتاحة فى الشرق الأدنى ، ثم لتصدير منتجاتها الى هناك . ومنه
 هذا الخصوص يندى لوكا ، وجنوا ، وعقاطمة بروفانس حيث كانت
 حيوطها مطلوبة فى التسطيلية من دى بيه (٨) .

البورسلين (الخزف الصينى)

كان لكلمة بورسلين فى المصور الوسطى ثلاثة معان مختلفة (٩) .
 دعى الأول كانت تطلق على الحجرة التى تحمل هذا الاسم مع الحيوان
 الرخوى الذى يعيش بداخله ، أو الحجرة وحدها باسم كورس Cours ،
 وكانت هذه الحجرة تستعمل بسادة عمه مسطرة فى كثير من أقطار
 الشرق (١٠) . وكانت تطلق ثانيا على المادة التى تصنع منه مسبا أو
 أو مقلولات ، بعد وضعها مثلا فى بعض قوائم جرد كوز بلاطات ملوك
 فرنسا وبرجنديا . ولا يبدو أن الآراء قد اتفقت على طبيعة هذه المادة .

-
- Germain, Hét. du commerce de Montpellier, II, 366. (٢)
 Baillet, Hét. des mots ed. Dusséq. p. 94, 103, 305 , Livre de (٣)
 la ville de Paris, dans Germain Parl. sous Philippe le bel, p. 310
 Gégel, p. 18 , Uz., p. 5, 7, 40, 62 , Douai d'Arcq, 2 série, p. 20,
 35
 Germain, Le Douai d'Arcq I, xxi, Gégel, p. 18, ; (٤)
 Uz. p. 48, 162
 Bonché, Hét. Fin, III, 504 , Uz., p. 3, 7 Laborde, Notice, (٥)
 Le., p. 413 , Françoise Miché, II, 380
 Pagani, II, 276. (٦)
 Gégel, p. 18. (٧)
 Mahu, Eléments Uniers. 1ère livr. (Berl 1803). p. 11-15. (٨)
 Museo Polo, p. 303, 393, 400, 413, 664. (٩)

والنقطة التي يدور حولها الخلاف هي ما إذا كانت هذه اللقطة من الصدف أو من العتق اللغوي اللوث (١٦) . وأخيرا فهو المصطلح المستعمل للحرف الصيني (١٧) . ولعله قد ظهر نه ثل بين الناتج الصيني وبين الحجار يباس كس منها ، وشعاعته ولعته . ولعله في البداية قد احترض أن الحجار يتخذ في تكوين النورسلي (١٨) .

وليس لنا أن نهتم بلورسلي إلا من حيث أنه منتج مصنوع في الصين . فالتأيت أن هذا الفرع من الصناعة كان مهم كثيرا الرحالة العرب في العصور الوسطى ، مسووه منهم من يقتصر على جمع المعلومات عن الصين ، أو من رازها بالوصول (١٩) . كذلك كان يصرف عنه بعض الشيء الغربيون الذين يسمون بفتون الشرق (٢٠) . فماركو بولو مثلا يستمر إلى حد القول بأن حرف الصين كان في زمة منتشرا في العالم كله ، وهو في ذلك محط بال تأكيد . فتما لكل الطواهي لم يكن الحرف الصيني آنه قد وصل إلى الغرب ، أما كان منتشرا في فارس . مثال ذلك أن شاعر ملورسي (تيرير) العظيم همام الدين Homam-côdin كان يمدح من الحرف الصيني ملا يقل من اريمانية قطعة (٢١) . وفي القرن التالي تحقق لاي بطوطة أنه منتشر في الهند ومسوريا وآسيا الصغرى (٢٢) . وعلى ذلك فلابد أن العرب استطاعوا في ذلك الحين أن يحصلوا عليه من أسواق عديدة ، منها دمشق ، مثلا فعل ماركان دو بومجارت Matrin de Boumgarten الذي اشترى منها في عام ١٥٠٨ (٢٣) . أطاها من الحرف الصيني ، وعلى الطريق التجاري الكبير الذي يربط آسيا بأوروبا مارا بمصر ، لم يظهر الحرف الصيني

(١٦) M. Laborde Notice des émaux, II, p. 488 et ss ; M. Laborde Inventaire du mobilier de Charles V p. 220 et s. ; M. Belgrano, Ann. de la Soc. Ét. IV, 154.

Marco Polo, p. 323. (١٧)

(١٨) عما في كتاب الحطايه قد عبر عنه أحمد شارجي بملفات ماركو بولو .

انظر

Ides de Baldelli Deol I, 111, not. 100 l'ambrosii Kril Walters, III 77 Turbano, p. 220 h. Sraugry (Econ. II, 300)

Delet, n. 34 Ibn Khordadbeh, p. 252, 254. Ebnol, I, 103 (١٩)
et s. , Ibn Balu'ia, IV 368. 372.

Marco Polo, p. 333 + Jordi Catal, p. 80 , Gios. Barbere (٢٠)
Viaggio in Persia, p. 48.

Eadl, Gulistan, trad. Doitremery p. xxiii , Clavijo, p. 152 (٢١)

Ibn Balu'ia, I, 336 ; II, 304 ; III, 128, 227 (٢٢)

Mari n Boumgarten, Peregrination, p. 112 , Georg Gervae, (٢٣)
p. 368.

أيضا إلا في عصر متأخر نسبيا : فقد وجد في مسوق على في رمي
الانديسي أوان فخارية مصبوغة في آسيا ، إلا أنه لم يثبت أنها من الخزف
الصيني (١٩) . وفي سنة ٨٧٥ هـ (١٤٣١ - ١٤٣٧ م) وجد بالتأكد
خرف صيني في شخصيات السفن الصينية البحرية التي كان رباتها
يشكون من المعاملة التي يلقونها في عدن . ومن ثم يسلطون بسعهم في
البحر الأحمر حتى حله (٢) . وبدأ ظهور الخزف الصيني في هذا العصر
بين الهدايا التي يرسلها سلاطين مصر إلى ملوك أوروبا (٢٦) . ومن ذلك
الحين كانت أموال القاهرة تزود دائما بالخرف الصيني . ولكن رغم
وفرته ، ظلت أسعاره مرتفعة جدا . وقد أبدى الرحالة الفرنسي بيلون
Belon هذه الملاحظة في عصر لم يعد ينتمي إلى الحصور العوسفي (٢٢) .

وكان السدقة يستوردون من مصر إلى إيطاليا أشياء مصبوغة في
الخرف الصيني . ولكن لا ينبغي مع ذلك القول بأن هذه السلعة قد دخلت
جدا في مجال التجارة . وبالرجوع إلى الفصل ٤٤ من قانون برشسلوة
البحري Consolat del mar (٢٣) ، وجد السيد بيشسل
Peschel (٢٤) في قائمة للسلع التي كانت متداولة في التجارة
الحارية بين الإسكندرية و قطالونيا كلمة Porcelaine نظي أنه
يرى في ذلك أول أثر لدخول الخزف الصيني في الغرب بطريق التجارة .
غير أننا نلاحظ أولا أن الفقرة المشار إليها قد أدرجت في القانون فيما بعد ،

(١٩) Bérard, I, 31 ; Cf. Bérard, Ambien, I, 241.

(٢٠) Makris cil. dans Quatremère, Mémoires sur l'Egypte, II, 291.

(٢١) انظر قائمة الهدايا المرسلة إلى الشرق لوسكارى في عام ١٤٤٧
(Tuf et Thom., inéd.)

— وفي شرق السايح ، ملك ليبيا ، في عام ١٤٤٧
(Mathieu d'Escoucy, éd. Heugouet)

— وفي الشرق بـ : ماثيورو في عام ١٤٦١ . (Santha, Vile, n. 1170)

— وفي كتبه كورتارو في عام ١٤٧١ .
(Mén piero, II, 625. rectifioe dans Mas Lericq. 1881.)

— وفي رئاسة البندقة عام ١٤٦٨ ، ١٥٠٢ .
(de Chyane, III, 405) (Sant. Dir., II, 818 , V, 82)

— وفي لوران دو مينييس في عام ١٤٨٧ .
(Biographie par Fabreri, II 237)

Belon. Observations, Anvers, 1556. p. 236-237

(٢٢) In Consulate del mare. éd. Westervan (Leyde, 1704). p. 40
et s.

(٢٣) Deutsche Vierzigjohrs chrift, 1856. p. 170.

وأما لم تكن موجودة في النص الأصلي ، وثانيا ، يمكن المقابلة بين هذه المعلومة وبين مقرة لبيجولوني الذي عند السلع التي تباع في سوق البندقية ، فذكر فيها البورسلي في الحنظل (التفرع) Colocinta .
 المر myrrh (٢٥) ، ويخلص من الغرثين انتشار اليها أن سلعة البورسلي ، من حيث تحديد ثم البيع ، أو تحديد ثم النقل ، كانت مسخرة بانتظار ، فهل يمكن التسليم بأن أوام الحرف القيسي تباع بالورن ؟ إلا يتعلق الأمر في الحالي بأصناف لها اسم البورسلي تصدق إل العرب ليحرق تشيخها بصناعة خاصة بها ؟

السكر

المعروف أن قصب السكر كان يزرع في الهند ، والهند الصينية ، وإثاليه الصين الجنوبية قبل أن ينتشر في بلاد العرب (٢٦) . إلا أن اليهود والصينيين لم يكونوا هم الذين اخترعوا الطرق الصناعية التي جعلت من السكر سلعة تجارية شديدة الأهمية ، فعلى مدى قرون طويلة كانوا يكتفون بسحق القصب لاستخرجوا منه العصير ، ثم تبخير العصير وتجميده على النار . وقد نشأت طريقة تكرير السكر بوسيلة كيميائية في شمال الخليج الفارسي ، ومن المحتمل أن ثمة تجارا من هذه المنطقة رأوا قصب السكر في الهند فخطبوه ووطئوه في سهول خورستان . فلما الإقليم الذي تحب به الجبال شمالا وشرقا ، ويحده غربا للبحر الهندي لنهر دجلة ، وحسبوا الخليج الفارسي ، وخصوصا العديد من القنوات ، كان ملائما كل الاملاء لزراعة قصب السكر ، وسرعان ما ثبت صحة ذلك . إذ كانت وفرة معصول قصب السكر في هذا الإقليم كبيرة ، حتى أنه منذ القرن الثامن ، كان يندفع منه للتخليعة الملاء عمية مسدوية تسع ٣٠.٠٠٠ رطل من السكر (٢٧) . وكان الأهالي يبالغون زراعته بوسائل منظمة وراودوا من خصوبة التربة بالاكثار من قنوات الري (٢٨) .

Paget p. 12.

(٢٥)

K. Rötter dans les Abh. der Geol. Akad., ann. 1889, Phil. (٢٦)

hist. XI p. 305 et ss. , Histoire de la guerre de Navarre en 1278 et 1277 par Guill. Ancluer, une note de Francisque Michel p. 420 et 55

Ibn Khaldun, Préface, dans Not. et (٢٧)
 extr., XIX, 384 , Kremer Culturgesch. des Orients, I, 306 et s.

I tcheré, p. 57 et s. , Cf. Edrisi I, 38] et ss. Yaboul p. 8 (٢٨)

88, 127, not., 181 (318, 390)

Introduction de Chetmanah de Cherephédin, I, I, p. 160 et s.

وهناك طرف أكثر ملاءمة لتقديم هذه الصناعة في حصويه الثرية ، ذلك هو بطور الدراسات العلمية في هذا الإقليم ، وكما البحوث المصليه التي تعالج المعاقير كمرع في الدراسات الطبية . وكانت مراكز هذه الدراسات جامعة جنديسابور Djondisapour ، وعندها الأهورا ، ويخول الكتاب في ، الجغرافية الأرمينية ، التسمية لموسى دي خورين Moïse de Khorène عن جنديسابور أنه يصنع بها السكر (٢٩) . ولما أن نفترض أن الأغنياء ، والكيميائيين البارزين في الجامعة قد وجدوا طريقة لتقنية تصير قصب السكر وبلورته ، وهو أهم حاصلات البلد . وليس مستحلا من ثمة أن تكون هذه الوسائل الصناعية قد تحسنت في بغداد لأن العلماء كانوا يبدلون أقصى جهدهم لتشجيع العلوم الطبية والارتقاء بها . وعلى أية حال ، فإنه حتى منتصف القرن الخامس عشر ، حيث لم يعد الخلفاء يسمون منذ زمن بعيد في بغداد ، عرفت علم المدينة بأسرارها الوفي من السكر ، وجودة مزارعها ومشروعاتها ، وما يصدر من هذه المنتجات إلى فارس وبلاد أخرى (٣٠) . فالعرب هم الذين شربوا في تكرير السكر في دولة الخلفاء كلها ، ثم نقلوه إلى ما وراء حدودها ، شرقا وغربا ، وسوف نحاول تعقب أثرهم ، أولا ناحية الشرق ، دون أن نأخذ في الاعتبار تسلسل الأحداث في الزمان .

في عهد قوبلاي ، أول خان مغولي عظيم ، وصل إلى الصين وحال قادموه من القاهرة ، وعلموا الأهل من تكرير السكر بأن يلقوا فيه رماد بعض النباتات (اليوناني) ، وكان كل ما يعرفونه في ذلك الأوان أن يركروا السكر بالطبخ ، فجمعوا منه عسنة سوداء متماسكة . فكانت هذه هي بداية صنع السكر في الصين ، كما ذكر ماركو بولو (٣١) الذي وعمل هناك بعد زمن قليل . وإذا كانت تجارة السكر قد اكتسبت هناك أهمية كبيرة ، كما يؤكد لنا ماركو بولو (٣٢) ، وأودونكو دا يوردسوني (٣٣) ومؤلف كتاب Livre de l'état du grand Caan (٣٤) منها تدعى في ذلك لوفرة محصول قصب السكر بها ، وناسخ الدائي بالأقاليم الجنوبية.

- | | |
|--|------|
| Salini-Martin, Mémoires sur l'Arménie, II, 371 , Cherif-
eddin, Cherif nizam, trad Chammoy, I, I, p. 106. | (٢٩) |
| Gios Barbaro, Viaggi in Persia, p. 46, | (٣٠) |
| Turic Mahon de 106. Haidouli-Boni, p. 393 , Yule, Marco
Polo, II, 103. Journ. asiat., V, 43. | (٣١) |
| Ed. Paulhier, p. 511, 524, 625 et s. | (٣٢) |
| P. xxix, éd. Yule. | (٣٣) |
| Ed Jacquet, p. 88. | (٣٤) |

كما تدعى أيضا للمصريين الذين أتوا إليها بعد تكرير السكر أما في الهند فقد ظهر العرب بصفتي غراء وتجار (٣٥) فهل كان لوجودهم هناك أثر ملحوظ في صناعة السكر ؟ هذا سؤال لم تتبين الإجابة عنه بوصفوح . حتى فترة الفريشتا Ferishta (٣٦) أوردوا السكر ديش Rute بسبق البصل لتجارة الموجودة في مسوق « دلهي » في عهد السلطان علاء الدين (١٢٩١ - ١٣١٧) . يذكر المؤلف بين ما يذكره السكر الخالص الأحمر ، والسكر الأسمر (المشوب) . والسكر المصفى . ولم اعتبر كلمة « السكر المصفى » عهد يبعثها الحديث ، لاستنتاجه من ذلك أنه كان يصنع في الهند في ذلك الأوان سكر مكرر ومبلور غير أن ثمة شرقيا آخر ، هو شهاب الدين ، كتب في حوالي عام ١٣٦٠ يقول بالهجة مؤكدة أن المسح المصنوع في الهند لم يكن سكرًا مبلورًا ، ولكنه سكر أبهى مشوب (٣٧) . بقي أن يعرف ما إذا لم يكن من الواجب أن يعتبر مصطلح « السكر المصفى » Candi عهد الفريشتا بالمعنى الذي كان له في الهند في القرن الثاني عشر فقد كان مرادفًا لكلمة melasse (سائل قهصبة السكر - مولاس) (٣٨) ، وفي الومسبح تقديم برامبي كثيرة تشبه ذلك . ولسوء الحظ لا يصفها ماركو بولو بأي عون في هذا السبيل فهو يذكر السكر ضمن منتجات البغال ، ولكنه لم يقل كيف كان يصنع (٣٩) . وينبغي لمتعود على روايات أخرى كتبها غريغوري الرجوع إلى عهد السيادة البرتغالية . فقد رأى ماريتشا Varthema في ميناء باتيكايا Batticala بمملكة كانارا Canara كثيرًا من السكر ، وبخاصة سكر Zucchara candido ad usum abara . فهذه أول مرة نجد فيها كلمة usum abara (السكر المصفى) مستخدمة بلا شك بالمعنى الذي يعطيه إيانا الفريغويون . ومن جهة أخرى يندى باربوزا Barbosa ملاحظته بأن السكر يباع في باتيكايا في شكل مسحوق ، فديم لا يعرفون هناك أن يصنعوا منه قوالب ، وكان الأمر كذلك في البغال حيث يصنع سكر أبهى جميل (٤٠) . ويبدو لي أنه من السهل التوفيق بين هذه

The Haveli Account of Seind transl. by Anderson Journ (٣٥)
of the Bengal Soc., XXI (1852), p. 54. - The Haveli of Ghid-
melester, p. 178, 179 et s., cf. Fakhoul.

Trad. Briggs, I, 388.

Not. et extr., XIII, 179 et s. : cf., p. 312.

Loesen, Die Alterth., I, 213, not. 2.

Ed. Pouillier, p. 433.

P 300, s. 438 h.

تاريخ التجارة ج ١ - ١٩٣

(٣٦)

(٣٧)

(٣٨)

(٣٩)

(٤٠)

البيانات المختلفة . وإذا لم يكن موسماً أن السكر أن اليهود كانوا يعرفون في أواخر القرون الوسطى في تكرير السكر ، فإنه قد ثبت بالبرهان أنهم لم يكونوا يعرفون إعطاء السكر الزعوم والمبلاية اللاتينية لتشكيله قوال ، فكانوا إذن في هذه النقطة المعرفية متأخرين عن العرب ، وعن الفريسيين .

كانت الصبي والهند تصدران السكر ، فكانت حرم وعدن ، على سبيل المثال تنقلان سكرًا من سواحل الهند الفريسية (٤١) ، ولكن من المشكوك فيه كثيرا أن يكون أوروبا قد استعملته في علمها ، فالفلسفة بعده جدا . وهناك بلاد أخرى أقرب إلى أوروبا ، تنج من السكر ما يكفي لكل الاحتياجات . وليس من المحتمل بالرة أن يكون العرب قد استورد هذه البضاعة من أقاليم فارس ، مثل سجستان ، وخراسان ، وفارس ، وخورستان (٤٢) . ولعل أقول الشيء ذاته عن مكران *Makran* بالجنوب الشرقي من إيران إذ لم يكن اللوم هناك قد صبوا سواها خاصة من السكر المكرر ، وهو حشيط من السكر وريت اللود الحلو . ويسمى في اللغتين الفارسية والعربية « فانيد » *fanid* (٤٣) ، ويوجد أيضا في الغرب باسم *penidium* . وكان المطاؤون في القرون الوسطى يمتنون للرعي المصايف بالكحة والسبل الثروة قربا يدل اسمه *dapenidium* وحده على أن هذا النوع من السكر هو العصر الأمامي منه (٤٤) . وترجع شهرة هذا السكر في الغرب إلى وصايا الأطباء العرب (٤٥) . يقول ابن سينا ، مع آخرين غير ، أن « الفانيد » يصنع في مكران وحدها ، ومنها يصدر إلى بلاد أخرى . ويشق منه الجنرالديون المنسرب ، الإدرسي ، وابن حوقل ، وياقوت (٤٦) .

-
- Barbous, n. 202, a, 390, a. (٤١)
 Ben. Khaldoun, l.c. p. 368 , Bhand, cité par Ibn Beliar (٤٢)
 II, 443. Trad. franc. dans No. et exlr. XXXV. . p. 260, Yacout 94 p. 358.
 Fiechiger, Documente zur Gesch. et Pharmacia, p. 32 (٤٣)
 Doty et Engelmann, Glossaire. p. 112 , Renard. Mem. sur l'Inde. p. 248 , Devic Diet., p. 37. Lecters, annal d'Ibn Beliar, l.c., p. 268.
 Joh. de Garbulla Dictionarius publ. par Scheller, dans le (٤٤)
 Leipzig lat. c. p. 68
 Shams, dans Ibn Beliar II, 38 , Avicenne. Ar. Pamp. lib. (٤٥)
 II, p. 241, et dans Glideme's'et, p. 177
 Ibn Faoukal, Account of Hind, transl. by Anderson. c. (٤٦)
 p. 55 Kériss, I. 165 , Yacout p. 366, 482, 519, 529
 et s.

ان يقولون ان « هابيد » مكران - وبخاصة مدينة « مسكان » Masckan
 كان موضوعا لجاذبات تجارية مهمة ، ويصدر ان بلاد ميفنة (٤٧) ، وفي
 زمن القرب الى وقتنا الحاضر ، لم يعد مؤلفو الكتب المتصلة بوسموسوع
 التجارة ، مثل بيجولوتي يدكرون هذا النوع من السكر . والراجع ان
 اربابا اخرى قد حلت محله ، حتى احتلوا من مجال التجارة .

قلنا فيما سبق ان العرب لم يكن في حاجة للدعاب الى تلك البلاد
 اذائية طلبا للسكر ، فقد ثبت مزارع قصب السكر مع سوا السبانية
 العربية ، وفي وسعنا ان نتحقق من وجودها منذ القرون العاشر لله
 هجرية ، وبخاصة في مجاورات طرابلس (٤٨) - وببشاشا الكبرى
 El-Bekri (وهو كاتب في منتصف القرن الحادي عشر) انه كان
 في عصر مثل هذه المزارع عند رعي يانكر ، فهو يتحدث عن مطناس للسكر
 مخافة على الشفة اليسرى للبيسل - عند « ترموت » Teremout
 وهي مكان يقع على بعد حوالي اربعين ميلا شمال غربي القاهرة (٤٩) .
 وفي وسعنا ان نثبت كذلك وجود مزارع قصب السكر في شمال افريقي
 كله في القرنين العاشر والحادي عشر (٥٠) ، ومن هناك انتقل قصب
 السكر الى اسبانيا في اثنان العرب (٥١) ، وثبتت بها زراعة تنتمي
 عناية كبيرة . وقامت صناعة السكر تبعا لقواعد هذه الصناعة كلها (٥٢)
 والعلل ان العرب هم الذين وطئوا قصب السكر في صقلية (٥٣) .
 حقا ، ان اقدم الأدلة على وجود هذه الزراعة بالجزيرة لا يرجع الا الى
 عصر السيادة المورمانية ، الا ان اسم *zaccara* (مصره) الذي
 مارال يطلق على مطناس السكر هو من اصل عربي (٥٤) ، وهذا يبرهانه
 قاطع على ان هذه الزراعة قد انتقلت الى العرب في الجزيرة .

- | | |
|---|------|
| Chems-eddin, (p. 238). | (٤٧) |
| Isaachri, p. 27. | (٤٨) |
| Description de l'Afrique septentrionale, Jour-n. asiat. 5
série, XII, 416 | (٤٩) |
| Ibn Haukal, Ibid. 4e série, XIII, 194, 238, 243, El Bekri
Ibid. 5e série, XII, 498, 499, 532 XIII, 480 et s. | (٥٠) |
| Le calendrier de Cordoue de l'année 881, par R. Douy
Leyde, 1873, p. 33, 41, 91. | (٥١) |
| Ibn-al-Awam, Livre de l'agriculture, trad. Clément-Mélaret,
I 385 et ss. et préface, p. 26. | (٥٢) |
| Amar, Siècle des Musulmans in Sicile, II, 448. | (٥٣) |
| Doc. de 1178, publ. dans Pini, Sicilia araba, I, 494. | (٥٤) |

وهكذا ، فقبل الحروب الصليبية ، وجد الغريبيون السكرك على متناوب بلادهم ومنذ بداية هذه الحقبة استولوا هم أنفسهم على البلاد التي يزرع بها قصب السكر . وقد أشرنا في هذا الخصوص إلى طرابلس ، فيما لشهادة الاصطخرى ، فهناك بالذات وجد الصليبيون قصب السكر لأول مرة ، وهناك رشفوا القصب بلعة (٥٥) . ونسج ل الوثائق أن سبع زراعة قصب السكر في تلك المنطقة طوال المصور الوسطى (٥٦) ، وفيما بعد ، ابتهج الصليبيون حين وجدوا قصب السكر ليرتوا بمصيره عند « داليس » Valens (اشارة أسطورية) ويؤكد أبو العدا هذا الحدث فبالإضافة إلى داليس يذكر « حصن الرقب » Markab وهي ناحية تقع على بعد ميل من داليس ، ويضيف في خصوص هذه الناحية أن الأتالي يسكنون في اثنين لسكر (٥٧) . كان هناك أيضا مزارع في مجاورات موانى أخرى في سوريا ، مثل صور (٥٨) ، وحيفا (٥٩) ، وبيروت (٦٠) ، وعكا (٦١) ، وقيسرية (٦٢) . وفي الساحل على سفح بحيرة طبرية ، وبهر الأردن ، وأريحا ، و نابلس (٦٣) . وكانت معظم هذه المزارع موحدة قبل وعسول الصليبيين . فلم يكن السورديون يعرفون زراعة قصب السكر وحدها ، ولكنهم عرفوا أيضا طريقة عصره لاستخراج العصير ، وتركيزه على النار ، ثم تعطيله على مهل حتى يتكون السكر (٦٤) .

- Alb. d'Aix. éd. Bongar , p. 273. (٥٥)
 Édrial. I, 356 et s. ; Burchard. p. 28 ; Aboulf., Géogr. II, 2, (٥٦)
 p. 36 Chems-addin, p. 282 , Ghazale, p. 278; Machout, p. 211, 288.
 Pulch. Carnot, éd., Bonjém, p. 401 , Hist., Hieros, pas (٥٧)
 sce, Ibid., p. 594 et s. , Aboulf., l.c., p. 32.
 Guél. de Tyr, XIII, 8 ; Burchard, p. 24 ; Taf. et Thom. (٥٨)
 I, 169 ; II, 308 et s. ; Ghazale, p. 63.
 Burchard, p. 26 ; Strehlke, Tab. ord. Ienlon., p. 81. (٥٩)
 Willibrord d'Aldenbourg, p. 187, et Chroniques de Chpre, (٦٠)
 Mas Latrie, Hist. de Chypre, I, 272 , Guél., p. 413.
 Strehlke, l.c., p. 17, 20, 69 , Paoli, Cod. dipl., I, 80, 178, (٦١)
 209, 240 , Fests. Malteser Urkunden, p. 118.
 Cartulaire du S. Sépulcre, éd. Rouleu, p. 277 (٦٢)
 Jehoua Reison, publi. par Wüstenfeld, p. 499 , Jacq. de (٦٣)
 et s. ; Theilmer, éd. Laurent, p. 33 ; Burchard. p. 38, 50 , Alrold
 de Monte Croce, p. 199 ; Frescobaldi, p. 123 p. Guél. p. 322
 Hier. de Poggibonsi, II, 323 ; Strehlke, op. cit., p. 8. Fests.
 Cu lurgsch. der Kreuze, pp. 894.
 Alb. d'Aix. p. 278 , Jacq. de Vitry, p. 1876, 1059: Burchard (٦٤)
 p. 87

وعندما استولى الفريزيون على البلد ، لم يهتموا هذه الزراعة لأنها مصدر لايرادات كبيرة (٦٥) ، وبخصوص صناعة السكر اتبعوا تماماً الطرق التي كانت مستخدمة قبلهم وكان الأصل العربي لهذه الطرق يبنى في كلمة *maszar* (مصصرة) التي أحسنوها في ثمنهم وأظهروها على آلة العصر (٦٦) ، وهي عكا ، كانوا يستخدمون الأسرى المسلمين في صناعة السكر (٦٧) ، وفي عبور كانت هذه الصناعة مزدهرة حتى أن فردريك الثاني « هو هشتافوس » طلب منها عمالاً يرسلهم إلى بالرمو ذلك إلى صناع السكر في صقلية فعندما انقالت الفصائلية السلجية ، دارد الإمبراطور النهرين بهذا النوع من الصناعة (٦٨) ، وكانت صور نصير دلتا سكرًا كثيرًا إلى الغرب (٦٩) ، وبالإجمال ، وفي غضون فترة الحرب الصليبية ، كانت مسوريا هي المصدر الرئيسي لتزويد الغرب بالسكر (٧٠) ، وعندما انهارت الدويلات اللاتينية ، ورثت جزيرة صقلية بعضاً من ربايتها ، ولكن حتى نهاية العصور الوسطى ظلت مسوريا ، وبخاصة مناطق دمشق وطرابلس (٧١) ترسل إلى أوروبا سكرًا متعدد الأشكال ، من قوالب سكر (٧٢) ، وسكر محرو ، وصحوق السكر ، وبعد سقوط هذه الدويلات اللاتينية في مسوريا ، ورثت جزيرة قبرص (٧٣) — كما ذكرنا هي ما ورثت من صناعات أخرى ، زراعة قصب السكر ، وصناعة السكر ، فكانت الأرض معطاة في كل الإحالة تقريباً بمرافق قصب السكر ، ولكن هذه الزراعة كانت مكررة أساساً في مقاطعات « بافو » Baffo (بافوس) ، وليمينسو Limisso (ليماسول) — وهما مدينتان قبرص ، واهتم الملاك ألكسهم بهذه الزراعة ، وكانت عزارهم الرئيسة موجودة في مجاورات بافو وكانت

Burchard, p. 24.

(٦٥)

Taf. et Thom., II, 368 , Birchika, p. 8, 28. , Taf. et Thom.,

(٦٧)

II, 360 , Paul, Geol. dipl., I 39 , Dory et Engelmann, p. 61 ; Dory

Giles = l'Ed d'Éléris, Description de l'Afrique, p. 343 et s.

Michaux-Reinaud. Bibliothèque des croisades, IV, 126

(٦٧)

Hailland-Bécholle, Hist. dipl. Friederici II, I.V., part 1,

(٦٨)

p. 574

Guil. de Tyr, XIII, 8.

(٦٩)

Pagel, p. 49 , Asie de Jérus., II, 174, 176 ; Taf. et Thom.,

(٧٠)

II, 223

Pagel., p. 267, 228, 311, 322 et ss. , Urmé p. 114, 191 , Ps I,

(٧١)

p. 30, h. 42, s. 1, h.

Pagel., p. 252 .

(٧٢)

Hirquel, Königsgesellen des Hauses Lusignan (Hals.)

(٧٣)

1881), p. 162-170.

المنتجات تباع بوجه عام لتجار بلادته ، ومع ذلك لم يكن مخطورا بيعها لتجار من أهم أخرى (٧٤) . وكان الكوربانو Corsaro ، وهم أفراد أسرة مسيحية ينحدرون من إقليم ليسسو ، وهي ابيسكويا (بيسكوبى) Episcopo (Piskopo) مزارع شاسعه ، مسماهم جيسيتيل Ghistei « ائقر الرئيسى لصناعة السكر فى جزيرة قبرص كلها » (٧٥) . وعندما زارها الإيطالي كارولا Casola (١٤٩٤) رأى فيها أربعائة شخص يشتغلون بصناعة السكر . وكان أجود المنتجات تصدر إلى السدقية (٧٦) . وكانت أراضي أسرة الكوربانو مجاورة لسمعة كولوسى Colossi (٧٧) التى يملكها فرسان رودس ، ويستغلون فيها حقول قصب السكر ، ومعامل تكرير ، وكان إنتاجها يسلم بوجه عام لبيت مارتيى Martini من السدقية (٧٨) . وكان لبيت فرسان القديس يوحنا أساسا فى الجزيرة أملاك مخصصة لهذه الزراعة (٧٩) . وكان المائسة العظمى من سكر قبرص يذهب إلى العرب ، وكانت قبرص هى دائما الموطى للتجار اليه لسكر « البودرة » (٨٠) .

ومن حيث وجرة المعسول ، كانت مصر على ما يبدو متفوقة على منافس البلاد المشرفة على البحر المتوسط (٨١) . وتطورت مزارع قصب السكر على طول نهر النيل ، من مصر العليا حتى الدلتا ، غير أن أحسن الأراضي فى هذا الخصوص هى الأراضي الواقعة التى يرويهما فرعاً رشيد ودمياط (٨٢) . وفى كل الأنحاء ، فى المدن ، وفى الأرياف ، يصادف

Mas Latrie, l.c., III, 212-221, Ghisteia, p. 248. (٧٤)

Mas Latrie, l.c. II, 434, 435, 437, 523; Ghisteia, l.c. Mas (٧٥)

Latrie, II, 373 . Casoli, La guerre di Chioçgia, p. 128 et s. (٧٦)

Viaggio a Gent olommo (éd. Porro), p. 49, Mas Latrie. (٧٧)

III, 87, et s. (٧٨)

Stephan von Gumpenberg, p. 248; Georg Gemmencus, (٧٩)

p. 618; . Sanut, Disc., X, 196 . Sethus, Doc. inéd., III 35 et s. (٨٠)

Mas Latrie, III, 27, 38. (٨١)

ibid. II, 489, 500. (٨٢)

Pegol, p. 84, 210, 267, 264, Um., n. 23, 22, 191, Chiarino. (٨٣)

p. lxxix, Bonifazi, Stat. Pis., II, 391, Archiv. Stor. Ital., 3 série. (٨٤)

XXI, 2 part., p. 136 . Mas Latrie, II, 95 . III, 728, 779, 771 (٨٥)

Archiv. de l'Orient latin, II, 2, p. 23. (٨٦)

Cakechandi (op. cit., p. 34 et s.) (٨٧)

Edrisi, I, 112, 124 et s., 129, 204 , Aboulf., II, 1, 149 , De (٨٨)

Sacy, Chronologie arabe, I, 278 , III, 7 et s. , Prescobaici, p. 32. (٨٩)

34 , Sigoli, p. 169; Guesco, p. 222 , Lannoi, p. 112; Pilotis, p. 247. (٩٠)

Simon Steinhilber, p. 34, 34, 68 . Boumgarren, p. 28; Hart, p. 23 et s. Ghisteia, p. 194, 203. (٩١)

ولقد أُنشِئَ خاصه ، فيها أنواع قصب السكر المقطوعة ، تعصر في طواحي ،
 نديها ثريان ، ويجوارها أفراس صلبة يطبخ فيها العصر (٨٢) ، وكان
 بالسكر المصنوع بأحمره التطنين بدلاً أسواق القاعرة (٨٤)
 والإسكندرية (٨٥) ، ويشتهر بوج خاص بحودته (٨٦) ، وسوف نتحدث
 عن مختلف أنواع السكر المصنوع في مصر بعد أن نستعرض مختلف
 بلاد حوض البحر المتوسط التي يفتش الناس فيها بهذه الصناعة .

نرى من ينبغي أن ندرج آسيا الصغرى ضمن هذه البلاد ؟ هذا أمر
 مشكوك فيه . ويعدده شهاب الدين ، في حاصلات هذا البلد سكرا طيب
 للمال ، لا هو حريف ، ولا هو شديد الحلاوة (٨٧) . غير أن هذا السكر ،
 كما ذكرنا مد هيبة هو من قصب العسل . ويرجح أنه ليس من سكر
 القصب ، أما هو المادة السكرية في العسل . ويعتقد السيد تافيل
 M. Tafel أنه يجد تلميحا بجزائر قصب السكر في « بيشليا »
 Bichya وذلك في فترة من معاهدة عام ١٢٠٤ التي أتم بها الصليبيون
 تقسيم الامبراطورية البيزنطية ، ولكنه اضطر للاعتراف بأنه اشغل في
 ذلك ، ومضى ثم صرح براءته الأولى succheris بجماعها
 servacheris (٨٨) . وأخيرا ، فإن بيجولوني ذكر السكر ضمن
 السلع الموجودة في أسواق سنالية ، وإياها Lazzis (٨٩) . على
 أن هذا لا يثبت أي شيء ، وخاصة لأنه ثبت أن أعمال سنالية تنوع خاص ،
 وأعمال كاندبلور Candalore جارتها كانتا يترودون بالسكر في مصر (٩٠) .
 ثم إنه بالنظر إلى سماح آسيا الصغرى ، وطبيعة تربتها مما لا نرى أية بقعة
 في هذا البلد يمكن توطئ زراعة قصب السكر بها . ويمكن تطبيق هذه

- Hartt, p. 62; Leo Africana, Descriptio African. Anv. (٨٢)
 1386, p. 365, b. Ibn Batouta, I, 187, Makrizi, Hist. des
 sultans mamouks II, 2, p. 67, Khali Dénheri, dans de Sacy le.,
 III, 6 et dans Volney Oeuvres, II, 225, Quatremere, dans le notes
 de l'Ed de Makrizi, II, 1, p. 2 et a.
 Schrie, I, 126 Frescobaldi, p. 49, Segall, p. 101. (٨٤)
 Frescobaldi, p. 27, Pegol., p. 66, 384. (٨٥)
 Segall, p. 90 Boldensele, p. 219 Haythén, Hist' orient., (٨٦)
 Makrizi, 1369, p. 40, Hüner regis Ricard., I p. 390 Makrizi, loc.
 cit., p. 27.
 Not et exlr., XIII, 336. (٨٧)
 Tafel, Kamsenen uxor Normannos, p. 55, not. et Taf' o' (٨٨)
 Thom., I, 195 et a.
 Pegol., p. 43, 64. (٨٩)
 Segall, p. 23. (٩٠)

الملاحطة نفسها على اليهود القارية . ومع ذلك يبدو أنه في عهد ساسو
 Saasno أي في عهدهم القرون الرابع عشر ، كان قصب السكر
 يزرع في الليرة (٩١) . ولد أميرا أن يعتبر دون تردد ، ضمن البلاد
 المنتجة لسكر جريزي رودس (٩٢) ، وكانديا (كريت) (٩٣) . ويؤدي
 بنا هذا إلى الحد الأقصى للبلاد التي تشملها التسمية العامة لكلمة ليعات
 Levant . حتى الآن مصروف ما يكفي لأن تقول ما هي بلاد
 « الليعات » التي كانت تزود الغرب بالسكر في العصور الوسطى .
 ويمكن تقسيم هذه البلاد إلى فئتين ، حسب أهمية إنتاجها : فئتين
 ثلثة الأولى مصر ، وسوريا ، وقبرص . وفي الثانية ، وفي فئة ثالثة عدد
 الضروية ، كانديا ، ورودمس ، والليرة . ومع ذلك لا نسي أن الغرب
 لم يكن يتزود بالسكر من الشرق الأدنى (الليعات) وحده ، ولكن سكر
 مصرية (٩٤) كان متدرا في التجارة . والواقع أن كل الموثق الذي
 ساقوا على الحرية . من ملوك نورمان ، وأمسرا أسرة هوهنتاوس
 وبيت أراجون شجعوا فيها زراعة قصب السكر . وصناعة السكر (٩٥) .
 فكان السكر ينتج فيها ثم ينس حتى أن البائدة أنفسهم كانوا يفضله
 أحيانا على سكر مصر وسوريا (٩٦) . وليس من البلاد أن تجدد

(٩١) Sams. p. 24 , Ritter, Verbreitung des Zuckerrohrs, Le. (٩١)
 p. 400 et

Pagol. p. 264. (٩٢)

Sams. I, c : essai des Misi de l'an 1336, dans Mas (٩٣)
 Laurio, I, II, 130, de l'an 1334, dans Daru, Hist. de Venise, cf
 Archiv. Venet., XVIII, 63; Fol. Febr., III, 280.

Uss., p. 94, 165, 191, 195 et s. , Chiarini, p. 1011, b. . (٩٤)
 Pasi, p. 51, b 110, a, b, 162, b , Hymer, Souders, VII, 245 , Brown.
 L'archivio di Venezia, con riguardo speciale alla storia inglese,
 Venezia e Torino, 1885, p. 236 , P. 238 , P. 238, 238 . Pacilio,
 Trattato de compositi, p. 78 et ss.

Pieri, Stel, acro, I, 484 , Hugo Falcandus, dans Del Rio, (٩٥)
 p. 284 Huillard-Bretholles, Hist. dipl. Frédéric II, TV 1, p. 574,
 589 , Capitula regni Siciliae, ed Teub., p. 367, 372, Ritter, op. cit
 p. 404 et ss. , (Amari, Storia dei Mandamenti di Sicilia, II, 448 .
 II, 785 et s. ,

Ritter, p. 491 (٩٦)

في العصور الوسطى سكرًا استُخدم في السلع التجارية (٩٧) وأحياناً في أواخر هذه الفترة ، بنفس سكر ماديرا (جزيرة برتغالية في المحيط الأطلسي - المترجم) سائر أنواع السكر صانعة شديدة - وكان الدوق هنريك البرتغالي don Henrique هو الذي أدخل هذه الزراعة في الجزيرة بأن أرسل إليها ثلاث من صقلية ، ونجحت فيها زراعتها (٩٨) لدرجة أن السوق الأوروبية غصت بالسكر بصورة لم يعرف مثله في قبل (٩٩) ، وترتب على هذه الوفرة انخفاض شديد بالسمة لسكر الشرق الأدنى ، وصقلية ، وإسبانيا (١٠٠) ، وفي حوض أخرى مثل البرتغاليون نشاطاً كبيراً لتصريف بضائعهم ، وفي حوالي عام ١٤٩٠ بدأت هذه المنتجات الدخيلة تظهر في حواصت جنوا (١٠١) والبنطية ،... قليل راج العالم الجديد (أمريكا) الذي اكتشف أخيراً يصدر إلى السوق الأوروبية سكرًا يفوق في جودته كل ما عرف من سكر حتى ذلك الحين ، وكان لابد لبلاد حوض المتوسط التي كانت في ظروف أقل ملاءمة من حيث المناخ ، وأحر البذر المعادة أن تثر بهريتها في هذا المجال وتتدخل في هذه الصناعة (١٠٢) .

وليس في خطنا هذه أن تتبع عمليات صناعة سكر قصب السكر في العصور الوسطى (١٠٣) ، ويكتفى أن نعلم أن أعمال البلاد الشرقية حتى انحر المتوسط كانوا يعرفون العمليات الرئيسية لتكرير القصب (١٠٤) ، وتكريره على نار هادئة ، وترويقه ، وتلوينه ، وأن في مستحضرهم ، وباعتبارهم أن بصوغه إما قوالب سكر ذات لون أبيض ، وكثافة ، وملاءمة

- De Valence Paris 180, b. Brown, loc. p. 293; re (٩٧)
Molina Um., p. 22, 291, Wasmütz Hist. de l'Indre, IV, 347
Codexes dans Rausio, I 28, a (٩٨)
Senz, Diar., I, 212, Cf. II, 128, 168. (٩٩)
- وكانت المراكب البرتغالية تحمل فكر مانيلا إلى بيرا ، وإلى الهند كلها .
Hartm. Schedel, Liber Chronicarum (Nuremberg 1493), fol. (١٠٠)
cote Stolpiero, Annali Veneti, p. 631, Senz, Diar., I, 271, Cap-
mory, IV append. p. 96.
Zeitschr. für Staatswiss., 1881, p. 248, 250. (١٠١)
Senz, Diar., I, 270 et c., 323, 660 II, 333 et c., Mauguier. (١٠٢)
Annali Veneti, p. 630, 631, 640, 647
Piteasica, Cere. lustral. p. celi., Barthelemy anglica, (١٠٣)
De propolisibus rerum, lib. XVII, cap. 197, De Zucaro ; Bur-
chardus de Monte Sion (éd. Laurent, p. 87) en Palestine, Cau-
mout (p. 119) en Sicile Thel-el-Anan (I, 367).
M. Mosler (Hist. de la chimie, I, 643). (١٠٤)
هذا هو رأي

لا عيب فيها (١٥) ، ولما سكرنا مصفى ذا شفافية تامة - فكان السكر
يكرر كثيرا أو قليلا ، ومن ثم كان لتسميم السكر اثنى ثلاث مشروبات - تبعا
لمرات الطهو (١٠٦) - وكان يحوّلون يصفون أنواعا كثيرة من قوالب
السكر ويقيمونها بالترييب الآتى تبعا لحودنها - يادّوا بالفضلهما
amochera (كثيف ، ماصح اليصاص ، حرصى الشسكر) (١٠٧) ،
caffettino (مستدير القبة) (١٠٨) ، bambillonia (حرصى الشسكر ،
بالشجاج مختلفه) (١٠٩) ، muscetto (كثير ، معطج القبة ، أقل كثافة ،
وأرخص من الأصواع المسافقة ، ملائم للتجسّذه الصغيرة) (١١٠)
domaschino (أقل المبيع حودة ، معطج أو مدبب القبة) (١١١) ، أم
سكر ، البودرة ، Polvere di Zucchero ، أو ببساطة polvere وهو أيضا
على شكل قالب عند حروجه من المرحل ، ولكنه لا كان قليل التركيز ، وانه
غير متساك ، ومن ثم يصير مسحوقا أثناء عمله ، ولذلك يحصل الناس
لسكر الخلف الأبيض ذا القطع الكبيرة - وقد سبق أن رأينا أن حريرة
تقرص مصبح هذا السكر بكميات كبيرة - وجودة لاثقة - ويلقى هذا السكر
استعماليا كبيرا ، يليه فى الترييب من حيث الخزايا ، سكر رودس ،
وسوريا ، وكرك Krak (١١٢) ، والاسكندرية - ولابد أن السبسة
الأخيرة تسرى أيضا على القاهرة (١١٣) التى يذكرها بعض المؤلفين على
حدة (١١٤) - وكثيرا ما كان الجهر الأكثر نقاء فى قالب السكر يحصل منه
طرفيه - وهو أثن نقاء ، ويباع على حدة (١١٥) - وكان فى التبصرة ، إلى
جانب السكر القوالب ، والسكر البودرة ، كما سبق أن ذكرنا ، السكر
المصفى (القندى) candi - والمطلوب أن يكون فى قطع كبيرة ، شفافة ،

-
- | | |
|--|---------|
| Edris. I, 305. | (١٠٥) |
| Urm., p. 185, 181, Past, 54, a, b, 55, b, 54, a, 51, b, 114, a. | (١٠٦) |
| Mos. Latrice, III, 220, 223, 497, 535. | |
| Pegol., p. 298, 302, Past, p. 41, b, 54, a, 57, a, b, 58, a, 51,
b, 144, a, 150, a Douet d'Arcq (p. 245 et s., 253) | (١٠٧) |
| Pegol., p. 210, 208, 211, 262; Bonaini, Stat. Pis., III, 491 | (١٠٨) |
| Douet d'Arcq, p. 218, 225, 246, Caffon, Indr., p. 294, 212 | Ordonn. |
| des rois de France, II, 836 | |
| Pegol., p. 210, 298, 311, 378, Urm., p. 405. | (١٠٩) |
| Pegol., p. 298, 311, 361. | (١١٠) |
| Idid., p. 298, 311, 363, Urm., p. 114, 191 | (١١١) |
| "Craneo" Pegol., p. 305 et s. | (١١٢) |
| Pegol., p. 204-206, p. 297 | (١١٣) |
| Pegol., p. 297, Urm., p. 28. | (١١٤) |
| Pegol., p. 364, Mos. Latrice, III, 83, 248. | (١١٥) |

ومتيقورة (١١٦) . وكثيرة في الهند ، أصلها هندي . ووصلت إلى الغرب
مارة بفارس وبلاد العرب (١١٧) .

وفي أثناء صنع السكر ، لا تتطور الكتلة كلها غشة جزء هي
العصير يكون أرجاء ، لروحة صفراء وسميكة ، تسييل أو تسحب هي
المرحل معرفة (١١٨) . ويلا منها براميل ، ويعطى للتجانز باسم العسل ،
أو د الخولاس ، isellaci, mellea (١١٩) . ويعطر السكر أحيانا بدرجة
مسكة الورد ، أو بروح البفسج ، ويحصل هكذا من جهة على
Zucchero rosato, sucre rosat, roset vermeil (١٢٠) . ومن جهة
أخرى على Zucchero violato, Zucharium violaceum ، الع (١٢١) .

وفي الأصل ، كان الأطباء العرب يوصون بالسكر لعلاج لمرض
الصدر (١٢٢) . وحدا الغرب حدوثهم ، فاستعمل السكر أولا في الطب
فقط . ولم يعرفه الصينيون بادي ذي منه إلا كنواء ، ولمدة أجيال كان
هم من السكر الذي يصنعه هم بأنفسهم يصدر إلى مستشفيات الأرض
القدسية ، همة منهم للرعي (١٢٣) . ولهذا المرض نفسه كانت كتب
الطب الأولى تدرس السكر ، لا من حيث استعماله فقط . ولكن أيضا من
حيث اعتدائه (١٢٤) . وكان الأطباء يثرون به دائما ، والحقبة أنهم
كانوا في المصور الوسطى يديرون في الوقت نفسه حوائط
لذغاله (١٢٥) . وفي المصور القديمة ، كان السكر حلالة غالية الناس .

-
- Pegol, p. 224. (١١٦)
Lassen, Ind. Allertib., I, 372 , Chahab-eddin, p. 376, 212 (١١٧)
Quatremère , Asia, Jérus., II, 187
Hartl, p. 88 , Borchard., p. 87 , Platgerius, Cives italans. (١١٨)
p. cclii
Mas Latrie, II, 490 et s. , III, 491 ; Piloti, p. 373, 378 . (١١٩)
warskotnig, Hist. de Flandre, IV, 548
Pegol, p. 298 , Ménagier de Paris , II, 112, 122, 294. (١٢٠)
Pegol, p. 298 . M. Francisque Michel, Lc. p. 429 Arnould (١٢١)
App., Basil., 1585, Col. 437-438.
Ritter, Lc. p. 378. (١٢٢)
Strehlke, Tab. ord. aulon. p. 2, 29, 66 Rastere, Corculaire (١٢٣)
du S. Sépulcre, p. 277
Platgerius, Lc. , M. Francisque Michel (Lc., p. 782). (١٢٤)
Joh. de Garlandia, Dictionarius, éd. Scheller (Lexicographie (١٢٥)
lat. du XII et XIII siècle), p. 28 , Fiebigler, Nördlinger Register.
p. 18, 19

ولا يستعمل ناسراف في الأقمشة والأشربة المصايدة (١٢٦٦) ، ومن ثم يستبدل به عسل محلي ، لرسم طويل . ومع ذلك ، لمسه عهد الأباطرة كومنينوس (١٢٧٧) ، كان اليونانيون يحبون الماء المحلي بالسكر . ومع انخفاض ثمن السكر ، عم استعمال الفواكه الملسكة ، وعسالم الحنوي (١٢٨٨) . ومع ذلك فطفا لم يعرف الناس القهوة والقاي لم يكن السكر سلعة استهلاكية يومية لا غنى عنها . كما أصبحت في وقتنا الحاضر .

المسوجات

في الصفحات التالية ، عرض دراسة لمسجات صناعة الصمغ من وجهة المبادلات بين الشرق والغرب . ولكن ، قبل أن ندخل في التفاصيل ، ومع ابداء بعض التحفظات ، من حيث العديد من الاستشادات ، نستطيع أول كل شيء أن نضع نظرية عامة ، وعرض كحقيقة لا تقبل الجدال أن تجارة المسوجات أثارت مجالا لتبايرين متضادين في الاتجاه ، أحدهما من الشرق إلى الغرب لمسوجات حريرة وقطعة ، والآخر من الغرب إلى الشرق لمسوجات صوفية وكتانية . فليبحث أولا في منتجات الشرق وأهميتها بالنسبة للغرب .

فمن غضون القرون الأولى من المصور الوسطى ، كان عامة الشعب (من غير رجال الدين) هذه شعوب الجسمين الروماني والآثامي لا يحبون الصمغ إلا في القليل البادر الاستساج بالثياب الحريرية الفاخرة . لما الكميسة فكانت ، على العكس من ذلك ، تتجلى في هذا الصمغ من ناحية وبذخ . وكانت روما بطبيعة الحال هي القنوة في هذا الشأن ، كان فيها أجمل الأنسجة والمادج ، وكانت حواصت المدينة تصنع صحت تصرف العالم الغربي نخبة منوعة من الأقمشة الحريرية ، من والحل والثياب الكنسية الجاهزة . وطسم كتاب Liber pontificalis كل التفاصيل المطلوبة من طبيعة هذه الحل والثياب وأصلها . وكانت الرسوم المبكية في أقمشة هذه الأثواب والبسط في ذلك العصر ، من

Rogers, Hist. of agriculture and prices in England, I 633 (١٢٦١)
et s., 841 ; Leber, p. 72.

Easthatus, dans les App., éd. Tafel, p. 308. (١٢٧٧)

Leber, p. 74, 77, 83, 88 , Ménager de Paris, dan: les pages déjà citées. (١٢٨٨)

مسور الأسود ، والفضة ، والطيور ، والطاووس ، والعنقاء ، والملوكية
(حة أسطورية المترجم) لها سمة شرقية واضحة (١٢٩) ومع ذلك
لما كان اليونانيون لا يحبون هذا النوع من الرينة والحرف مثلهم في
ذلك مثل العرب ، وكانت الرسوم المماثلة اليها فيها محاكاة الطبيعة سمة
مشتركة مع الرمزية المسيحية (١٣٠) ، دى والقمة تصوير الحيوانات في
هذه الرسوم لا تكفى وحدها لإثبات أن هذه الأقمشة صنعت في سد
مسيحي أو في بلد إسلامي ، وفي هذا الخصوص ، تشير الأسماء أصغر
الدلائل ، ومنها أسماء نطقها المصادر على هذه الأقمشة ، كما تم اكتشاف
بصورة أكيدة عن أصل عربي ولست أقصد هنا الثمت « من مسور »
de Tyr الذي يستخدمه كتاب Liber pontificalis في وصف بعض
الأقمشة فهذا الثمت لا يدل على المصدر بواب ، يعني فقط أنه قماش
أروامي (١٣١) . ولكن هناك بحثاً آخر أقل شيوعاً ، له معنى مختلف
كل الاختلاف ، ذلك هو « من الإسكندرية » d'Alexandrie وذلك
لأنه إن لم يكن القماش المذكور بهذه الوصف قد صنع في الإسكندرية
فصها ، فإنه على الأقل قد انتشر في هذه المدينة . فضلاً عن ذلك فإن
الأقضية النظمي من الأقمشة المنسجعة في صنع الحراف الكنيسة مرد
وعلا من الشرق ولكن من الشرق المسيحي . فافسح ، والنوحت التكرم
التي تصور لمحات من التاريخ ، أو من حكايا القديسين ، والتي مرافا
مع تصاوير للحيوانات أو حراف عربية (أزياسك) هي دلالة قوية
على أصلها . فضلاً عن ذلك فإن كل الأقمشة الحريرية مصنعة باسمه
يونانية فالأرجواني يسمى في كثير من الأحيان byzantin Blatin
(blatin) (١٣٢) . هذه الأقمشة الحريرية ، عربية كانت أو يونانية
الأصل ، يصل إلى القسطنطينية حيث ينفذها التجار الإيطاليون والبيادق
إلى روما . وسبق أن رأينا أنه رغم المراسيم التي تحظر أجود أصنافها
للإمبراطور ، وتحظر تصديرها ، كان هؤلاء التجار يهربون كيف يحصلون
عليها . ثم إنه قبل الانشقاق الشرقي الكبير (الانفصال عن الكنيسة
الرومانية) (١٣٣) ، وفيما بعد ، هي الفترات التي بدأ فيها حدوث تقارب

Liber pontif. éd. Vissol, II, 341, 285, III, 14, 33 et 2, 71, (١٢٩)
372.

Back, Liturgische Gewänder, I, 2, 11 (١٣٠)

Jacq. de Vitry, p. 1072. Guill. de Tyr, XIII, 1. (١٣١)

Lib. pontif., II 258, 306, 329, 334-335, 345, 345, III, 20, 28. (١٣٢)
43, 57 78, 272. Médillon, Vêtements sacerdotaux, p. 279; Schultze, Leben,
I, 280 et 281.

Lib. pontif., III, 167 (١٣٣)

بين الكتيبي (١٣٤) ، تلقى البايوت هدايا من الأباطرة البيزنطيين مستقلة في قطع قاهرة من القماش لتزين بها كنائس روما . ومن جهة أخرى ، في غضون الفترة التي شاعت فيها الحركة التجارية للأيقونات في القسطنطينية هاجر مساجو الحرير من اليونان إلى روما بعد أن كادوا يموتون جوعا ، وصلوا إليها تقاليد عاشت دهرًا طويلا ، وصار لدى مصانع البايوت أن يستغلوها في صنع الرخاوي ، وأغطية اللدايح ، والسند الحريرية .

وإن جلب اليونانيون الهاربون إلى روما من نسج الحرير ، فإن هذا لم يدخل إسبانيا في أعقاب الغزاة العرب ، وبلغ درجة كبيرة من الازدهار حتى لقد أحصى في مدينة المريه *Almería* وحدها قرابة ثمانمائة بول (١٣٥) . وبلغت هذه الصناعة أيضا بعض الازدهار في صقلية (١٣٦) . وعلى غرار سائر الملوك العرب ، كان الأمراء في صقلية يتولون قوم قصورهم رعاية مشاغل الأقمشة الحريرية ، وتوارثها بعدهم الملوك النورمان (١٣٧) ، فركوا المساجين المسلمين بارسون سرقتهم في مصانعهم ، ولكنهم نفثوا في هذه الصناعة دما جديدا فاشركوا فيها مساجين أتوا بهم من طيبة وكورنثة . وشيئا فشيئا احتل المسلمون ، إذ مات منهم من مات ، وعاجز آخرون بحيث حل أسلوب العمل عند الغامعين الجند ، في النهاية محل أسلوب المساجين . فالواقع أن هوجو فالكاندس *Hugo Falcandus* لا يستخدم في وصفه مصفا لحرائر سوى مصطلحات يونانية ليست بالتأكيد مشتقة من أصلها الحقيقي (١٣٨) .

ومع الملوك النورمان تفصل في فترة الحروب الصليبية . هذه الحروب الكبرى التي أتاحت لعدد كبير من الغربيين أن يرووا الشرق . ومن ثم اتصلوا بالبلاد التي ستج الحرير ونصمه . فأحب الفرنسيون الأوروبيون الأقمشة الفاخرة والألبانث انفسه التي عند الشرقيين فاستسومهم في الترف ، ولم يلبث أفراد الطبقة البورجوازية أن حددوا

Labarre, Hist. des arts industriels au moyen-âge et à (١٣٤)

l'époque de la renaissance, IV, Paris 1886, p. 341 et s.

Edri s. Ducer, de l'Afrique et de l'Espagne, éd. Douy et (١٣٥)

Gosse, p. 263, Gesta Ricardi I, se. Stubbs, II, 122 ;

Henriquet Michel, Le I. 298, Schubar, Hefisches Leben, I, 249, 253.

Amari, Storia dei Musulmani di Sicilia, II, 448 et s. (١٣٦)

Amari, Storia dei Musulmani di Sicilia, II, 448 et s. (١٣٧)

Ibn el-Ghazali, éd. Amari, dans l'Archiv. stor. Ital., IV, 38, 77 et s., et dans Elbâ arab. sic. trad. I, 148 , Amari, Storia, III, 798 et sa.

Dei Be Cronaca e scultori Napoli, I. 280, Francisque (١٣٨)

Miche, Recherches sur le commerce, la fabrication et l'usage des étoffes de soie, d'or et d'argent, etc., I, 173.

صوبهم ، وأثرت كاتنداليات المنقبة وجنوا بالرحلات البحرية للصوبه
في اليونان التي كان استيرادها موصوعا لاشتراطات خاصة مدونة في
المعاملات المبرمة مع بيرسطة ، وبنت الرقاعية سريعا حتى لم تعد مصانع
اسبانيا وصقلية تفي بالحاجات ، فكان لا مخلص من اللجوء الى مسجلت
الشرق الأدنى ، كذلك لم يعد ثوب العصر يتطلب منتجات أخرى ، إذ
يرى في قصص الخروسة أن الناس لا يقدرون شتا حلال الأشياء التي
يصنعها الحرفيون العرب المهرة (١٣٩) ، كان « البروكاز » (مسيح
مقصب يجتوئ في الحرير والذهب - المرحم) مروريا للخيشام التي
يخضع بداخلها الأمراء والفرسان في الأعياد ، والطائس في الكنائس
ومستأثر أسرة شرف يوم الأعراس ، والأعلام واللبان ، ولي الفن ، في
ألم الثواكب والأعياد ، كان الأعمال يمتدون أنه ليس ثمة شيء أنفصل
لثوب المشوارع من أن يسيطروا أمام حوالدهم طائس عريية ، وصارت
للمسجلات البحرية الشرقية التي كانت فيما مضى حكرًا للكنائس نور
بها هيأكلها وسواخلها ، صارت ربة غاذية للصور الأمراء ، وصروح
الفرسان والسلا ، وبيوت الأشراف البيروجرافيين ، وكان الأمراء
والفرسان والسلا وسائرهم وسائرهم يطهرون غلاية مرتضى ثيابا من
« البروكاز » المنصب (الذهب) الذي كان يلبسه فيما مضى القصور
وحلهم في المعاملات الدينية

وحين دونا تاريخ التجارة من الشرق الأدنى ، ذكرنا حبيب البلاد
ولكن التي نستورد منها أوروبا هذه الألبسة الثمينة ، ذلك أنه لم يشأ
بالرة كنما سمحت الفرصة أن يذكر المراكز الرئيسية لإنتاج الحرير
وصنع ، وفي كل مرة ، في مناسبة الإشارة الى قماش حريري نذكر كتب
التجارة ، والتعريفات الجبركية ، وكتوب حرد كنور الأمراء ، وقصص
العروسه (١٤٠) ونعبرها مصنف هذا القماش ، نجد غالبا ، مع استثناءات
لندة أسماء من الأسماء التي وردنا من قبل ، والأسماء التي صاقلها
أكثر من غيرها هي : من لندن الإسكندرية ، وطرابلس ، وعشق ،
وانطاكية ، ومن البلاد سوديا ، وقبرص ، وآسيا الصغرى (تركيا) ،
واليونان (بلاد الروم) ، أما البلاد البعيدة عن الشرق ، فإنها لا تظهر
إلا نادرا ، بالقدرة بالبلاد المطلة على البحر المتوسط ، ومن الثابت أن

Frénois Michel, loc. cit. II, 84 et 88.

(١٣٩)

(١٤) ليست الطوليات التي يمكن العثور عليها في قسص الفرنسية كثيرة أو كثيرة
كما قد تخطر على البال ، أما أسماء البلاد والقرى الواردة بها لأن القسص منها صابر
من مقيلة الشاعر : وأسماء أخرى مختلفة من التاريخ القديم ومع ذلك فلا شك لفسد
شوار لا بدله من جهة في جمع هذه الأسماء كلها لظهر

M. Schults. Das helleische Leben, I, 381 et 38

بلاد العرس ، والهدى ، والصين كانت تصنع المنسوجات الحريرية على نطاق واسع ، غير أنها صيدت جدا ، بعدا لا يسمح بالتوسع في استيراد هذه السلع . ومع ذلك لم يكن الامكان أن يخرج نوع أو آخر من الأقمشة الحريرية من قلب آسيا دون أن يعرف الناصر الذي اشترده في عواصم الشرق الأدنى مصدرة الحقيقي . وسوف يرى بعد قليل أنه بالنسبة لبعض الأنواع كان اسمها وحده يدل على مصدرها المعين .

وتحيا للاستجاب الذي لا غائلة فيه ، أحيل القاري الذي يود أن يعرف بالتصديق كل نوع من الأقمشة على حدة إلى الملاحظات الخاصة بالمنسوج ، واكتفى بما بأن أقول صنع كلمات عن المنسوجات الرئيسية ، وأذكرها حسب الترتيب الأبجدي ، بادئا بالمنسوجات الحريرية

Baldarkuno, Baldarcheno (بندودي) (١٤١) قماش حريري غالي النسج ، مزين عادة بصور ، وموشى غالبا بالذهب ، وهي أواخر العصور الوسطى كان يصنع منه نوع مخصوص بالحرير *sericum mixtum* ومواد مثل تيسية ، كالقطن ، ولكن كان الحرير وحده في الأصل هو المنسوج به (١٤٢) . وليس ثمة شك في أصل هذه الكلمة . فهي مشتقة من اسم بغداد (١٤٣) حيث كان القماش يصنع هناك في البداية . وتناك هذه الواقعة بمعلومة تاريخية . فقد أن غرا هولاند مفلد ، فرس الشاربي على أصل المدينة حرية يدعج جزء منها أقدمه من هذا النوع (١٤٤) . ومنه ذلك صنع هذا النوع أيضا في إقليم الأمازيغ ، وفي دمشق وقبرص (١٤٥) ، وأكثر حتى في فرنسا وإنجلترا (١٤٦) .

Camocato (camocan, camocas) - قماش حريري ، ناعم ، موشى بالذهب ، كثيرا أن لم يكن دائما (١٤٧) ، يصنع منه ملابس

-
- | | |
|--|-------|
| Capmany, Mem., II, app., p. 78, 78. | (١٤١) |
| Michel, loc. cit., 251 et s., Gay, Gloss., I, 123 et ss. | (١٤٢) |
| Doy et Englemann, Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe 2e éd., p. 254, Michel, I, 252, 261 et s. | (١٤٣) |
| Joh. de Plan Carp., p. 661, Cf. ibid. p. 526, 614 et s. | (١٤٤) |
| A. Bouff., Geogr., II, 2, 88, Michel, loc. cit., 254, Gay, loc. cit. 138. | (١٤٥) |
| Doutet d'Aracq, Comptes de l'argenterie des rois de France. I, 289 II, 220, Uss., p. 126, Michel, I, 252 | (١٤٦) |
| Michel, II, 171 et ss., Doutet d'Aracq, I c., I, p. xxvi et " | (١٤٧) |
| Vuile, Cathay II, 495. | |

للخمرلات ، وحديد كهنوبه (١١٨) . وطعاس ثلبوت * كان يصنع في
الأصل في الصين حيث توجد التخصيبات الكثيرة (١١٩) ، ويستسب
اسمه إلى هذا البلد (بروكار كشفا ، أو كشفا Kimcha)
والتيس في فارس باسم « كيمبا » Kimba ، وكان يصنع أيضا
في هرات ، ونيسابور ، وطودس (تبريز) (١٢٠) ، وفيما بعد دخل
« الكيمبا » بلاد العرب . وهناك ما يثبت وجود مصانع خاصة بهذا النوع
في بغداد ، ودمشق ، والإسكندرية (١٢١) * وفي الشرق المسيحي ،
انتشر التصنيع بهذه الصناعة (١٢٢) ، وكذلك اليونانيون على الراسخ
وكان هذا النوع متداولاً في التجارة في فلماجوستا والقسنطينية (١٢٣)
وكانت فلماجوستا ، والقسنطينية ، والإسكندرية تصدر هذا النوع إلى
العرب حيث كان مطلوبا بكثرة ، وبخاصة في بلاد فارس (١٢٤) .

— Damascina (دمشق ، قماش دمشق) : قماش مصنوع في
مصانع دمشق القديمة ، يحمل اسم المدينة التي خرج منها ، وهو قماش
للليل ، به رسوم جميلة في بلل القماش نفسه (١٢٥) ، ويصنع أيضا
في فارس ، ويزد ، والإسكندرية (١٢٦) .

— Marama, marama (بالفرنسية Marama, Maramano)
والكلمة مشتقة من العربية محرمة mahremah) * بروكار (١٢٧) .
نقلت إلى العرب من قبل البغليّة ، وحوا ، وقطالوبا ، وكانت تذهب في

-
- A'el della Soc Edg. XIII, 373. (١١٨)
Ibn Batouta, II, 311. Clavijo, p. 214, Le Hère de l'entail du (١١٩)
grand Caca, p. 87
Ibn Batouta, II, 311. III, 81, Clavijo, p. 112, 118 et a. etc. (١٢٠)
Barbosa, Viaggio in Persie, p. 35 et a.
Ibn Batouta, II, 311; Gay, I, c. p. 347; Taf. et Thom., (١٢١)
Inéd. Documents de 1416 et de 1423
Mén Laitie Hist. de Chypre, III, 344, 409, 586 (١٢٢)
Pegol, p. 16, CE. Arch. de l'or laz., II, 28. (١٢٣)
(١٢٤) يعرف اسم Caracac كثيرا في كل منطقة من فرائد الجرد الفرنسية .
Gay Gloss, II, 336 et a. (١٢٥)
Uze, p. 188, 182, 172, Barburo, Viaggi in Persie, p. 84, b (١٢٦)
Michal, II, 176 et a. , Labarte, Inventaire du mobilier de (١٢٧)
Charles V, p. 153, not. 6, RM, p. 371 et a.

طيه الى اسواق عكا ، واما حوصيا ، والقسطنطينية (١٥٨) * بعده في
قوائم الجرد الفرنسية ، مستعملا كجنيات للكنائس ، او للاث * .

— Nacco (nacchetto) عدا أيضا « بروجار » * وصانف كثيرا
هذا الاسم شيئا باسم دناش آخر nassit (nassit) لا يختلف عنه
كثيرا * وكلمة naccin مشتقة من العربية نج ، اما nassit فانها تأتي
من كلمة عربية أخرى « نسيج » (١٥٩) * ويبدو أن أول كاتب عربي
استخدم الاسم هو « جويوم دي زوبروك » ، فقد تلقى قطعه من
هذا القماش حديثة من جان التتار الكنج و مانكو * ، باعها مرجانه في
قبرص شمالي ديسارا بيرطيا (١٦٠) * وقد رأى مانكو بولو في الجنوب
الغربي من « قرّة قوروم » ، عقر مانكو ، بالقرب من حائط الصب ، بلده
يصبح فيه عدان النوعان من الأقمشة (١٦١) * والواقع أن بيجولوني
يذكر أن بعض التجار الغربيين يذهبون الى الصب طلبا لهذه الأقمشة *
ويأتون بها عبر آسيا حتى تانا ، ومنها يركبون السفن عائدين الى
اورويا (١٦٢) * هذه الأقمشة كانت ترد أيضا في الصب الى سمرقند ،
الى العرب (١٦٣) وكان في سداد مصانع تسج النوعي من القماش *
وثمة قطع من منتجات هذه المصانع أرسلت عدايا الى اوكراني جان
Ogouat-Khen (١٦٤) * وكانت هذه الأقمشة منتشرة كثيرا في العالم
الإسلامي * وأتيحت الفرصة لابن بطوطة لأن يدرس صناعة « النج » في
نيسابور ، ورآه مستعملا في بلاط حد القمحان Kipchak * وفي آنس
أعدي اليه قطعة من هذا القماش (١٦٥) : وتدل هذه الملاحظة على أن هذا
القماش كان يصنع أيضا في آسيا الصغرى والواقع أن آسيا لصغرى

Annales de Jéru, III, 179 , Pegol., p. 10, 82, 136, 219; Uss.,
p. 143. (١٥٨)

Only Pisonea, dans les Misc. di stor. ital., VII, 408 . (١٥٩)
Arch. de l'Or. lat., II, 27-29 , Cod. Cuman., p. 168, 167 Deformery,
dans le Journal asiat., de série, XVI, 186.

Guil. de Rubrouk p. 217. (١٦٠)

Karim P'o'o, p. 220. (١٦١)

Pegol., p. 4, 136. (١٦٢)

Cheref-eddin, Hist. de Tchemou-bee, II, 64. (١٦٣)

M. Polo, p. 48 , Yule, M. Polo, I, 82 ; Breil ebneider, (١٦٤)
Notice of the medieval geography and history of Central and

Western Asia, p. 214.

Ben Ba'ouin, II, 389, 388, 452 , III, 81. (١٦٥)

كانت هي وقدمى المصنوع المشار اليه لعمى من أشرطة ، النج ، المروة
في مجلات حسابات ملاط ، فرنسا (١٦٦) . وكان في حراية كاتدرائية
« براج » حليات كثيرة مصنوعة من عدا القماش ، إلا أن كواليم الجرد
لا تذكر مصدرها (١٦٧) .

— Scimito (Samit) (سيمايتو ، سمايت) : لا يمكن التلصص
في هذا القماش دون مقارنة بالأنواع التي ذكرها « هوجو دالكمانس »
وسمايتا *sonita, dimita, trimita* (١٦٨) . والفرق بين هذه الأقسام
المتشابهة وبين السيمايتو يكمن في التحاكة . فالمسلة لهذا الأخر لم
يكن التصايج يقتصد في المادة الأولية ، حتى يغطي القماش مریدا في
المسبك . وعلى ذلك كان السيمايتو قماشاً خفيفاً قليلًا وسبكاً (١٦٩)
كما كان غالي الثمن جدًا ، وكان ترفاً غير متناج إلا للكنيسة أو للأغني
الطوائف الاجتماعية ، يدمج كهديفة جميلة . وموطنه الحقيقي بلاد اليونان .
وقد بين لنا أنه كان يصنع في قديم الزمان في جزيرة أندروس . وقد
أرسلت عينات من هذا المنسج عتيقة هي اليونان إلى ملاط امبراطور
المانا (١٧٠) . وعندما استولى الصليبيون على القسطنطينية عام ١٢٠٤
وجنوا ضمن الماشم كمية كبيرة من « السامير » *Samir* (١٧١) . وفي
عام ١٢١٠ وبعد رئيس أساقفة « باتراس » اللاتيني دير كلوس *Clous*
أن يهدي الدير كل مسلة *excellent optimum* (١٧٢) . غير أن
« سامس » بلاد الروم (١٧٣) لم تكن معروفة في الغرب وسبقه قلده
كان الغرب يتلقى هذا المنسج من عكا ، وبيروت ، واللائقة . ودعشق ،
والامسكندية ، لأن عرب سوريا ومصر تعلموا في اليونانية خطوط
صناعته (١٧٤) ، وتعلم الساج القبرصية بدورهم هذه الخطوط فكانت

-
- Douet d'Arq. *loc. cit.* II, 2, 13, 76; Pegol, p. 49. (١٦٦)
Bock *Geschichte der liturgischen Gewänder*, II, 43, 213. (١٦٧)
312 et ss. , III, 62, 171, 172, 173; Michel, I, 241.
Del Re, *Cronica Nap.*, I, 222. (١٦٨)
Michel, I, 150-152. , Douet d'Arq. *Comptes de l'argentier*,
I, xvii et s.
Arthur Lulow, *Les Portes SS.*, XXXI, 120 , *Jahrb. Bibl.*
ger. germ., T, 455, 550. (١٧٠)
Gouffier de Ville Lamoignon dans le *Bouquet de hist. re la*
France, XVII, 442. (١٧١)
Bibliothèque de l'École des Chartes, 2 série, V, 206 et ss.
Michel, I, 240 , Pegol p. 107, *loc. cit.*, p. 32. (١٧٢)
Pegol, p. 55, 71, 78; Michel, I, 120 et s. (١٧٣)
(١٧٤)

منسوجات « الساميت » المصنوعة من جبهة الماعوسقا سلعة أهلية ، كما كانت صناعة محلية الى ان حل اليوم الذي تركزت فيه صناعة السبيج والصناعة كلها في بيقوسيا (١٧٥) .

— Siglason, Sildot (سيكلاتون ، سيكلات) اسم مشتق من اليونانية ، شأنه شأن كلمة ساميت ، ويطلق على ثوب نسوي ، مستدير الشكل . كان السبيج المعروف بهذا الاسم قياسا حريريا دقسيا ثقيل ، وكان في اواخر القرون الوسطى موشى عادة باللذهب . وكان الشرقيون يصفونه غالبا بلون أزرق داكن ، ويصنعه العريسون بلون أحمر فاتح (١٧٦) . وكانت مراكز صناعته بغداد ، وطورس (نير) (١٧٧) وكان النسيجون العرب في القرية باسباسا (١٧٨) يمسجون أيضا هذا القماش . ومع ذلك فالغالب أن فارس كانت تزود العرب بكميات منه .

— Taffeta (التفا) هذا الاسم يدل بدالة على أصله الفارسي (مهسو بالفارسية toftah tafteh) (١٧٩) . ويستنبأ كلاصحو في الواقع أنه كان يوجد في أسواق طورس ، والسلطانية ، وسمروند العثمانية . هذا « مصنوعة في هذه المدن » وفي اواخر المصور الوسطى انتشر هذا القماش أكثر فأكثر في الغرب (١٨٠) . وربما كانت قبرص تؤدي دون الوسيط في حريف هذه السلعة (١٨٢) .

— Tartaricus pannus (التارتري) : تصانف هذا الاسم كثيرا في دفاتر حسابات بلاط فرنسا ، وفي قوائم جرد كنود كنائس اسبيلترا وإيطاليا (١٨٣) ، ويطلق على قماش حبل مري في كتب

Pegol, p. 66. Paul, p. 142, 2. Mon La,rie, Hist. de Chypre, (١٧٤)
III, 244, 400, 467, 535.

Korabcock, I, 3-11, Michel, I, c., I, 220 et ss. , Schöls, Das (١٧٩)
hölle eine Leben I, 285 et ss.

Michel, I, 233 et ss. , Yagout, p. [33. (١٧٧)

Michel I, 232. (١٧٨)

Dewc, Dictionnaire des mots français d'orig. orient., p. 214. (١٧٩)

Claviq, p. 109, 114, 190. (١٨٠)

Michel, II, 237 et ss. , Chiarini, p. xviii. (١٨١)

"Panous lafia", Actes notariés de Chypre Arch. de l'Or (١٨٢)
et II, 2, p. 39.

Deuel d'Areg, I, p. 323, 635; II, 2, p. 2, 4, 5, 8, 12, etc ; In- (١٨٣)
vent. de Charles V, p. 363 et ss., 369 et ss. , Mon Hung. Let.,
Acta exten. I, 244, 352.

من الأحوال بملطوط ذهبية ، أو صور حيوانات (١٨٤) . والمعروف أن
البراطورية انتثار كانت مشتتة من الترم إلى الصبي : نص الصبي بحديث
أي إجراء هذا الإقليم الثاسع الذي يصنع فيه التسيج انتشار اليه .
وكانت الشخصيات الكبيرة في الصبي ترتدي ثيابا مصنوعة من الترتير أو
الكاموكاس أو أقمشة أخرى (١٨٥) .

— Zensado زندادو (Zensal سمائل) . نوع من الثافتا ، هي
حرير رفيع نوع ما . ومن المشكوك في صحة أصل هذا الاسم (١٨٦) .
والكاس الذي يصنع فيه هذا التسيج لأول مرة (١٨٧) . ولقد مر ماركو
بولو ، وكلايجو في رحلاتهما على عدة مصانع بها هذا التسيج ،
الأول في الصبي ، والثاني في فارس (١٨٨) . ويثور السؤال عما إذا
كان العربون ، قبل أن يعرفوا صناعة هذا التسيج كانوا يستوردونه من
تبريز والسلطانية . ربما عن طريق بحر قزوين وقانا (١٨٩) ، غير أن
الأمر مشكوك فيه . إذ نتحدث قصص الفروسية الفرنسية عن هذا التسيج
على أنه من منتجات صوم وكانديا (١٩٠) . ويقول بيجولوتي أنه يوجد
في أسواق القسطنطينية ، ومثالية ، وفاماجوستا ، ويباع في هذه المدينة
الأخيرة على أنه سلعة أجنبية (١٩١) . وكان منتشرًا بدرجة كبيرة في
الغرب (١٩٢) حيث يصنع منه بسوع خاص أكلام ، وخيام ، وأغطية .

— Zetant زيتانت اسم بطوطه أنه يخرج من مدينة زبون
Zayton الزبونة الأملس (السنان) ذو الجودة الممتازة المسمى زبونية
Zetouniyah (١٩٣) . وكانت هذه السلعة معروفة ومطلوبة في قسم

-
- Michel, II, 381 et s. , Douet d'Arceq, II, p. 331. (١٨٤)
Livre du Festin de grand Cassi, p. 78 , cf. Yule, (١٨٥)
Marco Polo, I, 339.
Michel, I, 319 et s. , Yule, I, c. II, 3 , Dozy et Euglmann, (١٨٦)
Gustave, p. 375.
Gay, Gloss, I, 385 , Schallz, Das Häfliche Leben, I, 256 (١٨٧)
Marco Polo, p. 302, 407, 504 , Clavija, p. 114 , cf. p. 160, (١٨٨)
160.
Michel, I, 309. (١٨٩)
Michel, I, 302, 303. (١٩٠)
Pegut, p. 18, 42, 43. (١٩١)
Idid, p. 50 114, 342 , Uta, p. 6-9, Capmany, II, 8, 17; Douet (١٩٢)
d'Arceq, I, p. xxii et s. 257 , II, passim , Inventaire de Charles
V, p. 244; Coll. de doc. inéd., ms. Lat., III, 338, 350, 282.
Ils Batoula, IV, 208. (١٩٣)

كثير من الشرق • وشهد ابن بطوطة بنفسه وصول مائة قطعة منه دفعة واحدة مرسلنة من الصين هدية إلى بلاط دلهي (١٩٤) • وعندما مثل الفارسي عبد الرزاق أمام ملك بيساحور *Hisnagar* (في الهند) كان الملك مرتديا ثوبا من أطلس ريشون ، جالسا على مسند منطوق بالقدس نفسه (١٩٥) • كذلك رأى كلافيو في مسوقند وتبريز الشمسنة حريرية زائلة تسمى « ستونس » *setunis* تعمل إلى عاتق لتدبني بطريق التجارة ، كما يصنع منها أيضا في البلد نفسه ، هي ضواحي الكديسين (١٩٦) • وكلمة ريتوني التي لم تكن أول الأمر معروفة من صنع عمل الدلال على أطلس (سايان) ريتون ، أصبح اسم علم يطلق على قماس حريري من نوع خاص مهما كان مصدره ، وحتى أن كان تقليدا للأطلس الناتج من مصانع ريتون نفسها • فقد أطلق الهالي قشمنالة اسم *setuni* ، والايطاليون اسم ريتاني *Zetani* على قماس يسودونه في الاسكندرية (١٩٧) • تتجلى كان هذا القماش سلعة قيمة حقيقية ترد في الاسكندرية عن طريق الهند ، أم أنه تقليد نقل مصنوع في الاسكندرية نفسها ؟ ليس في وسعنا أن نعرف الحقيقة ، غير أن الثابت أنه هو النسيج نفسه ، أية ذلك البعث *ruso* الذي قرره اورانو *Uzzano* بكلمة ريتاني *Zetani* في عقرة من العقرات التي أوردها (١٩٨) • فالواقع أن *ruso* مرادف لكلمة العربية أطلس *atlas* (١٩٩) ، ونسيج ريتون يدخل في هذه الفئة أي « الساتان » • وهي جهة أحسرى يهتمل كثيرا (٢٠٠) أن كلمة ساتان *satini* الفرنسية مرادفة عن الوجهين الحيوية والمادية للكلمات *Zeitani*, *retuni*, *Zetani* • وهي المصنوع الوسطي ثم يكن بيت مهما قلت أبعده لا يوجد فيه قطع من الأطلس مختلف الألوان والقطر • إذ كان هذا النسيج في كل الأزمان ينفي تقليدا كبيرا بالنظر إلى بهائه ، وكونه غالبا موشى بالذهب (٢٠١) •

-
- Ibid*, p. 1 (١٩٤)
Etichol, Hist. of India, II, 118-120. (١٩٥)
Clevisio, p. 163, 164, 181, 214. (١٩٦)
Uss., p. 167, 168, 171, Cf. Lebonde, *les rues de Bour-*
gogne, III, 163. (١٩٧)
Uss. p. 108 *voy. Call. des rec. ind.*, I.e., p. 183. (١٩٨)
Michol, II, 322 et s. , *Grœmer*, *Culturgesch. des Orients*. (١٩٩)
 II, 326
M. Yule *Cathay*, II, 408 *Marco Polo*, II, 188 et s. (٢٠٠)
Michol, II, 320 et ss. (٢٠١)

لقد عدها مختلف الأنظمة المخرية الشرقية المصدر التي يستوردوا
 الغرب ، ويستخرجون الآن بالمثل بعض المسوحات الأخرى الأقل قيمة التي
 كان التجار يسودونها من البلاد نفسها ، وتقع في ذلك النحلة نفسها
 التي اتبناها مع المسوحات المخرية ، أي حسب الترتيب الأبجدي .

— *Boccusio* بوكاسيو . سميج كثنى بسيط ، ندر أن السامبي
 المخرية كانوا يعرفون كيف يتكسبون رقة ويربضاً حتى ليعالوا الزه
 حوروا (٢٠٢) . وكان يصنع أيضاً في قبرص (٢٠٣) ، وفي الغرب يصنع
 سميج لا يشترك مع هذا السميج في شيء سوى الاسم ، ندر سميج قلبي
 من نوع « الشبيكة » (٢٠٤) .

— *Bucherum* (بوشيرام) ، قماش شائع الاستعمال في الشرق في
 صبح الملايس (٢٠٥) . ولا شك أن اسمه مقتبس من اسم تجاري (٢٠٦) .
 يذكر في إمالي صحنه « *Brington* » بريميسا (٢٠٧) وموش
Mouch ، وصاردي *Mardin* بكردستان (٢٠٨) ، وأصفهان
 بزازي (٢٠٩) ، ومقاطعة نينجا *Telingata Moutili* بالهند ،
 وعلى الحدود الشرقية من الهند وبلند ومدينتا *Tanah* وكساي .
 وفي أفريقيا ، بلاد الحبش (٢١٠) ، وآخرا ، حريرة قبرص (٢١١) .
 وكانت لمراي اثني يخرج منها هذا القماش إلى اندون ، كما تقول
 المصادر ، هي القسطنطينية ومبتالية ، وهكذا فاماغوستا (٢١٢) .

-
- Frutobaldi*, p. 48 et s. ; Sigolf, p. 177, 218. (٢٠٧)
Mar Leife, *Hi l. de Chyres*, III, 775, 777. (٢٠٨)
Gay, *Gloss.*, I, 151 et s. ; *Schultz*, *Das höfische Leben*,
 I, 250. (٢٠٩)
Joh. de Plan. Carp., p. 614 ; *Marco Polo*, 6d. Yule, p. 29. (٢١٠)
Joh. de Plan. Carp. *Introd.* par l'Avenac, p. 324. (٢١١)
Marco Polo, p. 35, *Pegol*, p. 18, 212 ; *Bonaini*, *Stat. Fin.*,
 II, 833. (٢١٢)
Marco Polo, cf. Yule, I, p. cxxvii, *not.*, 67, 59. (٢١٣)
Zarncke, *Der Präster Johannes*, 2e part., p. 38 , cf. 41
steuxième charte, de 1221]. (٢١٤)
Marco Polo, p. 531, 553, 663, 690, 709. (٢١٥)
Pegol, p. 18, 212 ; *Bonaini*, *l.c.* , *Analisa de Jéous*, II, 351,
 357, 385. (٢١٦)
Pegol, p. 18, 20, 43, 49, 66. (٢١٧)

ويصعب أن يعرف بالصبط نوع السبيج الذي يباع بهذا الاسم ،
والكثابت على أية حال أن هذا الاسم لم يكن في العصور الوسطى يدل على
القماش الخشن المعروف في العصر الحديث باسم « بوجران » bougran .
فالواقع أن ماركو بولو يتحدث في عدة مناسبات عن رفته وعندما يصادف
هذا الاسم في قصص العروسة الفرنسية ، فإنه يتعلق دائماً بقماش معين
عالى الثمن . وبخصوص المادة الأولية المسببة في صمغ ، وعلى نقطة
هامة ، فإن أمرها تحيط به الشكوك ، فالبعض يقول إنها الكتان ، والبعض
الأخر يقول إنها القطن ، وأنهى آخر عالم اهتم بهذه المسائل ، وهو
فيكتور جيبى Victor Gay إلى أنها قماش كتابى دقيق (٢١٤) .

— Cambeloto (شيلة) : تدل الكلمة العربية (شيل ، حلة)
التي أتت منها هذا الاسم على أنه قماش ذو وبر طويل ، وهو من نوع
الطبيعة (٢١٤) ، وهذه هي الصيغة المشتركة لدى كل أنواع الشيلات .
ثم إنه يصنع من مواد مختلفة ، بعضها من شعر النجمل وحده مادة لا يران
يصنع منها المشية في الوقت الحاضر (٢١٥) . ويتبع شعر الحمال البصر
في شمال غربى الصين مادة أولية ممتازة يستعملها الأعدال في صنع قمشة
مروج حتى في بلاد ماليزى للغاية (٢١٦) . وكان شعر الماعز يستخدم في
صنع أنواع أخرى من الشيلات (٢١٧) ، لأن فروة الماعز بأسيا
الصغرى تائقس من حيث الرقة أجمل أنواع الحرير (٢١٨) ، وتسمح في
أواخر العصور الوسطى بشهرة عالمية ، وبدأ الناس يتقنون بنوع خاص
جودة شعر الماعز (٢١٩) . وفي عام ١٤٧١ ، في بداية التمسار
الذى أولفه غنى مسواحل آسيا الصغرى أمير البحر المسمى بييرو
مونتيسيجو Pietro Mocenigo ، وجد اليهود بعضاً من هذه الشيلات
المصنوعة من شعر الماعز في حوايت ميناء باساجيو Passagio (٢٢٠) .
إلا أن صناعة هذا النوع من الشيلات لم تكن مكرمة في آسيا الصغرى
وحدها ، فقد كان يصنع منها في حلب ، وكردستان ، وسرت

(٢١٤) Franco Michel, II, 29-34 , Marco Polo, 46-48, II, 204.

(٢١٥) Amari, Musulmani di Sicilia, III, 692 , Yule, Marco Pol
I, 249.

(٢١٦) M. Yule (Textileum antiquorum, I, 181).

(٢١٧) Marco Polo, p. 266 et s., 2:3; Le missionnaire Marignola
(p. 109).

(٢١٨) Barbieri, Viaggio in Persia, p. 28, b.

(٢١٩) Chahab-eddin, p. 235.

(٢٢٠) Paul, p. 38, b.

(٢٢١) Copia, Le

Sert (Saint) (٢٢١) • وهكذا في الأجمال كان صانعو التسملات في آسيا يستخدمون وير الجمال في الشرق ، وشعر الظاهر في الغرب • وكان هناك تسملات حريرية تبيع أيضا في آسيا ولكن ليس هناك ما يثبت ذلك • ويعتقد السيد جوي M Goy أن أسد لم يستعمل هذه المادة إلا في المغرب ، ولم يلجأ أحد إلى هذه الطريقة إلا بسبب ندرة شعر الظاهر بغير ثمنه في الشرق • وتذكر المصادر كثيرا تسملات الحرير (٢٢٢) ، ولا يجوز الخلط بينها وبين ال Camellus (٢٢٣) ، فهي بالتأكيد أقمشة صوفية.

ولا كانت هاتان السلعتان من أصول غربي ، فليس هنا مجال للاهتمام بالمرحى ، ولقد أدى إلى الشرق • ففي آسيا الصغرى كانت بروسة (بورصة) مركزا لصناعة القشة (٢٢٤) • وفي إيلس Lazare هازمت الجالية الهندية الفراعنة في الصناعة • وفي مسوريا ، ذكرنا حلب التي يصنع بها أيضا القشة أخرى ، ولكن طرابلس كانت متخصصة في صناعة التسملات (٢٢٥) • إلا أن جزيرة قبرص كانت هي البلد الذي يستحق أن يوصف دون غيره بأنه مركز صناعة التسملات (٢٢٦) ، ففيها فاما جوستا ونيقوسيا اللتان تشتهان أكثر مما تشته باقي أمصار الجزيرة (٢٢٧) • وتصدر جزيرة قبرص تسملات ، حتى إلى آسيا الصغرى (متتالية) ، ومصر وسوريا (٢٢٨) • ونعرف من المصادر أسماء موانئ الشرق الأدنى التي يسكن الحصول منها على كل نوع من الأنسجة شوية المصدر ، ويمكن القول بأن أي من هذه الأنواع لم يكن مرسولا في عدد

- Ghiatle, p. 302 (cf. p. 314) , Barbano, l.c. (٢٢١)
 Goy, Glon, I, 382 , Michel, II, 42 , Douet d'Arny, Comptes (٢٢٢)
 de l'argenterie. 1ère série, p. xxvii , Bourquelot, Folios de Cham-
 pagne, I, 280 , Chénier, Joque Coez, I, 277.
 Goy Glon, p. 281 et s. , Michel, II, 50 , Bourquelot, l.c., (٢٢٣)
 p. 282 et s. , Boileau, Livre des métiers, éd. Dopping, p. 138, 382,
 Romanin, II, 313 , Perzli, l.c. p. 361 , Del Giudice, Cod. dipl. di
 Carlo d'Angio, II, 2.
 Hoff, p. 382. (٢٢٤)
 Paul, p. 60, b. , Doc. sulle relaz. touc., p. 289 , Bonsigl, Stori. (٢٢٥)
 Pis., III, 104 Michel, II, 176, 240-401, Burchardus, éd. Lezrenol,
 p. 26 Goy, Glon, I, 284.
 Paul, p. 58, b. Ghiatle p. 234 ; Tafur, p. 23 , Mas Latrie, (٢٢٦)
 Hist. de Chypre, II, 448, 451 , III, 497, 525 , Michel, II, 44
 Bibliothèque de l'école des chartes, 6 série, I, 248.
 Mas Latrie, III, 244, 437, 535, 775, 777 ; Gumpenberg, (٢٢٧)
 p. 244 , Machaires (dans la Bibliothèque de Sathas) p. 258.
 Pflügl, p. 352, 716 , Mas Latrie, III, 75. (٢٢٨)

من الأسواق بقدر ما كان يوجد بها من كمالات ، ذكر من هذه الأسواق
أربصا في مسودها ، وأثبي في آسب الصفري ، وواحدا في مصر
في الاسكندرية) ، وواحدا في الامبراطورية البيزنطية (القسطنطينية) ،
بالإضافة الى اثنين آخرين بعيدين عن البحر ، هما طورس ودمشق (٢٢٩) :

كان هناك أيضا أنواع أخرى من الأقمشة لم يذكرها المؤلفون كثيرا .
وما قيل بعاليه ثمن المسوجات الحريرية ينطبق بالمثل على مسائر
الأقمشة . فكانت أوروبا تتردد بحاجة الى قدر الامكان من الأسواق
الآسيوية الغربية منها في البحر المتوسط ، ولا تلجأ لغيرها الا عند
الضرورة . الا ان هذه الأسواق نفسها كانت تتردد أيضا من الصين ،
والهند ، وبارس ، والمعروف على سبيل المثال ان اليهود يصنعون في
البحال وكبائ من القطن الحبل أقمشة بالغة الجودة (٢٣٠) ، تجد قبولا
كثيرا لدى العرب ، والعرب ، والصري ، وقصد اليهم الهند في السعي
بجهد كغيره من هذه الأقمشة ، اما على طريق عدن ومكة ، أو على طريق
هرمز (٢٣١) . فهل لنا ان نسلم بأنه لا يصل منها شيء الى أوروبا ؟
لم نحذ الى الآن ولا عن الأقمشة الخاصة ببلابسي ، الا ان البسط ،
أو السجاجيد والغطاءات الشرقية لم تكن شهيرتها في
المصور الوسطى تقل عن شهرتها في الوقت الحاضر . وكلمة
tagli (topeto) شرقية الأصل ، وهي اسم حي في بغداد (Atabysa ٢٣٢) .
والأناجي Atabi بالبرية اسم قماش أبيض ، نمدل ومحط (٢٣٣)
ولما كان هذا القماش يستعمل كثير في تغطية لأرضيات في غرف
الاستقبال الفاخرة ، فقد أطلق اسمه على الأثاث نفسه الذي
يستعمله . وهي ثم صار يطلق على كل البسط ذوي تفرقة ، سواء كانت
في صوف أو حرير . وكان البيزنطيون والأرض القيصيون من آسيا
الصغرى اتركه بارعين في من صبيح البسط (٢٣٤) ، وقصدت مساجد

- Pagel, p. 11, 25, 42, 44, 49, 59, 77, 78, 79 , Ulu, p. 112. (٢٢٩)
Marco Polo, p. 45 , Cf. Yule, Marco Polo, I, 58. (٢٣٠)
Vachema, p. 181, 27, a b, 105, a , Sommaria, p. 228, c. (٢٣١)
Burban, b, 322, a, 394, a, 315, b , Enopola, p. 66; Massari, p. 28 ,
Gubruning, p. 102.
Ibn Djahiz, note par Defrémery, dans le Journ. asiat., 5 (٢٣٢)
sera, XVI, 94
Kramer, Catalogue des Orient, I, 327 : Defrémery. (٢٣٣)
Ic.
Marco Polo, p. 37 , Aboul, Géogr., II, 2, p. 134, 137, (٢٣٤)
Cepo, De P. Meccina gestis, p. 9 , 19 ; Boiss, Observations,
p. 322.

أموالهم إلى أوروبا ، ولما تقدم برحلتها على ذلك سوى الأتلي عشر يساعدا
 في القطيفة والتركية التي اشترتها في عام ١٢٩٨ الموافق لولي دي أورليانز
 Louis d'Orléans (٢٢٥) . ولا نذكر قوائم جرد الكنائس (٢٢٦) أو
 بيوت الأمراء (٢٢٧) لأنها أكثر من البسط الواردة من وراء البحار ،
 دون ذكر لمصدرها .

واستمر التيسار الذي كان يجنب المستوجبات الشرقية إلى الغرب
 شيئا طوال العصور الوسطى كلها . غير أنه كان يوجد تيار واضح كل
 الموضوع في الاتجاه العكس . فكان صوف الخراف الوافر امتار بسوق خاص
 في إنجلترا يروود أوروبا بإمداده الأولية لصناعه كاملة لا تحتاج إلى طلبها
 من الخارج . وكان صامس الأصواف الأوروبية يتجرى منها أكثر مما
 يكفي لوفاته بكل حاجات بلادهم ، ويصدر الباقي إلى الشرق . وكانت
 أصواف إنجلترا ، والفلاندر ، وفرنسا ، وإيطاليا ترد بكمية إلى
 البندقية (٢٢٨) ، ومنها تنحى في السفن التجارية التي تبحر إلى موانئ
 الشرق الأدنى . وفي حوالي عام ١٤٢٠ كان العوزسيون الذين بيع عنهم
 في تجهيز الصوف وصباغته درجة متقدمة جدا في الكمال (٢٢٩) ،
 يدعمون وحدهم للسفن البندقية ١٦٠٠٠ قطعة من الصوف في السنة ؛
 وتصرف كل هذا في مصر ، وسوريا ، واليونان ، والنوبة ، وكابنديا ،
 ورودس ، وقبرص ، الخ (٢٣٠) . وكانت البحرية التجارية الجنوبية
 تشمل أيضا تصدير أصواف الغرب ، ولو على نطاق أقل . فاصواف
 شالون ، ودوي ، وبروغاسي تصدر عن طريق جنوا ، ومنها ، مع أصواف
 ليارديا إلى بلاد الروم ، وبنطس (٢٣١) . ولم يكن ساجو لاجنوك
 ومطالونيا في حاجة إلى برسلوا أصوافهم إلى جهات بعيدة ، إذ كانوا
 يجهزون بها إلى بحارة موبيلية ، ونابولي ، وبرشلونة . وكانت هذه

Labrado, Les durs de Bourgogne, III, 165. (٢٢٥)

Arch. stor. rom. 1833, p. 95 ; Beck, Lébung. Gewänder, III, (٢٢٦)
 ١٨١.

Francisque Michel, L.c., II, 146 ; Duculnarg de Charles V, (٢٢٧)
 p. 344-348, 355 et s., 362 ; Mon. Hung. hi I., Acta extera, I, 238.
 (٢٢٨) تنظيم الجمارك عام ١٣٦٤ .

Conti, Scena di un Commercio negli archivi di Venezia
 (1934), p. 172 et ss. ; dans Romania, II, 373, not., Thernia. Copilular
 des deutschen Haime in Venedig, p. 294 ; Umanu, (p. 196)

(٢٢٩) كانت الشحنات الشرقية الكبيرة تحمل ميلا شديدا إلى الاصواف الأجنبيات
 اللون .

Romania, IV 94 et s. Roumont, Lorenzo de Medici, I, 96 (٢٣١)
 et s.

Statut de Grèce de 1301 ; Mueçell. el alor ilal., XI, 798. (٢٣١)

الحركة التجارية مشيطة للغاية حتى ان ثمة أسواقا متوسطة الأهمية ، كاسواق الطولوجو وستالية كانت تزود بالاصواف الأوروبية (٢٤٢) . وكاتب هذه السلسلة من باب أول موقرة في الاسواق من اسدرة الأولى ، كاسواق القسطنطينية وبيرا ، ونا ، والإسكندرية (٢٤٣) ، ومن هناك تنصرف الى وسط آسيا (٢٤٤) . وفارس (٢٤٥) ، والهند (٢٤٦) . وهي القاهرة كان تجار الاصواف انيرية يشتغلون سوقا خاصة . وكان الحدود ليسون مطلقا في الحوج . يسمى حوج البندقية ، لأن البادقة هم الذين يصدرونه الى مصر (٢٤٧) . ويسعد أنهم يستوردون الى مصر كتان رئيسي الذي كان ساء مصر يجلبون الزنكاه (٢٤٨) .

والحقيقة ان المسوجات الصوفية في الغرب لم تكن الوحيدة التي لها حظوة في البلاد الشرقية . فالكتانة الكتانية ، وبخاصة المسوجة في رئيسي كانت مطلوبة بها بكثرة . وبعد معركة تيغودوليس Nicopolis طرح سؤا في مجلس ملك فرنسا بشأن الهدايا التي يمكن تقديمها لباريد ليطلق سراح الاسرى . ثمة فارس بيكاري يدعي حاك دو حيداي ، يعمل في خدمة الترك لرم طويز ، تصح بعدم تسليم السبيج الكنسي الأبيض الجميل المصنوع في رئيسي . والتفعل سم الى الهدايا قطع كثيرة من هذا السبيج . كذلك قدم جن حالمس فيسكوتشي . دوي ميلانو للسلطان هدية من هذا المصنف (٢٤٩) . ولم يكن لهذا النوع حظ في الشرق . واما لجد بج المصنع الموجودة في اسواق القسطنطينية ، وعالماسوتا أمثلة كتانية من شلماني . ليس بها إشارة الى مصدرها ، وأخيرة كتانية من رئيسي ، وعوايز ، الخ (٢٥٠) ولكن الغرب ، ثيل نهاية العصور الوسطى لم يكن يقع بالدور السلي ، دور المستهلك .

Voy. I, 642, 649.

(٢٤٢)

Pegol, p. 19 et s., 65, 74 , Mas Latrie, III, 738, 774 et ss. ;

(٢٤٣)

Frescobaldi, p. 10 , Pilati, p. 338, 373 et ss., Arch. de l'Éc. lat., I, 560.

Le Dictionnaire cynonon, p. 107 et s. , Miscell. ri stor. Ital., VII, 440 et s.

(٢٤٤)

Pilati, p. 378 , Ramus, I, 120, s.

(٢٤٥)

Pegol, p. 8; , Ghiselen, p. 311.

(٢٤٦)

Silv. de Sazy Chrysomallide arabe, I, 87 et s. , II, 88 ;

(٢٤٧)

Droz, Dict. des noms des vêtements chez les Arabes, p. 27 et ss. ; Makrizi, Hist. des sult. mam., I, p. 332 , II, I, p. 81 , Ibn al Ahr, dans le Rec. des hist. des croiz., p. 480.

Frescobaldi, p. 45.

(٢٤٨)

Frescobaldi, œuvres éd. Kozlov de Leningrad, XV, 234, 337 339.

(٢٤٩)

Pegol, p. 10 , Mas Latrie, Hist. du Chypre, II, 774 et ss.

(٢٥٠)

حتى هي صناعة الحرير - فقد وأبنا من قبل ، أن عمليات صناعة الحرير في صقلية قد انتقلت إليها في فترة مبكرة من استيعاب الـ الصقليين ، ومن تلقى الايطاليون بنوعهم في موطنهم الأصل مساهم في صقلية * وهل تعلموا هذه الصناعة في الساساني السوربي في الولايات التي اسمها الصليبيون ؟ وهل وجدوا هناك عمليات سي بعضها ، يرجع بقايتها إلى أواخر العصور القديمة ؟ من الصعب الإجابة عن ذلك - من أية حال كانت هذه الصناعة مزدهرة في القرن الثالث عشر في إيطاليا ، وخاصة في لوكا (٢٥١) ، فقد كان مساحو هذه المدينة يقدون كل القشة الشرق التي عودتها ليها مسبق ، ولم يلبثوا أن بلغوا فيها درجة كبيرة من الاتقان ، فلم يكن نسبة تمثيل لا يمكن الحصول عليه في لوكا ، كما يمكن الحصول عليه في يرد أو دمشق (٢٥٢) * وكانت مسوجات لوكا الحريرية قد عرفت أولا في إيطاليا ، ثم انتشرت سريعا خارجها ، في أسواق شامباني ، وباريس ، ولندن ، وبروج (٢٥٣) * وترجع شسلة التحولات نساج الحرير في فلورنسا ، والبندقية ، وجوا (٢٥٤) إلى سواحل البحر الذي بدأ فيه اتحاد مساحي الحرير في لوكا ، إلا أن صناع الحرير في هذه المدن الثلاث أمضوا، وما طويلا لم يبلغوا فيه درجة البراعة التي بلغها وملازمهم في لوكا * وقد اكتسبوا التقدم في مدينة لوكا نفسها * وفي عام ١٣٠٠ بدأت الاضطرابات السياسية تحت عمال مصانع الحرير عن الدهر - فقد تنازع السلطة لحرب رديكالية ، ودبح كاستروتلسيو ديبي انسيميلي (١٣١٦ - ١٣٢٨) في إقامة نظام عسكري ، نفى عنه من الأمر ، وأمر أخرى هاجرت حشية أن يصبها هذا المصير ، واستقرت في فلورنسا ، والبندقية ، ومدن أخرى (٢٥٥) * ونتيجة لهذه الهجرة انتشر في إيطاليا

-
- Bino, I. *L'archet in Venezia* (Lucca, 1853- 1856 Tirage 4 par. (٢٥١)
 att. de l'académie de Lucca, XV XVII, 1ère partie. p. 40 et ss.
 Bini, I. 84 , *Miss Ladrle*, *Miss de Chypre*, II, 247 , Leborde, (٢٥٢)
 Le ducs de Bourgogne. I. 189, 274 Gay Chon, I, 136 Bini, I, c. ,
 Doul d'Arce, *Comptes de l'organoir*, I, xxvii , Gay, I, c. p. 267 ,
 Bini, I, c. , *Emacique Michel*, II, 217 et s. , *Ibid.* t. 264 , Douz
 d'Arce, II, 2, 4, 9, 16, 17 et s. Bourqueles, *Parce de Champagne*, p. 328,
 Michel, I, 211 , Compagny, II, app. , p. 78 , Gay, I, c. p. 266 et s.
 Bini, I, 134 et ss. , 128 et ss. , Bourqueles, *Polres*, I, 189 ; D (٢٥٣)
 I. xxix et s.
 Franck Michel, I, 87 et s. , Pagnini, *Delta-decina*, II 106 (٢٥٤)
 et ss. Pertusi, *Storia del commercio e dei banchieri di Firenze*,
 p. 26, 66 ; *Atti della Soc. Lig.*, IV, 167, 168 et s.
Inventario nel r. archivio di stato in Lucca, II, 246 et s. ; (٢٥٥)
Ibid. I, 187 et ss.

من التقليد ايام واقعة الشرق . وفي اواخر القرون الوسطى ، كانت فلورنسا في المرتبة الأولى في صناعة الحرير ، وكما صناعته النسيج ويقول بيديتو ديي Benedetto Dei الذي لا تنوته فرصة لتعاين بوضعه أنها هي الوحيدة التي تسج من المسوجات الحريرية في مصانعها الثلاثة والتاسع أكثر مما تتجه البندقية ، وجنوا ، ولوكا مجتمعة (٢٥٦) .

كذلك قلده السباحون الفرنسيون بجنات المسوجات الشرقية ، وبخاصة السجاجة (٢٥٧) ، وفي بداية القرن الرابع عشر كان في باريس مصانع البروكار (الدبياج) المذهب (٢٥٨) . ومنذ أواخر القرن الثالث عشر بدأ عمل القديسة اتحاد في مصانع الاكياس (الصرر) الحريرية المقصية ، على النمط العربي ، وكان المعتاد حملها على الحرام (٢٥٩) .

غير أن لويس الحادي عشر هو الذي أعطى صناعة الحرير في فرنسا دفعة حاسمة حين دعا إلى تور عمالا إيطاليين ويونانيين (١٤٨٠) ليسكن بها مصمما .

ومنذ آن أصبح الغرب ينتج بنفسه منسوجات حريرية ، كان لابد أن تقل الواردات الشرقية ، ولكن تدفق الأقمشة العربية كان قد تفضل في العادات العربية ، فلم تكف التجاره عن الاشتغال بها وتصريفها ولسوء الحظ معوردا الأرقام التي تعرضا بحجم الأثمان التي تزد في هذا النوع . ويحسنا على أية حال أن نعرف أنه حدث في القرن الخامس عشر ثورة في تجارة الحرير فكانت البندقية ترسل إلى مصر منتجات حريرية ، وماديل من الحرير المقصب بالمذهب (٢٦٠) ، وتصدر فلورنسا منسوجات حريرية إلى دمشق ، والإسكندرية ، وتركيا (٢٦١) . وكان البرتغاليون ، يحدون في أسواق قاليقوت أقمشة حريرية مقصية بالمذهب من لوكا (٢٦٢) . ويمرور الرمن تقدمت صناعة الحرير حتى لم يعد الغرب يتردد في عرض منتجاته للبيع في أسواق الشرق ، حتى في الأماكن التي دأب صحتها في هذا المجال ، ونذكر على سبيل المثال أنه حين أحد تجدد لك معه بساحي الحرير في دمشق ، كانت المملوكية هي التي وودت سوق هذه المدينة منتجاتها الخاصة (٢٦٣) .

Ben Dei, dans Pagnoul, II, 240, 275.

(٢٥٦)

Daout d'Arc, Comptes de Fargenterie, p. xxv.

(٢٥٧)

Viellet le Duc, Dictionnaire du meubler, I, 270.

(٢٥٨)

Boffesa, Règlement ad Decolor, p. lxxi, 103, 362 et s.

(٢٥٩)

Bilodé, p. p. 288, 374.

(٢٦٠)

Paul, p. 172, n. 164, b, Del, Lc., p. 275.

(٢٦١)

Sernigi, dans Ramusio, I, 120, a.

(٢٦٢)

Gumpenberg, p. 242, et Clavijo, p. 100.

(٢٦٣)

الرجاج

كانت صناعة الرجاج في الغرب طوال العصور الوسطى قاصرة في كل الأثناء على الرجاج البسيط ، الأصغر أو اللؤلؤ ، وإستثناء من ذلك ، كان هناك في بعض الأحيان صناعة قيمة الطابع كصناعة فيسيفساء الرجاج ، أو القصبي من الرجاج المنحوب ، أو الخشن ، أو الخليل باليد (٢٦٤) ، وكان اليدقة متفاوتة في هذا المجال ، إذ عملوا من اعمدة النوبانية صناعة الفسيفساء بوع خاص ، ومن سكان مصر وسوريا الذين اتصلوا بهم كثيرًا في أعقاب الحروب الصليبية (٢٦٥) . ومسحت لنا الفرصة من قبل للكلام عن يهود صوم الذين كانوا يراولون بالوراة صناعة الرجاج وسط المستوطنة السدنة بهذه امنتجة (٢٦٦) ، ويؤمنون تقاليد صناعتهم هذه في الشرق ، ولعلمهم وصلوا الى البشنية حيث أسهموا في تقدم هذه الصناعة . ومع ذلك كانت منتجات الشرق في العرة التي لمزجها تتمتع دائمًا بشهرة لا شك وبها ، ومن هنا وردت المصوغات الزجاجية البديعة . ذات الأشكال الأكثرية النوع التي كان أثرياء الغرب يحبون برين بونهم بها . ويتنصص قوائم حرد ذلك العصر . نجد فيها تمثالًا للأنداح والقوارير ، والأطواق الزجاجية الملونة ، أو المحرفة وعلى السطح المشعشع (٢٦٧) . ولواقع أن صناعة الرجاج كانت مزدهرة بوع خاص في هذه المندبة (٢٦٨) . وفي القاهرة هناك أسواق تترود بانتظام بالمصوغات الزجاجية الفاحرة (٢٦٩) . ولم يمت تمويلك أن يأخذ صناع الرجاج صمم الصناعات الذين أتدعهم من دمشق وتلقهم الى مرقه في سمرقند (٢٧٠) وهذا التسرع في الصناعة كان يلقى بالمثل رعاية في حبرون ، Hittin ، ويشتج بها تشكيلة كبيرة من الأثناء المحسلة (٢٧١) ، ولكن لم أحد في أي عصر أترا تسلم واردة الى الغرب

Loburia Histoire des arts industriels au moyen âge, IV : 11 (٢٦٤)
et 28.

M. Ry dans la partie historique de l'ouvrage de M. Lohr (٢٦٥)
Mayer Glyptothek Iria (Stuttgart 1894), et dans ce Blätter für Kunst-
geschichte (I, 1892, p. 25 et 26, 26 et 28).

Vol. I, p. 190. (٢٦٦)

Loburia IV, 540 Inventaire du mobilier de Charles V. (٢٦٧)
p. 246 et 28.

Giaci, p. 4938. (٢٦٨)

Siren Siméonis, p. 43. (٢٦٩)

Clavijo, p. 156. (٢٧٠)

Freuchbold, p. 28 , M. Ry, dans Teich, p. 30 , Nieb. de
Poggendorf, I 247. (٢٧١)

من هذه الجهة * وأخيرا ، كان رجاء العراق يحظى في الشرق بشهرة كبيرة . فكان يصنع نوع خاص من القدسية ، وهي بلعة قربية من مدينة سامراء الواقعة على نهر دجلة شمال بغداد (٢٧٢) ، وكانت منتجات هذا المصنع منتشرة في بلاد مدمعة في آسيا (٢٧٣) * ويحدث في بعض الوثائق الآشورية ذكرا لأشياء من رجاء أو ألوان ، وكثوس ، مكتوبة بالعمت *irake* أو *iraga* وفي حد برهان واسع على أن رجاء العراق وصل إلى إسبانيا (٢٧٤) *

وقد يحظر على البائل أن الغرب لم يكن به سلعة من هذا النوع يقسمها إلى الشرق ولكن هذا غير صحيح ، فقد كان لصناع الرجاء الساذقة تخصصا في هذه الصناعة ، ويحدثون لمصنوعاتهم ربائل في الشرق ، تلك هي المرز الزجاجية المونة ، والجواهر القلعة * وقد أجرى دومينكو بيوني في البصرة صفقات تجارية رابحة ببيع هذه الأشياء (القلعة) (٢٧٥) * وفي عام ١٢٣٣ قبل الميلاد دي سافيلوني معه خمسة ربيعة إلى القسطنطينية من الـ *Jacalia de cristallo* (٢٧٦) *

Edrisi II, 148 , Aboulf., Géogr., II, 2, p. 72.

(٢٧٢)

Edrisi II, 148 , Aboulf., Géogr., II, 2, p. 72.

(٢٧٣)

Ibn Balouta, II, 283 , III, 8, 11.

(٢٧٤)

Bong et Engelmann, Gloss., p. 387 et s.

(٢٧٥)

Venez., 268, p. 140, 189.

(٢٧٦)

Marin, V, 261.

الملحق رقم ٢

عملاء تجارة الشرق الأدنى

على مدى حواسنا لتاريخ التجارة في الشرق الأدنى ، لم يشتم بغير شعوب أوروبا التي أسهمت اسهاما فعالا في هذه التجارة ، ولذا سوف نقول في الختام طبع كلمات بشأن أولئك الذين أنشأوا في عهد امحال دورا مسلما ، ولتقتصر في ذلك على بعض معلومات عامة ، دون أن نتعمق في هذا الموضوع ؛ ذلك لأن الأسباب فيه يفسى الخروج من إطار بحث هذا ، وهو كتابه تاريخ علم للتجارة في العصور الوسطى ، فأول كل شيء ، وعلى سبيل الايجاز ، أن ندع جانبنا الدراسة الخاصة بإيطاليا والحرر التابعة لها ، من وجهة النظر التي ننحسها ، كانت إيطاليا مكفية بمذاتها ، بل وكانت بعض المدن الداخلية ، مثل فيورنسا ، ولوكا ، وبييراس لمافس الموانئ التجارية الكبرى ، وفي وضع مؤلف آخر لي يكتب تاريخ الحركة التجارية الداخلية في إيطاليا ، فيحيطنا علماء بالراكر التي يتلمى منها باقي أسماء البلد في منس وإقليم منتجات الشرق ، والطرق للتسعة ، ووسائل النقل المستعملة ، وعلى الياسة كانت التجارة كلها في أيدي الإيطاليين أنفسهم ، وبخاصة من صقلية ومردينيا ، فانها مازالت كانت تاعتز من الوجهة السياسية كبيت أراخون ، فمنا من الوجهة التجارية في فلك برشلونة ، ونزل الحدوديون فيهما إلى المرتبة الثانية ، ومع ذلك كانت ميسيا تتمتع بامتياز استثنائي ، فيفضل موقعها في موضع تمر به الحركة التجارية كلها ، أصبحت بمثابة ملتقى لتجارة العالم كله ،

وكان بحارة إقاليم إيطاليا العربية ، البروفانسيون ، والقطالوبيون يلقون
مراسيهم بها ، ويتركون ثمة بعض من التوابل التي يحصرونها فكانت
مستوفى لذلك مزودة بها بقدر كبير على الشوام (١) .

فرنسا

أشرفا فيما سبق إلى الدور الفعال الذي أدّاه في تجارة الشرق الأدنى
فرنسيو الجنوب (البروفانسيون) ، وبخاصة أمّال ماريون ، موبيليه ،
ومرسيليا ، فليس من المستغرب إذن أن نجد في القانون الأساسي لمرسيليا
لعام ١٢٢٨ ، وكذا مجموعة قوانين موبيليه المسماة *Petit Thalamus*
ومواثيق غاريون ، السلع العديد من الفترات التي تمتدّحت في التوابل ،
ومواد الصباغة ، والمطبوخ الشرقية (٢) . وقد أشرفا أيضا إلى الريادات
التواصلية التي يقوم بها التجار الإيطاليون ، وأغلبهم من بيراجوجيو إلى
أسواق جنوب فرنسا ، والتمنّيات التي ألقوها في المدن التجارية بهذا
الإقليم . فلقد أمّهم هؤلاء الأجانب بقدر كبير في استيراد منتجات الشرق
إلى مدن جنوبي فرنسا . ففي عام ١٢٤٨ على سبيل المثال اشترك عدد
من كبار تجار جنوا في تجهيز ثلاث سفن كبيرة تحمل إلى أبج مورت ،
وسان دييل ، وموبيليه كميات كبيرة من اللؤلؤ ، بالإضافة إلى سلع
أخرى (٣) . وفي عام ١٣٠١ شحن وكلاء الشركات الكبيرة في بولسايس
من إيبس *Lejazzo* توابل وسلعا أخرى من مملكت الشرق الأدنى ،
وصدروها مباشرة إلى مرسيليا وأبج مورت (٤) وفي البندقية هناك
تجار يشترون سلعا من كل نوع وتزده من الشرق الأدنى ، وبلاد الروم ،
واسكلافونيا *Esclavonie* ويمتدّون صديريها إلى بولسايس ،
ومرسيليا ، وموبيليه ، وأبج مورت ، وجهات أخرى ، ويسترون في مقابل
ذلك أموالا الملاهر . وإذ رغب « المجلس الكبير » في تشجيع تلك

Miscelanea di storia liak, x, 34 et 35, 76 et 8. (١)

Méry et Guindon, I, 347 et ss. , Le Tarif des péages du comté de Provence au milieu du XIII^e siècle, dans le supplément à la *Revue de Cartulaire de Saint-Victor de Marseille*, I, 187 et ss. , *Petit Thalamus de Montpellier*, p. 235, 237, 238, 240, 242, 243. (٢)
Port, Essai sur l'histoire du commerce maritime de Narbonne, p. 60 et s. (٣)

Canale, Nuova storia di Genova, II, 428. (٤)

Deneaud, Comm. o. navg. dei Genovesi, p. 137, 142. (٥)

البجارية فانه منح هؤلاء التجار مخصصا في الرسوم الجمركية (١٣ من ديسمبر ١٢٧٣) (٥) .

ومع ان اقاليم وسط فرنسا وشمالها كانت محرومة من الاتصالات مباشرة بالشرق عن طريق البحر ، فانها كانت مع ذلك تتلقى منتجاتها ، وذلك بفضل أسواق شامباني (٦) ، وترجع هذه الأسواق الى عصر قديم ، إذ كانت فيه أسواقا تتنقل بالتناوب بين أربع مدن في اقاليم ، تروي ، وبروغانس ، ولايني - سور - مارن - مسور - لوپ ، وكانت الممرات الأكثر ازدهارا لهذه الأسواق توافق القربى الثاني عشر والثالث عشر . ولذا كان البروفانسيسيون ، والايطاليون ، والاسبان من جهة ، وفرسيو النسمال ، والامجليير ، والفلمنريون من جهة أخرى يتنقلون في هذات الأسواق ، ويأتى اليها أيضا أناس من عكا ، كما رأينا من قبل . ومن جهة النظر الخاصة بمراسمتها هذه ، يهتأ من الأجانب الذين كانوا يترددون على هذه الأسواق ، أولا الايطاليون ، ثم فرسيو الجنوب لأنهم هم الذين يحملون اليها التوابل ومئات منتجات الشرق الأدنى .

وفي عام ١٢٠٩ أكد فيليب أغسطس ملك فرنسا رسميا حمايته الايطاليين الذين يأتون الى أسواق شامباني (٧) ، وكذلك منح كثير من حلفائه الايطاليين مزايا خاصة (٨) ، وذكروا منهم يوحنا خايس مواطني فلورنسا ، ولوكا وميلانو ، وجنوا ، والسدنية (٩) . ولكن لابد ، كملة لهذه القائمة من أن يضاف الى اسمي فلورنسا (١٠) ولوكا (١١) ، اسماء مسينا (١٢) ، وبيسنويا Pisinio ، وللى اسم ميلانو اسماء بيريانس (١٣) ، وكريسمونة ، وأستى Asti ، ثم روما ، وأوربينو

Coll. des doc. inéd., Mss. hist. II (1880), p. 35 et s. (٥)

M. Sourquailot ; Etudes sur les foires de Champagne. (٦)

Dell la, Catalogue des actes de Philippe Auguste, p. 272. (٧)

Ordonnances des rois de France, I, 328 et s., 584 et s., 781 et s., II, 300 et s., 305 et s., VII, 126 et s. (٨)

Collection des doc. inéd., I, p. 26, 19 et s., 61, not. ; Ctr I, 7 et s., 35 et s., 42 et s., 112. (٩)

Documents des années 1278, 1294-1298, 1280, 1293, 1294, (١٠)

Compilato per M. Barti dans le Giornale storico degli archivisti bonari, I, 347 et s., Coll. des doc. inéd., I, p. 35

Bini, I Larchesi a Venezia, p. 118 et s. ; Bonai, Della mercatura del Luchesi nel secolo XIII, p. 66 et s. (١١)

la Scelta di notizie letterarie, disp. 118 (1871). (١٢)

Giorn. degli arch. bonari, I, 247, 251 , Coll. des doc. inéd., I, p. 18. (١٣)

Urbino . ويمكن التأكيد ، دون حشوية الوقوع في خطأ ما يشك هناك
 باعثنين إسماعيليين جديا إلى أسواق شامباي كلا من التمسكانيين والومبارديين
 أولهما أن صفقات عديدة في تجارة الأصواف، كانت تنقد هناك لأسواق .
 وثانيهما أن الأسهم الكثير للأشخاص القادمين من كل البلاد ، وجمع
 منهم في تلك الأسواق يتيح الفرصة لأداء أعمال مصرفية . ومع ذلك
 كانت هناك امتناعات يدعي الاشتراء فيها فقد تشير أن بعض تجار
 سيبيا يبيعون بها فلغلا ورجيلا ، وشيئا من بلاد الروم (١٤) . ووجه
 عام كان من بين الإيطاليين الذين يترددون على هذه الأسواق ، أفراء من
 طائفة الريفالي (أو المطارين) (١٥) . وكل أولئك على ما يبدو من
 الجديوي أو البادية . أما الحويون فيبدو أنهم ذكروا ضمن أمثلة أوردتها
 السيد كاديه M. Canale ، وذكر أنهم يشتعلون غالبا بأعمال
 مصرفية (١٦) .

ولقد عاين إلى أسواق شامباي ، كان الإيطاليون يضطرون إلى عبور
 البحر أو احتياز حبال الألب (١٧) . ومع ذلك ، فإنهم إذ يعبرون إلى
 الأسواق بأعداد كبيرة ، كان أهالي جنوب فرنسا الذين لم يكن عليهم
 أن يتغلبوا على هذه الصعوبات يأتون إلى هناك في أعداد أكبر . وكان
 اندفاع عن مصالحهم مهورا به إلى « قطان » Capitanes بمسح مديته
 موسيليه . أهم مدن المنطقة ، ويمثل في الوقت نفسه لاجندوك
 كليا (١٨) ، وبماس هولا، التجار ، مثلهم مثل سائر الإيطاليين حركة
 تجارية بحرية مع الشرق الأدنى ، ومن ثم يحضرون إلى السوق السلف
 نفسها

وفي بداية العصور الوسطى لم يكن أي من شامباي أو لاجندوك
 يتبع مباشرة ملوك فرنسا إذ كانت هوسيليه وهي أكبر مدينة تجارية
 في جنوب فرنسا يحكمها أمراء إسبان . ومن ثم كان من أماني ملوك
 فرنسا أن يشتلوا مركزا تجاريا كبيرا في ولاياتهم الخاصة ، وهذا أمر
 طبيعي . فقد اختار فيليب الحبيب (١٢٧٨) لهذا الغرض مدينة « سم

Scolla, cit., p. 18 et ss., 44, 50 et s. (١٤)

Orléans, I, 610 et ss. (Privilege accordé par Philippe V en 1317). (١٥)

Canale, Nuova storia di Genova, II, 627 et ss., 627-632. (١٦)

Ibid. II, 579 , III, 323 et ss. ; Pignatelli, Histoire du commerce de la France, I, 103. (١٧)

Germain, Hist. du commerce de Montpellier, I, 231-234, 236 et s., 272, 276, 307-325 , II, 20, 37, 89 et ss. (١٨)

Nimis ، ولكن يجتهد الإيطاليين المقيمين عند زمر بعيد في جنوب فرنسا ، وفي مودينييه لم تكن ثمة امتيازات لم يتمتع بها إياهم (١٩) ، وليس الجميع دعوتهم ، وما لبث « نيم » أن أصبحت آهلة بحاليات تجارية (إيطالية ، فكان لروما ، وجنوا (٢٠) ، والسدقية ، رينيرس ، ولوكا وبولوني ، ويستويا ، وآستي ، وألبى ، وفورنسا ، وسيفيا ، وميلانو قدامهم في « سم » ، غير أن الحاليات كلها كانت متجمعة تحت رئاسة وليس واحد يحمل لقب Capitaneus universitatis Tuscanorum et Lombardorum (٢١) .

ولمعرفة جبركية كانت بالضرورة جبراً لا يجرأ في الرأي الموعود بها ، غير أن هذه التعريفة لا تذكر أية سلطة يمكن القول بأنها واردة منها في الشرق ، مثال ذلك التسميات التي رأينا قلا أنها تصح أيضاً في الغرب . ومع ذلك فليس من شك أنه منذ أن قدم الإيطاليون إلى « نيم » واستقروا بها أصبحت « نيم » سوقاً لمنتجات الشرق ، فلهذا المنتجات كانت عند بريموسا في أيج مورت تخزن في مستودعات ، ثم يرسل جبر عنها إلى أسواق شامباني عن طريق لهرى الرئيس والسبي (٢٢) . وجره آخر يسوق عليه التجار الذي يقدون الملاحه في بحر الثوار وراجه . وكانت « لورديان » ، المركز الرئيسي للمنطقة حل صلات تجارية « بباريس » (٢٣) .

كانت هذه الطرق كلها تنتهي كما قلت إلى قلب فرنسا الذي ينزود هكذا بوفرة من منتجات الشرق . وفي الوثائق التي امتلئ بها السيد بوركيو M. Bourgeoislot هذه كتابه « تاريخ أسواق شامباني » ، قائمة طويلة من سبع الشرق الأدنى (٢٤) . وهناك ، بالإضافة إلى هذا الدليل أدلة أخرى ، من بينها ، بالسمة لباريس ، تعريفة عام ١٣٤٩ (٢٥) .

-
- Admon., IV, 680 et ss., Lib. jur., I, 1451 et ss., M. Germain, (١٩)
I. 127 et ss. Pigeonneau, L.c., p. 283 et s.
Lib. jur., I, 1539 et ss. فيما يخص بالجنوبي (٢٠)
Les documents cités ci-dessus et ceux du Glan. de gl. (٢١)
archiv. toulous., I, 107 et ss.
Bonsieure, L.c., 2^ere partie, p. 319 , 3^ere partie, par 307 (٢٢)
Municipal, Ministère de la communauté des marchands fr- (٢٣)
qu海岸 la rivière de Loire et Surme descendant en Loire (Mé-
de la soc. archéol. de l'Orléans VII, VII, LX). Cel. 1897-1899 , I, 242
et s., 476, 478 III, 80
L.c., 2^ere part., p. 185 ; cf. Pagol, p. 140 (٢٤)
Ordonnances. II, 318 et s. (٢٥)

وحسابات بلاط فرنسا القديم (٢٦) . وكذلك ال *Ménager de Paris* المشهور ، الخ .

وفي غضون القرن الرابع عشر حدث انقلاب عام في الطريق وفي الأسواق التي تشط فيها الحركة التجارية في فرنسا . فأول كل شيء أبحت الضرائب العادحة شيئاً ما التجار الذين يأتون لزيارة أسواق شامباني . ومن أخطر أسباب انحطاط هذه الأسواق هو الحرب بين فرنسا والفلاندر ، التي حظي في أعقابها لويس العاشر (الحشاش) حثراً مطلقاً على رعاياه أن ينفذوا أية صلة تجارية مع الملك (أعمال الفلاندر) (١٣١٥ - ١٣١٦) . وترى منذ تلك الآونة أن هؤلاء امتنعوا عن الحضور إلى أسواق شامباني . وأدى اختناؤهم إلى اختفاء الإيطاليين الذين يأتون لعلق صفقات معهم . واعتباراً من منتصف القرن صارت هذه الأسواق مهجورة تقريباً (٢٧) .

وفي ذاك الأول ، بدأت سمن البندلية تجتاز مضيق جبل طارق في طريقها إلى موانئ إنجلترا والفلاندر ، فكانت اسبانيا تتلقى أمراً من ترسو وهي في طريقها عند « أيج مورت » *Aiguas-Mortes* ، ولكنها كانت يوجه عام تتخذ طريقاً مستقماً ، ابتداء من سقلية أو وسط إيطاليا فتصل إلى سواحل اسبانيا ، وتتمتع الطريق بمسح عد عودتها (٢٨) . ويحتمل أن ترسو في الثواني الفرنسية المظلة على المحيط الأطلسي ، أو بحر القناري ، ولكن هذا أمر مشكوك فيه . فالواقع أنها إذا توقعت في ميناء لاروشيل ، مثلاً ، فلا يحتمل أن يأتي إلى إيطاليا ، بطريق الرصبة عشر يوماً من « نيم » ليصل إلى سوق لاروشيل ومعه قفل ، وشمع ، وشب ، وشمع أخرى (٢٩) . ثم إن لاروشيل كانت مع باريس ، وليم . وسانت أومير في لندن التي كان للإيطاليين بها مصنع دافنة وكالات لحاربة (٣٠) .

(٢٦) *Comptes de l'argenterie des roi de France au XIVe siècle*, publ. p. Douët d'Arco, I, II.

(٢٧) Bourquein, I, 120 et s., 125 et s. , II, 303, 306 et ss., 310 et s.

(٢٨) Rawdon Brown, I, p. 41, 148 et s. , II, 304 et s. , Pilsol, p. 374.

(٢٩) Pegol p. 274.

(٣٠) Ordonn, I, 465 et ss. (ann. 1315).

وحتى ذلك الحين ، كانت المدن التي تراول التجارة مع الشرق الأدنى ، مثل مونتيبييه ، وباربون تكفي تقريبا للوفاء بحاجات باقي أسواق فرنسا ، ولكن مع نهايات العصور الوسطى ، اشدت علاقاتها مع الشرق تتراسخ شيئا فشيئا ، وهناك أسباب كثيرة أدت إلى ذلك : منها تراكم الرمال في الخلجان ، والحروب المتواصلة التي قوضت رعاياها ، والسلطة الملكية التي أضعت نشاط الحياة البدوية ، وشيئا فشيئا حينئذ الحركة التجارية في جنوب فرنسا كله ، وقد بحث جاك كور Jacques Chaur نشاطا لبعض الوقت في هذه الحركة ، وهو ما اعتراها من حول ، إلا أن هذا لم يكن سوى وضعة عابرة ، كوميض الشهب ، ونتج من ذلك فراغ ، كان يفسى ملؤه (٣١) ، فتولت البنادقة هذه المهمة ، ومنذ عام ١٤٣٠ أرسل البنادقة كل سنة سفرا إلى أيج مورت ، واستمرت هذه الحركة بانتظام حتى شوب حرب حلف كمبري Cambrai (٣٢) .

وفي الداخل ، انتهت أسواق شامباني ، وحلت محلها أسواق أخرى ؛ أولها ، في القرن الرابع عشر وهي أسواق يوكير Beaucourt (الثالثة) ، والتي تشمل في آن واحد الإيطاليين ، والفرنسيين ، والبلجيكيين ، وألمانيين ، وبرنابيين ، ويولانيين ، وجرابرة ، ومصريين ، ثم اعتبارا من عام ١٤٤٤ أسواق ليون التي شملها لويس الحادي عشر برعايته وتشجيعه حتى تلاصق أسواق جنوا (٣٣) . فكان الإيطاليون يترددون بانتظام ومتابرة على هذه الأسواق ، ولا يمنعهم من الوصول إليها صعوبة اجتياز حبال الألب (٣٤) . وبفصل نشاطهم هذا في البر والبحر ، احتكروا تجارة التوابل ، وحصلوا منها على أرباح كبيرة ، الأمر الذي كان يشج حلفاء على الثروة العامة ، وقد أبدى هذه الملاحظة بعض رجال الدولة . كما قدم بيير دورويل Pierre Dorville مع آخرين تحذيرات ما لهذا الخصوص لملك لويس الحادي عشر (في عام ١٤٦٨) - ولا بد أن الملك قد اقتنع بذلك ، ومن ثم حلف استيراد التوابل بمعرفة التجار الأجانب ، وتكفلت شابة للتجار الفرنسيين بتوفير حاجات البلد ، ووضعت تحت تصرفها أربع سفن فرنسية ، وخصصت موانئ

Mas Latrie dans la Coll. des doc. inéd., Méd. hist. III, 186 (٣١)
not 1, l'Arch. Venet., XIX 62, Petit Thalamus, p. 484

Mas Latrie, l.c., p. 126-124, Sathes III, 481, Sacul. Diar., (٣٢)
II, 481, 502, 517, 528, 678, 691, 723, 732, 744; VII, 97

Ordonnances des rois de France, XIII 380 ; XV, 644 (٣٣)

Cibrario, Della economia politica del medio evo, 4a éd., (٣٤)
p. 468 et s. , Germain, Hist. du commerce de Montpellier, II, 388
et s. , Vin et Valassat, Hist. de Languedoc, éd. du Mège, VIII, 121
et s.

لأربون ، وأيج هودت لاستئصال التوابل ، ولكن في عام ١٤٧٨ أبرمت معاهدة جديدة فحلت أجواب فرنسا للساذقة دون أي تحفظ . وبعد وفاة لويس النحاتي عشر ، اجتمع مجلس طبقات الأمة في مدينة « تور » Tours (عام ١٤٨٤) وأعطى من جديد الحرية الكاملة للتجارة بالنسبة للأجانب الذين يريدون المجيء إلى فرنسا ، برا أو بحرا (٢٥) .

الأراضي المنخفضة (٢٦)

المعروف أن صناعة السبيج قد نهضت في النصف الأول من المصور الوسطى نهضة كبيرة في مدن الفلاندر وبرابانت ، واستغلخت على الأخص أصواف إنجلترا ، وهي البداية كان شراء هذه الأصواف ، وبيع أنواع النجوح المحلية يشكلان الفرعين الرئيسيين لتجارة في الأراضي المنخفضة . إلا أن التجار الإحسان لم يلتزموا أن كانوا طلبا للأصواف المحلية ، ومعهم في مقابل ذلك صنعهم الخاصة . وهكذا أصبحت الأراضي المنخفضة سوقا لتصرف تجارة العالم للعروف . وقتئذ ، غير أن ثمة مدينتين تربح المنافسة بسهما إلى مائتي يعيد ، إذ كانتا تمدان إليهما العالمية العظمى من هذه التجارة . وقد سبق أن ذكرنا اسمي « أنفرس » ، « و بروج » : فكانت المدينة الأخيرة على صلة ما ببحر الشمال عن طريق مياهي دام Dammه وسلاير Sluis . وهي كشف للتسمات التي كانت تجري في هذين الكائين ، لم تكن منتجات الشرق تشفى عربة متاعرة ، وفي وسعنا أن نرجع إلى أي مصدر نستوضحه : مثال ذلك فصول كتاب بيجواشي المتخصصة لهاتين المدينتين (٢٧) ، وسجلات حمارك دام ، وروج (٢٨) ، وقائمة السلع المستوردة في الفلاندر ، والدفوة في أواخر القرن الثالث عشر (٢٩) ، حيث نجد في كل مكان توابل . وعطورا ، ومواد الصبغة ،

Duches, Hist. re Louis XI, I, 369 , Pigeonneau, I, 415 et 416, 436 et 437 . (٢٥)

E. Van Bruys el, Hist. du commerce et de la marine en Belgique. 3 vol., Brux. 1901 et ss ; Marshall .. dans le Bulletin de l'Acad. de Brux. XI, 1ère part. (1944) p. 155 et ss . Alex. Prins-hard, Essai sur les relations commerciales des Belges avec le Nord de l'Italie et particulièrement avec les Vénitiens depuis le XII.XVI siècle, dans le Mes ager des sciences hist., 1851, p. 9 et ss . (٢٦)

Parol., p. 241-258. (٢٧)

Barlorius Lappenberg, Gesch. des Ursprungs der Handels II 84 et ss., 84 et ss., 489. (٢٨)

L'Hist. du la Flandre, par Warmkoenig. trad. Gheldof, II, 512 et ss. Cf. IV, 346 et ss. (٢٩)

ومسوحات الشرق وأسماء البلاد استبة تصحب أسماء تلك السلع : كالإمبراطورية البيزنطية ، وسوريا ، ومصر ، وأرمينيا ، وبلاد النصار . وربما يقول البعض أن القلمك ، وأعلى إريانات عديم معنى كثيرة . ومن بين الجنود الكثيرين الذين ردد الشهبان بها الحروب الصليبية ، أولئك الجنود الذين سافروا إلى الأرض المقدسة على متن سفن استعاروها منهم . ولكن ألم يذهب التجار كذلك إلى الشرق الأدنى طلباً لمنتجات الشرق ، وليبيعوا هناك أجواح بلادهم ، فالمرء أن علم السلعة منتشره هناك بدوحة كثيرة ؟ كلا ، وهذا أمر غريب ، فلا يوجد أي أثر لمرور سفن إريانات ، أو غسكية في مياه الشرق الأدنى . إذ كان الإيطاليون هم الذين يحملون منتجات الصناعة الغسكية . مثلما يحملون إلى الفلاندر سلع الشرق (٤٠) . ولقد سبق أن رأينا في الفصل السابق أن الإيطاليين والقديس كانوا يلتقون دائماً في أسواق شيمباني حيث يشاندلون بضائعهم . وكان كثير من الإيطاليين ينتهرون هذه الفرصة ويواصلون طريقهم إلى بلجيكا . وكثيراً ما كان التجار الإيطاليون مسافرون إلى الأراضي المنخفضة ، ويمرون بوحه عام يفرنسا (٤١) ، ولكنهم لا يملكون ذلك مضطرين ، فلي وسعهم اجتياز لألبيا ، إما عن طريق بابل (مارل) . وكولون ، أو عن طريق نورمبرج . والثالث ، على الأقل بالنسبة للسادة ، أنهم كانوا يسلكون غللاً هذه الطرق الأسيرة (٤٢) . ولم يكن ثمة ما يجمع الأمم البحرية من الاستعانة من مضيق جبل طارق . فالواقع أن الحركة التجارية بين إيطاليا والأراضي المنخفضة لم تصل إلى درجة حقيقة من الإزدهار إلا بعد أن قرع عزم جمهوريتي جنوا والسافونية على تنظيم خليج سنوية بحرية بين البندقي (٤٣) . وقد أخذت الجمهوريتان هذا القرار في وقت واحد تقريباً وثمة وثيقة جنوبية (٤٤) كتيبة بأنه سعت في عام ١٣٠٩ أن حاسم بعض الأسماء مملوكة في مياه جنوا عن النقطة التي كانت تساعد فيها للانطلاق قاصدة إلى الفلاندر وبها شحنة ثمينة هذا الحدث منار للجدل ، فالزعم لا يترك أن السفينة التجارية لمشار الزها كانت ملكاً لأفراد . وقد يكون الأمر كذلك . وهناك ملحوظة مماثلة في شأن سفينة أخرى أكلعت في عام ١٣٦٢ من جنوا إلى الفلاندر (٤٥)

- Marxhroemig, l.c., II, 314 Hekluw, Navigations, I, 168. (٤٠)
 DeWoon Brown, Calendar of State paper Venetian., I, 2 (٤١)
 (Moris, V, 285) , Zeitsche für die Gesch. des Oberrheins, V, 20
 Zeitschr für die Gesch. des Oberrheins, V, 15, 30, 31 et s. (٤٢)
 Ravdon Brown, l.c., p. 3, 10, 11, 78 , Romanin, III, 127 (٤٣)
 Canale, Nuova storia di Genova, III, 384. (٤٤)
 Relat della oc. lig., I, 320. (٤٥)

ولكن هناك بالنسبة لجنوا دليلين لا يقبلان النقض على وجود خدمة بحرية تنظمها الدولة أولهما مذكرة في حسابات مدينة « أنفرس » (أنتورب) بتاريخ ١٢٢٤ ، ذكر فيها ريلن سفن جنوية كانت موجودة وقتئذ في « سلاير » Sluis (بالقرب من بروج) (٤٦) ، وثانيهما مذبوعة من الأوامر والتعليمات الصادرة في عام ١٢٤٠ للسفن التي تسير إلى الفلاندر (٤٧) ، وفيها يختص بالبنديقية ، ترجع المراسيم الأولى ، والأجرامات الرسمية المتعلقة بإرسال السفن إلى الفلاندر إلى الفترة التي احتضنت فيها قرارات مجلس الشيوخ بشأنها ، وتدل دراسة الجدول على أن أقيم هذه المراسيم بتخصيصها الجزء الرابع من الـ *Misti Senato* في السنوات ١٣١٣ - ١٣١٧ (٤٨) ، في هذه الفترة اضطلع جبريل داندولو Gabriele Dandolo بهمة إغاثته العام للسفن الفلمنيكية ، وبعدها ما هي إنجلترا ، ويسلم السيد روتن براون Rawdon Brown بأن تلك المعلومات الواردة في جدول الـ *Misti* تكفي بعد ذاتها لتحديد عام ١٣١٧ كبداية الخدمة البحرية المنتظمة بين البنديقية والفلاندر (٤٩) ، وقد أقيم جيولوجي في الأراضي المخصصة من ١٣١٥ إلى ١٣١٧ ، وجمع في هذه الفترة للمعلومات التي قدمها عن تجارة هذا القطر ، وذكر « الرقيم » التي حددته حكومة البنديقية للبطائع التي تتسكن على سفن الفلاندر ، فقال إن البنادقة يتمتعون في « بروج » بتخصص في البحرية المقررة على ممارسة التسيولات الحربية طوال هذه الفترة التي تصبها منهم في البناء (٥٠) ، ولم يكن البنادقة في البداية في حالة مرصية في بروج ، إذ كانوا يشكون من الضرائب ، ويجلبونها فائدة ، ومن تسعف شرطة السوق (٥١) ، ومن ثم يبحثون عن جهات أخرى تكون أحوالهم فيها أفضل ، وفي مايو عام ١٣١٨ ، كما تبيننا وقائع فان هيست van Heyst التي لم تشر بعد أن مسعينتين من البنديقية دخلتسا لأول مرة مساء « أنفرس » ، اتبعتهما ثلاث سفن أخرى في شهر فبراير ١٣١٩ (٥٢) ، وحظي القادمون في هذه السفن باستقبال حافل ، وغلبوا معاملات بحرية

(٦٦) سوف تعود إلى هذه النقطة

Off. Gaz., p. 312-313.

(٤٧)

Arch. Venezi., DL. 90 et ss., Romanin, III, 376, 380; Rawdon

(٤٨)

Brown, loc. cit., p. 10.

Rawdon Brown, loc. cit., p. lxi, cxvii, cxviii.

(٤٩)

Fénelon, p. 142, 347

(٥٠)

Marin, V, 384 et s.

(٥١)

Mertens en Törle. Geschiedenis van Antwerpen, II, 90 ,

(٥٢)

Guicciardini, Descrizione del Paesi bassi (Anversa, 1567),

p. 119.

استقلتها الجمهورية ثمارس ضعفا على سلطات « بروج » (٥٣) . ومن ذلك الحين اجتمعت النابسة بين سلطات بروج وسلطات انقرس ، بين الحاكمي - روبرت Robert كونت الملائد ، وسان الثالث Jean III دوق برمانت ، لم يسمح مبهما المستقية أكبر الاستثمارات ، وانضمسل الشروط (٥٤) - وتباينات الجمهورية في الاختيار ، وطال امد المفاوضات . ومقاربة أحداث مماثلة حرت في علس ١٣٢٢ ، ١٣٢٨ ، ترى الجمهورية في حالتين تعني نهاية لرحلات مبعثها حينئذ انقرس ، وفي ثلاث حالات اخرى تترك للقباطة حق اختيار ميماء الرسو ، فقلل توصيهم أن يتفقوا في هذا الخصوص مع مجهرى السمن والتجار (٥٥) . واسيرا مال الميراث في صالح بروج ، ووجه الأجانب فيها من اللوارد أكثر مما في انقرس . وفي عام ١٣٢٢ صدر مرسوم من مجلس شيوخ البندقية يعنى هذا الميثاء كنقطة وصول سفن الملائد (٥٦) Galeo di Flandra . وبقيت الأمور على هذا النحو حتى أواخر العصور الوسطى .

كذلك قدم دوق برابانت ، ومدينة انقرس عروضاً للجويين لا تقل عما قدمه للبندقية ، إذ نجد برعانا على ذلك في اميناز وقعه اللوق ، وهي الرام مسحة المدينة لبيع السيد بالتقاضي في فترة اقلية البنتويين في انقرس ، والوثيقتان محررتان في عام ١٣١٥ (٥٧) . وفي عام ١٣٢٤ دعا حكام انقرس فيطاك السمن الحنوية الرامية في ميده « ملابر » أن يأتي لزيارة مدينتهم (٥٨) . ومع ذلك فبمرور الزمن نقلت جاذبية بروج على سلامة انقرس . وسارت الأمور على هذا النوال فيما يخصى بالفلورنسيين ، ولو أن بالفورنشي يحولونى وكيل بيت بارنى التجارى قد حصل لهم في عام ١٣١٥ على امتياز يشمل مصالح خاصة في مدينة انقرس (٥٩) . وعلى ذلك كانت أكبر البيسوت التجارية الايطالية في الملائد وأكثرها ازدهارا مجسمة كلها في « بروج » . فمنا بيوت من سيسا ، ولوكا ، وبليرانس ، إلخ . فاداً بحثاً في الوثائق الأصلية عن نوع الأعمال التي تمارسها هذه البيوت ، عاينا نجد أولاً علدا كبيرا من

Mario, V, 334 et s. , extraite dans Rawdon Brown, L.c., p. 4. (٥٣)

no 12 et dans es Consomm. reg., I, 213, no 262, Consomm. reg., I, p. 222, no 261 , p. 261 nos 301, 323, p. 261, nos 425-427 , ibidem en Torza, L.c., II, 90, 541 et s. (٥٤)

Archiv. Vogel., XLX, 99-100. (٥٥)

Romanin, III, 376 et s. (٥٦)

Lib. per., II, 481 et ss. , Alt. delle, Soc. Lig., V, 376 et ss. (٥٧)

Meriona en Torza, L.c., II, 543. (٥٨)

P. 266 et s. (٥٩)

البيوت المصرفية ، أما التي تمارس التجارة بالمعنى الصحيح ، فابدا كانت تقوم ببيع حاصي بشراء الأجواخ وسبع النوايل - ويرودنا بـ *جولوني* ، ووثائق محاسبة في حوزتنا بمعلومات وافية من طبعة شحات السمر البندقية والحوية التي تقوم برحلات الى الفلاندر ، فلا يشعرك شك في أهمية النوايل في هذه التجارة (٦٠) . ويمكن تعريف مكانتها بالقول بأن السعي التجارية البندقية والحوية كانت بمثابة الوسطاء في تجارة شاسعة بين مصر والفلاندر (٦١) . وفي أواخر القرن الرابع عشر وقعت أحداث خطيرة أعاققت لبعض الوقت هذه التجارة . ذلك أن المسلمين من سكان شمال إفريقيا شرعوا منذ قليل في مراوغة أعمال القراصنة . وقد تكمل *أنطونيو أدورنو* Antonio Adorno دوق جنوا يالقاء درس عليهم وبمساعدة جيش فرنسي تحت قيادة دوق بوربون ، سرب الحصار قبالة المدينة « *Mehdiya* » ، ولكنه لسوء الحظ احتق في مشروعه ، وضاعب مشكله هذا من حرائق القراصنة من البربر . ولم يمد يده بفتح هؤلاء البربر بالقراصنة في البحر المتوسط ، فسطموا حصارا على مرسى جبل طارق حتى لم يعد في وسع السعي التجارية البندقية والحوية أن تمر بالمضيق دون أن تدفع لهم أتاوة كبيرة . ويقول « *فرواسسار* » Froissart الذي عاصر هذه الأحداث أن سلع دمشق ، والقاهرة ، والإسكندرية ، والبندقية ، وتابولي ، وجنوا أصبحت لفترة ما شديدة البعثة في أسواق الفلاندر ، وأن بعضها لم يعد له وجود بالمرء . ولما حدث ارتفاع كبير في أسعار النوايل (٦٢) . ومع ذلك لم تكن هذه الأمور سوى أزمة عابرة ، فما لبثت الحركة التجارية أن عادت نشاطها . وظهرت سعي البندقية وجنوا ثانية في مواجئ الفلاندر (٦٣) ، وشوهدت إلى جانبها بعد قليل سعي فلورنسا . فالواقع أنه ما أن استولت جمهورية فلورنسا على ميناء ليجورنو (*ليجورنو* ، Livorno) حتى بادرت بإرسال السعي التي تملكها إلى الفلاندر ، وكانت أول رحلة بحرية لها في عام ١٤٦٥

(٦٠) Fogel, p. 140 , Romanin, III, 379 ; Malapiero, p. 622 , Synae.
(٦١) Venedora VII, 223; Atti della Soc. Lig., V, 275 et ss., 385 , Calendar al Bistio papars Venetian, I, 233, *Prodomance de la villa de Bruges* concernant le commerce des Lombards, dans les *Manuscrits*, 1ère part. vol. II, p. 225 et ss. , *Chiffres de Bruges*, Invent. des archives de la ville de Bruges, 1ère série, vol. VI, p. 5-13.

Plott, p. 374. (٦٢)

Froissart, Œuvres, éd. Kervyn de Lettenhove. XIV, 278 (٦٣)

(٦٤) في القرن الخامس عشر كانت سعي بندقية تاج *بانتام* بين ٨ و ٢٥ أبريل
في Uss., p. 194. , Romanin, III, 379.

غالبًا (٦١) ، وبعد ذلك ، عطلت خدمة بحرية أخرى صوب الشرق الأدنى ، وجرى التسيق بين الرحلتين بكنية من شأنها أن يتم تصريف التوابل والمسوحات الموقفة والحريرية على أفضل الوجوه (٦٥) .

وتاريخ ٢٧ مارس ١٤١٧ أصدر « القاسمسة البحريون » *Cassules Maris* ، مرسوماً جمع نسخة خطوط لخدمة السمسرة الفلورنسية ، ولم يتم المرسوم بالطبع أن يذكر خطوط الفلاندر ، وإنجلترا (سلاير وساندوتشي ، وسوث هلمتون) ، وكانت هذه فرصة مناسبة لتحديد المراسم التي يجب أن السفن أن ترسو عندها ، وهي في طريقها (٦٦) .

وفي هذه الأثناء حدثت في الفلاندر بعضا تغيرات عالت التجارة في آثارها . ففي أواخر القرون الوسطى ، كانت الرمال قد تراكمت في ميناء « سلاير » فجعلت من الممر على السفن دخول المياه ، ومن ناحية أخرى كانت الفلاندر ، وعديدة بروج بنوع خاص ممرها لاضطراريات شديدة ، وثورات منسجمة لم يكن لها نهاية (٦٧) . فالتى الباس من إعادة استقرار الهنود الصروري لرحاء التجارة إلى بحيرة عدد كبير من الأجانب إلى أنقرس . ولما كان قسم كبير من الإيطاليين قد شملتهم هذه الحركة (٦٨) ، فإن هذه الهجرة كانت دليلا على سوء مظهر للتجارة بين إيطاليا وأنقرس . ومن ثم توفرت في هذه الجهة منتجات الشرق الأدنى التي تحلها سفن حوا ، والبندقية ، وحى أنكونا (٦٩) . ومع ذلك لم تنف الجارة كلها من بروج إلى أنقرس (٧٠) إلا في مستهل القرن

(٦٤) وعلى أية حال كانت فلورنسا ترسل في تلك الآونة سفن إلى اسبانيا ، إلى ألبا

كانت تروى في طريقها إلى هناك حوائى القمح الواطئة وإنجلترا - انظر

— Benedetto Del clù dans Pagnini, II, 60.

— انظر شروط البيع في ليون في 179, Cadale, Nuova Istoria di Genova, IV,

Amari, Digi arab. dell' archivio fiorentino, append, p 48 (٦٥)

Doc. 809, relat. to c., § 202.

(٦٦) Karys de Leidenbois, Hist. de la Flandre, VI, 70 et st.

(٦٧) Rawden Brown, l.c., p. 377

(٦٨) Guidardin, dans Descriptions del paese lussu, p. 19 et

su., et Moriena en Teda, III, 211

(٦٩) Guidardin l.c., p. 34; Moriena en Teda, III, 318 et s.

— وصلت أولى السفن البرتغالية إلى أنقرس في عام ١٤٠٢ ، وشطبها سفن أخرى

كثيرة . عبرت السوق بين جاليت من توليد ، ولذا كان الجانيك مسطرون لبيع سلهم

بمعدار مختلفة فادهم لم يستطعوا تصريفها هناك . انظر ،

Sanul, Dier., VI, 182 209 , Priuli p. 161

Sanul, Dier., IV 211, V, 441 , Moriena en Teda, III, 230 et st.

السادس عشر ، وكان ذلك نتيجة مباشرة لاكتشاف البرتغاليين الطريق البحري إلى الهند ، وقد رأينا أن البرتغاليين اختاروا « أمعرس » كمستودع للتوابل التي يستوردونها من تلك الأصقاع البائية . ومن ذلك الحين أصبحت أمعرس سوقا رئيسية لمبيعات الشرق إلا أن الإيطاليين كانوا قد فقدوا احتكار هذه المنتجات ، بعد أن احتكرها البرتغاليون .

اسبانيا والبرتغال

نكلمنا كثيرا عن الإلمة القطلونية ، فهي تقيم في القسم الشرقي من شمال شبه جزيرة أيبيريا . ولما كانت على علاقة وثيقة بالشرق الأدنى ، فإنها كانت تزود دائما بكميات وفيرة من التوابل ، تكون بها كل البلاد المجاورة لها (٧١) . وفي هذه الناحية ، لم يكن للإيطاليين شيء كثير يؤدونه ، وكان سكان برشلونة أقل مصحبا من مزاحمتهم (٧٢) ، ولم تجد الحرب الثائرة صروب الكراعية بين القطلونيين والجنوبيين سوع خاص . وإلى الجنوب من قطلونيا كانت سواحل اسبانيا لرسم طويل خاضعة لسلطان العرب ، فكان هؤلاء يتلقون منتجات الشرق إما بواسطة قوافل تسير بحداء الساحل الشمالي لأفريقيا ، وإما من سفن مصرية أو سورية تتردد على ميسماء البرية Almeria . وكان مسكنان البرية ودانية Denis ، ومقا Malinga ومدن أخرى يسون مسما تصل في سنة وثلاثين يوما إلى سواحل سوريا ، ويذهبون بأعضهم طلبا لمنتجات صناعة أكثر تقدما من صناعاتهم وعلى أرض أكثر جودة من أرضهم (٧٣) . والمعروف أن عرب اسبانيا نهضوا بالزراعة والصناعة في بلدهم نهضة أتاحت لهم الحصول محليا على الكثير من الحاصلات التي كانوا فيما مضى يضطرون للحصول لأحضاها من الشرق . وكان الجنويون والبيزيون يعارضون حركة تجارية معهم (٧٤) . كما كان كثير من السباج والتباج المسلمي يركبون سفنا جنوبية في اسبانيا ، أو في « سبتة » منقلهم إلى الاسكندرية ، أو إلى عكا ، ويمودون بنفس الطريق (٧٥) والمطلوب أن نعرف ما إذا كان الإيطاليون يرونون عرب اسبانيا بالتوابل . ولما بعد ،

Capmany, Mem., II, 3 et ss, 16 et ss, 178.

(٧١)

Ibid II, 38 et s, 131, 138.

(٧٢)

Edrisi, Description de l'Afrique et de l'Espagne, éd. Dozy, p. 134, 240, 264, 288.

(٧٣)

Monum. Hist. pair Chart., II, 288 et s. , Lib. jur., I, 182 et s, 1484 et ss

(٧٤)

Ibn Globaïr, éd. Amari, dans l'Archiv. stor. Ital. append. 4, p. 41-43 . Amari, Dipl. arab. Fiorent., préface, p. xxii et s. . About-Feda, éd. Reinaud introd., p. cxxv.

(٧٥)

ومع تقلص سيادته العرب على اسبانيا ، صارت اسمى دعى سمها مستعيرين مجردة من العلاقات المباشرة مع الشرق ، ومن ثم كان لا بد أن تعانى من هذا الوضع ان لم يكن الايطاليون هناك على استعداد للحلول محل الوسطاء الذين لم يعد لهم وجود فكانت مهمة ترويس هذا الجزء من اسبانيا تقع عادة على عاتق سفي اللاندر ، أما سفي البندقية فانها كانت تروسو عادة عند جزيرة ميورقة ، ومن هناك تصل الى Alcañiz ، أو الرية ، أو علفا ، وفيما وراء مضيق جبل طارق تلتقى عراسيها في ميناء خاضى Cadix ، ومنها يسهل عليها أن تذهب الى اشبيلية وتروسو أخيرا عند لشبونة (٧٦) ، وثمة معاهدات تكفل حسن استقبال البشادة بالميلاد (٧٧) ، وفي كل اللوانى الوسطى تعقد المصنقات ، وتضخ وتفرغ البضائع ، وعظمت فلورنسا خدمة خاصة لقطالوبيا ومراسى في برشلونة ، وميورقة ، وبلنسية ، وتصل الى اللوانى الاسبانية على البحر المتوسط سفي خط الجزائر والمغرب من جهة ، ومن جهة أخرى سفي اللاندر التي تروسو أيضا في قادش ولشبونة (٧٨) ، وكان الفرغى الرئيسى من هذه الرحلات المتواترة هو مبادلة أصواى فلورنسا بمنتجات اسبانيا (٧٩) ، ولكن لا شك فى أن سفي فلورنسا كانت تحمل أيضا الى هناك سلعا من الشرق ، وعلى مع ذلك يظل عددا من سفن جدوا والبندقية ، وفيما يختص بالشبيلية مثلا ، فمن المؤكده أن سوقها كانت مزودة بوفرة من البوابل ، وذلك بفضل الايطاليين وحدهم (٨٠) ، ولم يعرف البرتغاليون وسطاء آخرين الى اليوم الذى اكتشف واحد منهم طريق الهند الذى كان حتى تلك الأوبة مجهولا من العالم كله .

البحر

إن الرغبة فى الاستمتاع بحياة مرفهة ، والحاجة الى منتجات الشرق الثمينة التى كانت من لوازم هذه الحياة ، هذه الرغبة لم تدم عند الشعب الانجليزى الا فى عهد متأخر نسبي - ومن ثم ، على الرغم من أن إنجلترا قدمت مصيها من الحروب الصليبية ، فإن هذه الحملات الكبيرة لم تثر

Brown Brown, J.C., I. 1111 et s., 148 et s., 151 ; II, 204 et s.; (٧٦)

Roman, II, 181, 378 , Paul, p. 104.

Brown s. IV, 83, Sanuto, Vite del doge, p. 638. (٧٧)

Dee sur le rela to c., p. 282 , Amari, Dipl. arab. forest, p. 50 et ss., 50 et ss. (٧٨)

Bend. Dei dms Pagano, II, 241, 275. (٧٩)

Pegol, p. 374. (٨٠)

أصنام التجارة الإنجليزية وقد يبدو أن وجود حي انجليري في مدينة عكا في أواسط القرن الثالث عشر يثبت وجود جالية تجارية انجليزية بها - إلا أن أولئك الذين كانوا يشككون في عهد الإمبراطورية اللاتينية قسما صغيرا من سكان القسطنطينية ، كانوا يستنون غالبا إلى الظاهر العسكري ، ولابد لهم المافوق على قيد الحياة من الحراس الخصوصيين الذين حكمهم الأباطرة البيزنطيون من رجال الشمال - وأخيرا ، ادعى البعض أنهم تعرفوا على اسم انجلترا بين أسماء أبلاد التي يقول يساعين دي توديل Benjamin de Tuddie أنه وجد ممثلين لها في الحشد الخليط الذي يلا سوق الإسبكنندرية - إلا أن تماثيل الإنسجين هو تماثيل مصطبح أولا ، كما أن مثل هذا التماثيل يتبعين حصصه ثانيا ، فهذا القمص لا يؤدي إلى نتيجة ذات شأن ، لأن صحة قائمة هذه الأسماء لم تثبت على وجه اليقين (٨٦) - وعلى ذلك يستحصر سبب انجلترا بين الشعوب التي لمعت دورا إيجيايا في تجارة للشرق الأدنى في جالية صغيرة في عكا - وحتى مع ذلك غانا لا نعرف على وجه اليقين ما إذا كانت هذه الجالية قد أبقت على صلة ما يربطها بالأصل -

وفي غير هذا الاستثناء الوحيد في شأن التجارة ، اقتضت انجلترا في تلك الآونة ، ولم تزل مقتصرة ربما طويلا على دور سياسي بحت ، فكانت الإدارة التي تملك قطعانا هائلة من الماشية تنظر بعين السرور والرضا إلى الإيطاليين والعلمسك وهم يساهمون للحصول على أصوافها (٨٧) ، كما كان المثلوك ضروريين إذ يحدون لهم أباردوا وتمكينايا مصرعين مجاهلج يقدمون لهم ما يلزمهم من قروض - ولم يفقد الانجليز العائدة التي تعود على شعهم من إنشاء صناعة وطنية تستغل المواد الأولية المحلية (٨٨) أو ثروة قومية تسيهم عن السافطات المالية في الخارج - وفي هذه الأحوال اقتضت الحرية الانجليزية على الملاحة الساحلية ، بينما تركت للنسج الأجنبية مهمة استيراد منتجات البلاد النائية - أما منتجات الشرق ، فكانت انجلترا تنقلها من إيطاليا ، وكانت في البداية مستورد معظمها بالطرق البحرية ، وبطريق غير مباشر - وبخصوص التوابل ، كان يبدو أن اللاب هي التي تقوم بتور الوساطة ، وبخاصة أمال كولومي إندس كانوا منه زعم بسيد يرمسون مسلفهم إلى انجلترا - وانقطعت عشت التجارة تقريبا (٨٩) هذه المحقة التي استغنت فيها الدول التجارية الكبرى في

(٨٦) ص ٧ على هذه البكلة التي سبق أن ناقشناها -

Pagnini, Della decima, II, 82 et ss., 124 et ss. , Ciudadel.

Stein del gran cnpj italiano, app. p. 231-240 ; Pegol., p. 263 et ss.

(٨٧)

westonast. Flor. histor., n. 1335.

(٨٨)

Rawdon Brown, p. 78.

(٨٩)

إيطاليا اجراءاتها لإرسال سفنها كل عام إلى الملايو ، واثبت إنجلترا كذلك .
 وقد سبق لنا أن تكلمنا عن أصول هذه البضائع البحرية - إذ كانت
 المواني في إنجلترا هي مانهاتش ، وسفولهايمتون ، ولندن (ورأس
 سانت كاترين) (٨٥) . وثبتت قوائم تجيير السفن الهندية وشحنها
 أن هذه السفن تمسك إلى إنجلترا بكثرة التبادل ، وببهد كانبدا
 وعذب كورنثية ، وسكرا ، وجريرا ، وقطن (٨٦) ، وتعود منها
 بصوف ، وجلود ، ومعدن ، وحاصصة القصصدير (٨٧) . وتقوم
 السفن الجنوبية بهذه الرحلات سنويا . نهائيا وعمدة (٨٨) . وفي تصنيف
 تاريخية كتبت في عام ١٤٢٦ بمصر *The life of english policy*
 توجد معلومات أدق عن هذه السلع التي يستوردها الإيطاليون . وداية
 المؤلف أن يفتح الأمة الإنجليزية بالتحرر من نير الشعوب التي كانت لها
 السيادة البحرية . وحطت التجارة الإنجليزية ، ومعها من أن تسمو (٨٩) ،
 فيقول أن السفن البحرية ، مع غيرها من السفن مستورد الحرير ، والقطن ،
 والذهب ، وأسلات الذهب (٩٠) ، والعنفل الأسود ، وحجر الشب ، أما
 السفن الهندية ، والفورسية فتستورد كل أنواع التوابل ، والمقايير
 الطبية ، مثل السمكوبيا *Stomach* ، والبريد *rubric* ، والراوند ،
 والسمك *cod* . وأنبذة صافية ، وفرونا ، الخ . ويصف الشاعر أبيه
 في الوقت الذي تجلب فيه هذه السفن سلعا كدالية يكن الاستعداد منها ،
 فأنها تأخذ منها ، قصديرا ، وصوفا ، وجوا . ولم يتفق لبحر الذي
 نادى به الشاعر في وقت قصير . على مستهل العصور الحديثة انزع
 البرتغاليون من الإيطاليين سيطرة ممتلكات الشرق ، واستعمرت إنجلترا
 تدفع لهم الكوس . ثم جاء دور الهولنديين . حتى أتى اليوم الذي
 استحوذت فيه على لكافة الأولى من تجارة الشرق الأدنى .

الثاني

تري داية طرق كان الألمان يتلقون منتجات الشرق في عصر الحروب
 الصليبية ، حتى أواخر العصور الوسطى ؟ انها مسألة يتحج عليها
 البحث عن حل لها ، وهو عن أصعب مما قد يبدو للخطير . ولكلا تشرد

Brown Brown, p. 121.	١٢١
Brown Brown, p. 121.	١٢١
Sarik, Dier, II, 608.	١٢٧
Rymer, Foedera, II, 1, p. 941.	١٢٨
Artilon Herberg (Lips. 1878), p. 30-38.	١٢٩
"Globe of Time" on the State of Georgia, p. 192.	١٣٠

أفكارنا ، فإما تعتبر أولا أن الإسكواي الكبرى هي ما في نابومبور ،
والبحر الأسود ، وبحر أدري ، والقسطنطينية ، وكافا ، وتابا ،
وتستوفي تابيا ما إذا كان بينها وبين الأنبيسا علاقات ما ، وعلى
هذه العلاقات .

أن وجود حالية تجارية الآلية في القسطنطينية في القرن الثاني
عشر حقيقة لا تحتاج إل اثبت ، ولكنا رأينا في حديثنا عن تاريخها أنها
لم يبلغ أبدا درجة ربحه من الرحله ، وأن وجودها كان وجودا عابرا .
وقد تسهل مهمتها كثيرا أن استلعم أن ثبت أن هذه التجارة كانت في
وقت ما على علاقة وثيقة بالحد التجارية القائمة على طول نهر الدانوب ،
وبخاصة راتسيون ، وهي أهم هذه المدن . غير أن المصادر لا تردنا
بأية معلومة في هذا الخصوص ، وفي وسعنا ، والثبات بين أيدينا ،
أن نشبع تجار راتسيون في رحلاتهم في القرن الثاني عشر ، فتراهم
يناطرون بالسفر بعيدا ، فيروزون أسواق نهر « ان » Rhens ، ويتوقفون
عند مكاتب بحرية بين « ان » وديبسا ، ويليمون بعيدا لقفله أصنامهم ،
ثم يواصلون السير حتى البحر (٩٦) . ويرى أيضا إلى جانبهم تجار باسو
Passau ، وأولم Ulm ، وسواويا Souabe بوجسه هسام ،
وكولون ، ويمتر Metz ، وأكس لاشسابل Aix-la-Chapelle
وماستريخت Maestricht إذ يستعملون طريق للواصلات العظيم الذي
يمتدحه نهر الدانوب . ولينا وراء البحر لا نجد أثرا لهم . ذلك أنه ابتداء
من عام ١١٩٨ أو على أية حال من عام ١٢٢١ كان طريق هذا البلد قد
أغلق في وجههم بفعل أعمال قبيسا الذين كانوا حريصين على احتكار التجارة
مع هذا البلد (٩٧) . ولم يثبت أن أهل ديبسا أنفسهم قد شاطروا دخول
حربيا . وبلغاريا ، أو حتى القسطنطينية ، وعلى الأقل لا تكشف لنا
المصادر عن شيء من هذا القبيل . يبدو الآن أنه من الثابت أن التجار
الألمان الذين كانوا يهبطون نهر الدانوب لم يكونوا يذهبون إلى القسطنطينية
بلدنا لمنتجات الشرق في حواصن مواطنهم المقيمين بها . ومن جهة أخرى
لم يتم دليل على أن المستوطنين الألمان في القسطنطينية قد بطوا قوافل
تقل هذه المنتجات إلى الدانوب ، أو أن التجار الألمان كانوا ينتظرون هذه

(٩٦) Voy deux document de 1191 et 1193, publi. par M. Meiller
dans l'Archiv. für Kunde osterr. Geschichtsquellen,
X, 99-100.

(٩٧) Geschichtsquellen der Stadt Wien, I.e., p. 13 etc. etc.

التوازل لعمودها بها إلى المنحسب وبافاريا ، الحج • والبحيرا ، لم يقف أحد من البلغاريين أو الهنجرين قد اشتغلوا كوسطاء بين القسطنطينية وحوض الدناوب الأوسط • وقد يقول البعض انه رغم الموصى الذي يشوب حسية وكلاء النقل ، عائدات أنه في غضون الربع الأخير من القرن الثاني عشر ، من سميرك شتاين Stein ، وهي مدينة واقعة على نهر الدناوب بالقرب من فسا بضائع لا شك أنها آسيوية المنسج ، كالفلفل ، وجوز الطيب ، وكش القرغل • والفريجيل ، والمولحان (٩٣) • ولست أنكر البشة هذه الواقعة ، ولكن أقول مع السند هولان Hülmann ، ليس هناك ما يثبت أن سلما من هذا النوع ، والتي مرت بمدينة شتاين قد صنعت بالفعل مجرى نهر الدناوب • ومنه عهد بعيد استقر تجار الإيطاليين في راتسيون ، كما كان يجار راتسيون قد تداولوا هذه رضى ميكر يسافرون إلى البندقية • ليس من المعلوم أن الافتراض بأنهم يتلقون التوابل من البندقية ، ويحولونها إلى النمسا ، مستعربين في مجرى نهر الدناوب ؟ من المسلم به ، ويوجه علم أنه حتى مستهل القرن الثالث عشر كانت التوابل تصل من القسطنطينية إلى ألمانيا عن طريق نهر الدناوب ، وأن هذه الحركة التجارية ثم تبدأ في المرور بطريق إيطاليا إلا اعتبارا من استيلاء اللاتين على القسطنطينية (٩٤) • على أن هذا الفرص لا يقوم على أسس متينة بحيث لا يتسنى مناقشته ، فهو لا يأخذ في الاعتبار الحالة التي كانت عليها في القرن الثاني عشر تلك الشعوب غير المتصافحة المحيطة لفتال في البلاد الواقعة بين الامبراطورية اليونانية والحجر • إذ كان في مقدور الجيوش الصليبية أن تنشق لها طرقا بقوة السلاح ، وحتى تعلم بأي شيء يتم لها ذلك ، ولكن لا ننسى بسهولة أنه حركة تجارية ما دراولها فوازل منظمة • كلا ، بل ينبغي التمسك به أنه قبل حلول القرن الثالث عشر كان الإيطاليون هم الوكلاء الرئيسيون الذين يتولون نقل منتجات الشرق إلى ألمانيا • وحتى يسمى لهم الصعود قليلا من القسطنطينية عن طريق البحر ، كان لابد من توافر بعض الظروف الثلاثة • وعلى أية حال ، لا جدوى من البحث عن وجود علاقات مباشرة بين القسطنطينية وألمانيا ، فهي تلك الآخرة ينبغي لنا وجود ذلك في البندقية fondo dei Tedeschi ، في لوج وحائتها ، ونرى الإيطاليين يحضرون حوض الدناوب (٩٥)

M. Hülmann, Gesch. der byzant. Handels, p. 106-108. (٩٢)

Palke, Gesch. des deutschen Handels. I, 98 et ٢٠, ٧٨ et ٩٩, 100 et ١٠١. (٩٤)

WienerNeustadt en 1344 (Archiv für Kunde osterr. Gesch.-forschungen, X, 134) , Hornayr, wörrn Gesch., I. xxxvii , Hülmann, Studien von des Mittelalters, I, 388. (٩٥)
et ١٠١

وأذا كان من القسنة مراعاة التحفظ فيما يختص بعلاقات الألمان بالنسبطينية ، فالأمر يختلف كل الاختلاف فيما يختص بعلاقاتهم بروسيا ؛ فالإدلة حساً متوفرة - فقيسلا - في القرن الثاني عشر ، كان تجسار براتسبورغ (٩٦) ، وفي القرن الثالث عشر تجار برسلو Breslau يوزون سوق كييف (٩٧) - حقا ، كان العرض الرئيسي من رحلتهم شراء صلح الشمال (الفراء) - ومع ذلك ، ولا شك كانوا يسوزون أيضا سلعا من اليونان (حرائر) ، ذلك لأن الأحمري كان لهم ثمة مدويون كثيرون ، وفيما بعد ، حين أنشأ الإيطاليون في تانا ، وكانوا مستودعات لمنتجات الشرق والشمال ، توطدت حركة تجارية ما بين هذين البلدين وبين لاديا .

ولا أن هذه الحركة لم تكن تمر بوكالة الهامرا التجارية في نونجورود كما قد يبدو للبعض ، فلم تكن الصالحات المرسلة إلى لاديا تمر مرورا عابرا (ترانزيت) بهذه المدينة (٩٨) ، بل تتبع الطريق التجاري من تانا (وكالسا) إلى ليرج Lemberg ، وهو نفس الطريق الذي يسلكه أحيانا السمسارة ، والأعمال الأجرء ، والوظفون الاستعماريون الجويون للوصول إلى كالا . في حين أن الطريق البحري كان قد أنلقه (٩٩) وفي خصوص شرح ، يحوي الخريطة القطبوية المشهورة ، وهي من نتائج القرن الرابع عشر على فكرة تقول انه يأتى إليها بعض تجار الشرق ، ويواصل هؤلاء رحلتهم صوب القلاندر عن طريق بحر البلطيق (١٠٠) . وفي هذه الآونة ، كان تجار نورمبرج يتفقون أيضا بضائع تانا عن طريق ليرج . وفي لفكرة التي دوى فيها أولمان شترنومر Ulman Stromer أسماه ومغامراته بين عامي ١٣٦٠ ، ١٤٠٧ سجده مذكورة مهمة في موضوع التجارة تقول (١٠١) ان وحدة الوزن في تانا هي القطار cantar . ويساوى في مرج $\frac{1}{4}$ متين Stein ، ومن ثم يساوى القطار في موازين نورمبرج قطارا $\frac{1}{4}$ وطل .

- Riesler Gesch. V Broom, I 378 et II 380 et s. (٩٦)
 Documents de 1190 et de 1192 dans Yatchév für Kunde (٩٧)
 oester. Gesch., X 92 et ss. Cod. inv. S. Emmerari, dans For.
 Thes. anecd., I, 3 part., p. 173, Vite beati Meriani. Acta SS. Boll
 9 Nov p. 369 , Jeux du Pion de Carpin, éd. d'Avenac, p. 372
 Sartorius-Leppenberg, Gesch. des Umse der deutschen Han (٩٨)
 Die ankampf, Der teutsche Hof zu Novgorod, p. 122 et ss.
 Atti della Soc. Ilg., VII, 320, 323, 328 327 (٩٩)
 Carte catalane, rd. Buchen et Tashz, p. 18. (١٠٠)
 Chroniken der deutschen Städte Nötenberg, I (1000). (١٠١)
 p. 101 ; Doc. de 1417, des Lönig's Reichsarchiv, part. spéc., 40
 suite, 2 part., p. 318 , Mon. Hong hat., Acta extra III, 314 et s.
 407 et s.

ولمينا نريد أن نعرف المحطات الوسطى في هذا الطريق من تانا إلى
 مبرج ، فالدالب أنه كان طريقا بحريا في جزء منه . فمن تانا يصير الإنسان
 إلى أكرمان Akerman مباشرة ، ومن هناك يصل إلى مبرج في طريق
 رسمتوا Saccawa (مولدافيا) (١٠٢) - وكان القسم الأكبر من منتجات
 الشرق التي تحمل ألمانيا يرد أولا إلى إيطاليا في الأساطيل التجارية
 الإيطالية ، فيأتي أحبابا تجار ألمان ليأخذوها ويعودوا بها بطريق البحر ،
 وأحيانا يعاد تصديرها بحرا ، ومن ثم تدخل ألمانيا من شمالها بعد رحلة
 بحرية طويلة حول القارة . ولم تكن التجارة البرية مهمة لإيطاليين ،
 فقلما مارسوها ، لا لأن اقتصادهم لم تظأ الأرض الألمانية ، بل أنهم بالعكس
 كانوا يحتارون بجبال الألب السويسرية والنمساوية . وكانت المدن التجارية
 على بحيرة كوستانس ، وحواس الراين ، وحواس الدانوب تستقبل تجار
 البندقية ، وجنوا ، وميلانو ، وفلورنسا ، بل أن بعض هؤلاء التجار كانوا
 يتسبون إقامة دائمة بهذه المدن (١٠٢) . غير أن هؤلاء كانوا يواجه عام
 دائري عابري . غايتم الفلندر وحي يصلون إلى بال (بارل) ،
 ونورمبرج يهبطون الراين ، ويحتفون الأيسينوا من الوقت في الطريق
 إلا أقله (١٠٤) ، ثم روح عليهم يقل شيئا فشيئا عبد أن طفت خدمات
 بحرية مستمرة إلى الفلندر ، وبالأصل كان عند التجار الإيطاليين في
 ألمانيا أقل من الفجار الألمان في إيطاليا . وكانت تجارة المبادلات بين البلدين
 تحرى بأكبر قدر من السطاط في فينقي Fondaco dei Tedeschi
 بالبندقية (١٠٥) . فقد وضعت الجمهورية تحت تصرف التجارة الألمانية
 ووكالاتها أكمة فسيحة تضم مساكن ، وحوافيت للبضائع يستفيد منها
 كثيرا تجار راتسيون ، ونورمبرج ، وأولم ، وكونستانس ، إلخ ، حتى
 تجار النمسا وأقاليم إراين ، فكان هؤلاء يصرون معهم منتجات الصناعة

- Article publ. par M. Stoph. Koszynski, dans les Jahrb. (١٧)
 für National-Ökonomie und Statistik, XXXIV (1872), p. 404 et ss.,
 Tucker dans le Handbuch des hl. Landes (1884), fol. 362, s.; Sobolev
 Biefer, dans Boehrlich et Melnig, Deutsche Philologen, p. 113
 et s.
 M. Meißner, dans l'Archiv für ältere Gesch., X, 130, Schunk (١٧)
 Beitrage zur Mainzer Gesch., I, 73 et ss. Schanzel, Hist. vom altp.
 p. 117, Hübsch, Gesch. res böhm. Handels, p. 117, 191, 321
 M. Maue, dans Le Zeitscher für die Gesch. des Ob erhein.
 V, 30 et s., 41. (١٨)
 Lips, 1831: Dons, Der süddeutsche Handel mit Venedig, (١٠٥)
 dans la Zeitschr., Lc., p. 1 et ss. , Capitular des deutschen Handels
 in Venedig, publ. par M. Thurner, Berl. 1874; Heyd, étude sur le
 Maue, des Allemands à Venise, dans la Sybels u. l. Zeitschr. 1874.

والناشر ، وبصالح من ملائمتهم ويبيعونها في البندقية ، لتستهلك محليا ، أو تقضى في سمن ستأجر لتيسر إلى الشرق الأدنى ، وفي مقابل ذلك يشترون منتجات صناعة البندقية ، أو التوابل ، والبطور ، ومواد الصناعة ، وللمسوحات الحريرية المستوردة من الشرق في السفن البندقية - ومن فضاء الصفاق المذكور يرسل إلى ألمانيا عدد هائل من البالات للألبان بالسلع الشرقية - وكان تجار نورمبرج متخصصين في تجارة التوابل بالجملة والقطعة ، يبيعونها للبند كله (١٠٦) * ومع ذلك لم تكن البندقية هي المكان الوحيد الميسر للربا إلى الألمان ، فقد كان لجنوا نصيب طيب في هذا المجال ، إذ كانت البندقية التي يتعاملون فيها تجار سوابيا مع اسبانيا (١٠٧) ، كما ينصب إليها تجار نورمبرج طلبا للتوابل ، والبخور ، واللاكي ، الخ (١٠٨) * وفي عام ١٣٩٨ سلب شخص يدعى جان بريتميلد Breitmeld من جمهورية جنوا البضائع الفرنسية التابعة ، وذلك باسم مرسومة من مدن سوابيا ، وفرانكونيا (فراكنس) ، وبافاريا ، وأقاليم أخرى ... وقد منح إسحاق كل ما طلبه (١٠٩) - وحتى تولي سيغيسموند Sigismund ملك هنغاريا عرش ألمانيا الإمبراطورية (١٤١٠) وكان قبله في براغ مع البندقية ، فاستغل فرصة انتقاله العرش لاشياع قلعه يسهلها في مضمار التجارة - وبدأ يفتاح مدن ألمانيا الشمالية بأن تلقى تجارتها مع مدينة البجيرات (البندقية) (١١٠) ولكنه اضطر لأن يكرر هذا المسمى (١٤١٥ ، ١٤١٨ ، ١٤٢٠) * ولكن تغير هذا المتمد ، أوضح لهذه المدن طريق الشرق عبر هنغاريا (١١١) ، كما أوضحها بأن تبديل مريدا من الجهد لتزوين صلاتها بجنوا (١١٢) * وحتى ينجح في تحقيق أهدافه ، كلف بروجواريا في مدينة كوسساس أن يتفاوض لمقابلة اتفاق مع جمهورية جنوا ، وبذلك حصل على شروط ملائمة لتجاوزة الألمانية * أما الجنويون ، فاتهم عرسوا على الألمان صورة مغرية لما ينتظرهم عندهم فيها أولا سوى مليئة ببضائع تزيد عما في سوق مالسيهم ،

- (١٠٦) Roth, Gesch. des Nürnberger Handels, I, 51 et ss., 106 et ss., 118 et ss. ; Haarer, Nürnberg Handel im Mittelalter, dans le 36.
 (١٠٧) Moen, Zeitschr., I, 42 et ss. ; Würt. Vierteljahrsschr., 1880, p. 141-151.
 (١٠٨) Ulsen Stromer, I, p. 100 et ss. ; Roth, I, 111.
 (١٠٩) Moen, Zeitschr., IV, 28 et ss. ; Haad. I, p. 100 et ss.
 (١١٠) Deutsche Reichslagsacten, VII, 273, 308.
 (١١١) Roth, p. 365 et ss.
 (١١٢) Ibid. p. 369 et ss., 395, 415 et ss.

بسبب أن منهم الضخمة تحتوي على بضائع تريد على ما تحتويه من السندية ، ولديها ثانيا رسوم أكثر اعتدالا ، وأخيرا فيها حرية في التنقل والعمل تريد على بقيةها في السندية . كذلك ضموا لتجار الألمان أنهم لم يتعرضوا منهم لإجراءات تصفية يشكون من مثيلاتها في البندقية ، كالإجراء الذي يقضى بحبسهم في الحبس طوال الليل ، وحبسهم على بيع بضائعهم في مهلة محدودة ، واستخدام ثمن البيع لشراء بضائع أخرى ، كما لا يسمح لهم . هم وقودهم وبضائعهم يركوب السفن التي تخرج من البندقية متجهة إلى الشرق (١١٣) . كذلك وعد دوق ميلانو التجار الألمان الذين يريدون الذهاب إلى جنوا لمزاولة أعمالهم التجارية أن معاملهم أحسن معاملة من حيث رسوم البضائع (الترامونت) دعاهم وعدة (١١٤) . أما الإمبراطور سيجموند فإنه رأى في هذه الاتفاقيات حساسا كافيا لمصالح الملك التي كانت حتى ذلك الحين على علاقات متوترة بالبندقية . وهي تم فرض سطرا على مدينة البندقية . ولما كان في عزه نفذه هذا الإجراء بقوة وصرامة ، فإنه أقام منذ عام ١٤١٨ مراكز عسكرية في الجبال عند المراتل المؤدية إلى البندقية ، وأذن للسكان أن يستولوا على البضائع المرسلة إليها أو العائنة منها ، وأن يلقضوا على التجار أنفسهم (١١٥) . وفي عام ١٤٢٠ دعا إلى أوم ، ديت ، Otte لمدن ، وأكد في خطاب الدعوة (٢٠ من يناير) قائمة انقضاء العلاقات مع البندقية انقطاعاتا تاما ، ولم يحل هذا البدء من سيرة . إذ كان المدينة نورمبرج لبحسار في البندقية ، فاستدعتهم للعودة (٤ من مارس ١٤٢٠) (١١٦) . إلا أنه بحلول الخريف ، وقد تجمعت لديها من النتائج السلبية التي انتهى إليها الديت ، أجرت اتصالات بسيجموند حتى يفسى الإجراء الذي اعتبرت أنه لا يحتمل (١١٧) . وأبدت ، بين ما أبدته من قلق أن الحظر لم يراعه الجميع . وكان في الوسم الرد على هذه الحجة بأن تجار نورمبرج كانوا أول من أعطى مثالا سينا في ذلك ، وأن عددا كبيرا منهم سيطروا وهم يرتكبون مخالفات ، وحكم عليهم بغرامات (١١٨) . وحدث أحيانا أن يفسى التجار الذين يوقفهم المراكز العسكرية المكعبة بحراسة الطرق ، يستخدمون القوة لمواصلة

M. Flegler, dans l'Ann. für Kunde d. d. Vorr., 1877, p. 331. (١١٣)

Les Deutsche Reichstagsakten, VII, 389-391. (١١٤)

Deutsche Reichstagsakten, II, 503 et ss. (١١٥)

Ibid. II, 415-417 , Jäger, Gesch. Ulms, p. 302. (١١٦)

Deutsche Reichstagsakten, II, 418 et s. (١١٧)

Both, Gesch. des Nürnbr. Handels, I, 112 et s. (١١٨)

سيرهم (١١٩) . ومع ذلك تثبت سيجسموند بالطر الذي لفرصة *
ورغم أن هذا الحظر كان شديد الوطأة على التجارة الألمانية ، فإنه حده
في عام ١٤٢٦ (١٢٠) ، وشجع ذلك أصحاب القصور الذي واحدوا ينهبون
سكان المدن القريبين منهم * . ووقع حدث من هذا النوع في هذه السنة
ذاتها (١٢١) ، يتتبع أن التوازل تشمل المرتبة الأولى بين السلع التي
يشتريها تجار نورمبرج في البندقية * . وعند وفاة سيجسموند ، أن لم يكن
قيل ذلك ، عادت الطرق مباحة للكافة ، واستعادت البندقية صلاتها الإلانة
وإدعت جوا ثابته إلى المرتبة التالية (١٢٢) .

وعلى ذلك ، عبالرجوع إلى السؤال الذي طرحناه في البداية ، نرى
أن أول ما عمله ، بخصوص البحث عن الطرق (١٢٣) التي تمر بها منتجات
الشرق فيجتاح فريول ، وكرثيا ، Cadutho ، ويتوقف حتى
وسط النمسا - عبر أن الطريق الذي يسلكه أكبر قنر من الحركة التجارية
هو الذي يجتاز أمبرو Ampezzo ، ويستمر بمسلك ذلك
se Pusterthal حتى يمر بربر Brenner . وقيل أن يصل إلى هذا الممر
يسلمط بطريق آخر يسلكه التجار أيضا ، ويمر عبر la Vallegana
ووادي هينسو أدجيه l'Adige . وكان الطريق الذي يمر بفيرونا
وروفيرد Rovereto ، وتريستو Trieste - والذي أصبح اليوم أشهر
الطرق (في إيطاليا) - لم يكن معروفا آنذاك - وتنتهي الطرق في نقطة
واحدة فقط طريقا واحدا! يجتاز ممر بربر ويصل إلى انسبروك Innsbruck ،
ومنها تتلمص الطرق على شكل مروحة ، فينتج تجار وانسون شرقا
متتبعين مجرى نهر ان ، أما تجار أوجسبرج Augsburg ، وربما أيضا
نورمبرج فإنهم يتشبهون ثابته في الجبال أثناء من ديرل ، ويمرون
ممر شاربتر Scharnitz ، ويمرون بمتمالك Mittenwald (١٢٤)
وباتونكيرشن Partenkirchen ، واوبرامبرج Oberammergau وغيرها .

(١١٩) Voy le document LV, dans Stekian, *Gesch. der Augsburger*

Geschlechter, p. 406 et s.

(١٢٠) Aschbach, K. Sigmund, II, 400 , III, 450 et s., Jäger, G

p. 702.

(١٢١) Haeder, I.e., p. 308 et ss.

(١٢٢) For chungen zur deutschen Geschichte, XXXIV, 215 et ss.) ,

Le Livre des dépenses r effons Keller (Tahag. Zeitschr für Staats-
wissen, 1881, p. 834 et ss.) ; Sauter-Dier, IV, 28.

(١٢٣) Oehlmann, Die Alpenpflanzen in Mitteleher dem 14. Jahrhundert
für Schweinergeschichte, 3e et 4 année , l'Autland, 1862, no 24

(١٢٤) Baddel, Chronik des Markts Mittenwald, 1880.

ويصعد تجار أولم عبر قيرى Fern ويصلون إلى بلدهم عن طريق فوسن Fussen ، وكيمبيس Kempeen ، وكانت المدن التي ذكرناها ، والتمبون ، واولجسبرج ، ووددبرج ، وأولم هي المصنعات الرئيسية لشدة الهندية ، من جنوب ألمانيا ، ويربطها بعضها ببعض عبر برمر ، وإدا (الجهة غربا ، نحو جبال الألب السويسرية ، بعد طرقا كثيرة كانت كلها مستصلة لأمور منتجات الشرق (١٢٥) ، ولكن بعدة أقل من الطرق السابق ذكرها ، يذكر منها طريق سبيمبر Spölmtr ، وطريق سيلوبس Spilgen ، واعتمادها على مدينة كواير Coire وبحيرة كوستانس ، وطريق سانت جوتارد S. Gotthard الذي يؤدي إلى لوسرن Lucerne ، وطرق مسجلون Smplon ومونتوردو Montemoro وسنت برنارد الكنع Grand S. Bernard وتفتح اتصالات بجيف ، وبيون ، وبال وما بعدها مع المدن الألمانية في حوض الراين الأوسط .

إلى هنا ، ثم تشملنا سوى الطرق البرية التي استخدمتها إيطاليا لتعصب التوابل في ألمانيا . ولكن سبق لنا القول بأن منتجات الشرق تدخل ألمانيا أيضا بطريق بحر الشمال ، فكانت سفن السلطانية وحملوا إليها أسواق بروك ، وألمرس التي يتردد عليها للتجار الألمان معظمهم من المدن الهنرية الكبرى بشمال ألمانيا ، وتبعا لثمرجات البحرية ، ورسوم السميرة التي تطبق عليهم في بروك ، وسائر مدن الأراضي المنخفضة (١٢٦) أنهم يشترون قريبا يشترونه منتجات الشرق التي يستوردونها الإيطاليون (١٢٧) . وبالنسبة ، يمكن أن نقسم لألمانيا من حيث سلع الشرق الأدنى إلى منطقتين : منطقة شمالية ، تمولها مدن الهانز ، وأخرى جنوبية ، تمولها المدن التجارية في بافاريا ، وسوابيا ، وفرنكونيا ، وحوض الراين الأوسط . ولما كانت المنطقتان متصلتان اعتمادا بالأنهرى في الوسط ، فإنه يمكن اعتكافه بأن كل أنحاء البلد تتلقى نصيبها من سلع الشرق الأدنى . وهو أوضح المصور الوسطى ، شرعت بعض البيوت التجارية الألمانية في توثيق علاقاتها المباشرة بالهند ، ومن ثم أبدت اعتمادها بالمنتجات البرتغالية . ولكن معظمها استمر يستورد اللؤلؤ وسائر التوابل

- Archiv für schweizerische Geschichte. XVIII. 227; XX. 143. (١٢٥)
182 ; Mémoires et documents de la Suisse romande. XXX. 204 et
su. cf. 414 et ss.
Sartorius Lesenscheue Urkundliche Gesch. des Ursprungs
der deutschen Hanse. I, 271 ; II 86-88. 483-474 (١٢٦)
M. Th. Hirsch. Denzels Handels- und Gewerbe - Ge-
schichte. p. 126. (١٢٧)

عن طريق الأراضي المنخفضة ، مع مازق يستمر في أنها لم تكن توجه طلباتها
إلى الإيطاليين ، ولكن توجهها إلى البرتغاليين .^{١٢٨}

الامبراطورية ، وروسيا

لم يتردد الإيطاليون مطلقاً على منطقة بحر البلطيق ، فقد تركوها
لمدن الاتحاد الهانز . فكان هذا الاتحاد هو الذي يأسد منتجات الشرق من
أسواق الأراضي المنخفضة ويورعها على اسكندريه وروسيا ، فكان تنظيم
وكالاته في مدن شمال أوروبا يبيع له كل التجهيزات في هذا المجال (١٢٨) .
وكان في ملبور الروس أن يحصلوا على هذه السلع من طريق آخر ،
بتنظيم تجارة مباشرة مع مايا وكافا ، إلا أن انتشار كانوا يحتلون شريطاً
طويلاً من الأرض بينهم وبين منطقة البحر الأسود . ولما كان الشعبان في
حرب متصلة بينهما ، كانت امبراطورية التتار تشكل حاجزاً يعتمد تحطيه .
أما بخصوص أهالي اسكندريه ، فقد سبق أن رأينا أنهم كانوا في قديم
الزمان يحتلون روسيا كلها ليمضوا إلى القسطنطينية ، وكان توسع
التتار يحول بينهم وبين المضي في طريقهم ، مثلهما كان الأمر مع الروس .
ثم ان ظهور إحدى شعوب التجارة في مياه بلاد الروم ، أو موريا ، أو مصر
كان دائماً حدثاً غير عادي . أما المراسيم البابوية التي تحظر العلاقات
التجارية مع المسلمين ، والتي نشرت في بلادهم ، كما نشرت في سائر
أنداء أوروبا ، فانها لم تراخ في أي مكان كما روعيت في البلاد
الاسكندرية .

Soriotas Leppenberg, i.e., I, 190, not. 3, 211 , Hirsch, i.e., (١٢٨)
p. 132 et s. 168.

الفهرس

المصنف	الموضوع
	عاشرا ١ - الكارثتان الكثيرتان
٢	ظهور البروتستانتين في الهند ، وفتح المثنائين مصر
٤٩	ملحقات
٥١	الملاح رقم ١ النواذ المتباعدة بين الشرق والغرب . .
٥١	● أولا : اناس (الرقيق)
٦٠	● ثانيا : الماصلات الطبيعية
٦٠	المسير
٦٢	الشعب
٦٩	العثير
٧٣	البسسم
٧٩	صمغ جارة (لسان جارة)
٨٠	خشب المسير
٨٥	خشب الصنفل
٨٧	خشب الليقم
٩١	الكافور
٩٦	القسرة
١٠٣	الحيهان (كاردلموم)
١٠٤	خيبار شنبير
١٠٥	كيش ، القرانفل
١٠٩	القرمزية (خفلة النبات)
١١١	الرجسمان
١١٢	القسط
١١٢	القطن
١١٧	البشور (اللبان)
١١٩	الخاندجان
١٢١	القوى
١٢٢	الزنجبيل
١٢٦	صمغ الكثيرا
١٢٧	صمغ اللك
١٣٠	الذيلج (النيلة)
١٣٢	الحاج
١٣٥	السلان
١٣٦	الكشان

المصنعة	الموضوع
١٢٨	المصطكى
١٢٩	المرميا
١٤٦	المسك
١٤٥	الاميلاج
١٤٦	جوزة المحض
١٤٩	جوزة الطيب ، واليهيباسيا
١٥٤	اللاكيم
١٥٨	الاحجار الكريمة
١٦٩	الفلفل (الاسود والابيض)
١٧٢	الفلفل الطويل (الفليفلة ، الفلفل الأحمر)
١٧٣	الراوند
١٧٦	الزعفران
١٧٨	للمسمومية
١٧٩	الحريز الخام
١٨٤	التوتياء
١٨٥	الجوزار
	❶ ثالثا : المنتجات المصنوعة ، الخيطوط الذهبية
١٨٧	والفضية
١٨٨	البورسلين (الخزف الصيني)
١٩١	المسكر
٢٠٤	المسوجات
٢٢٥	★ الملحق رقم ٢ عملاء تجارة الشرق الأدنى
٢٢٦	فرنسيا
٢٢٧	الاراض المنخفضة
٢٢٨	اسبانيا والبرتغال
٢٢٩	لنجاسترا
٢٤١	للتايبا
٢٥٠	امكتشاة ، وروميا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بهار الكتب ٤٠٧٧ / ١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 3764 — 2

رفع
مكتبة تاريخ وأثار دولة المماليك

عمل موسوعي مولق ومؤجل في تاريخ الحضارة خلال
 حقبة من تاريخنا، وهي الحقبة التي تطلتها الحروب الصليبية
 في الشرق الأدنى، ما بين القرنين التاسع والرابع عشر الميلاديين.
 يضم الكتاب بحوثاً مؤلفة عن العلاقات الرسمية وغير
 الرسمية بين دول البحر المتوسط .. على شاطئيه الإسلامي
 والمسيحي - شملت التاريخ والجغرافية والاقتصاد والتجارة
 والسماة والثقافة والاجتماع.
 يُعد هذا الكتاب أثراً من آثار المعرفة والتحليل المنهجي
 الحديث للتراث الثقافي، بجانب قيمته التاريخية والحضارية.